

الشقشقيّة

دراسة موضوعية لشخصيات تصدّت للخلافة الإسلامية

تاليف

الدكتور عبد الرسول الغفاري

الأستاذ في قسم الدراسات العليا

وعضو الهيئة العلمية في جامعة كاشان



الشقشقية

غفاری، عبدالرسول،
الشقشقية: دراسة موضوعية لشخصيات تصدت للخلافة الإسلامية
تأليف: عبدالرسول الغفاري ـ قم ، ١٤٣١ق. = ٢٠١٠م. = ١٣٨٩ ٤٢٥ ص .
ISBM 964 - 94560 - 2 - 3
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه : ص . [٣٤٣] — ٣٦١ ؛ همچنين به صورت زير نويس
١ـ على بن ابى طالب (ع) ، امام اول ، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق . نهج البلاغه ، خطبه شقشقيه ـ نقد و تفسير.
٢ـ على بن ابى طالب (ع) ، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق . خطبه‌ها ـ نقد و تفسير.
الف . على بن ابى طالب (ع) ، امام اول ، ٢٣ قبل از هجرت ـ ٤٠ ق . نهج البلاغه . برگزيده . خطبه شقشقيه . شرح .
ب . عنوان .
ج . عنوان : نهج البلاغه . برگزيده ، خطبه شقشقيه . شرح .
٧ش ٧ غ/٣٨/٠٢٣ BP ٢٩٧/٩٥١٥



هوية الكتاب

اسم الكتاب .... الشقشقية
تأليف .... الدكتور عبد الرسول الغفاري
الناشر .... المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات
المطبعة .... عترت
الطبعة .... الأولى
الكمية ١٠٠٠

الإيداع الدولي : ٣ـ٢ـ٩٤٥٦٠ـ٩٦٤



٥٧

الشقشقيّة

دراسة موضوعية لشخصيات تصدّت للخلافة الإسلامية

تأليف

الدكتور عبد الرسول الغفّاري

الأستاذ في قسم الدراسات العليا
وعضو الهيئة العلمية في جامعة كاشان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله المؤيّد، ونبيّه المسدّد، أبي القاسم محمّد، وعلى أهل بيته الهُداة الأكرمين، وأصحابه الأُمناء المنتجبين.

وبعد:

لقد خلّف لنا أمير البيان، وسيّد البلغاء بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؛ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام تراثاً جمّاً خالداً يزخر بالأفكار والنظرات والدروس والعبر، وإنّ الوارث لهذا التراث هم الناس جميعاً؛ لأنّ كلامه عليه السلام ـ بما فيه من خطب ورسائل وكتب وحكم ـ لم يكن موجّهاً لفريق دون آخر، أو لأمّة دون أمّة، بل كان موجّهاً لكل الأفراد والطوائف، وإن كان المعني الأوّل هو الإنسان المؤمن بخالقه، الموحّد له في ذاته وصفاته وأفعاله، إنّه الإنسان الرسالي أنّى وجد وأنّى حلّ.

فخطابه عليه السلام بلسمٌ، وبيانه ضماد لكلّ جرح، ولسانه نبع للعدل والصدق، وأنّ كلامه عليه السلام بكل فصوله وشعبه يمسّ القلوب فيبعث فيها الأمل والحياة والطمأنينة.

فليس عجيباً أن تتطاول الأعناق إلى صاحب هذا النبع الزلال، وتشرئبُّ إليه النفوس طالما خطابه يعمّ الجميع، إذاً هو خالد عند الجميع.

إنّ المتأمّل في كلام أمير المؤمنين عليه السلام يجد فيه التأكيد على صفات الخير والمعروف والنظام، بل التأكيد على كلّ صفات الكمال، وما أكثرها، لذا جاءت

خطبه ورسائله لصنع الرجال الأحرار، إنّها جاءت ليسمو الإنسان في عالم الفضيلة والمُثل، ويتحرّر من أسر المادة والشهوة المبتذلة.

إنّ مضامين كلامه عليه السلام تمثّل جوهر الحياة، لذا ينبغي على النفوس ومن يهوى الكمال والسير إلى الله سبحانه أن يقتبس من ذلك الجوهر، فالناس بفطرتهم وعلى اختلاف مشاربهم وتنوّع طبقاتهم وتعدّد أجناسهم تعلّقت بكلماته عليه السلام أيّما تعلّق.

فما جمعه الشريف الرضي من مختارات كلام أمير المؤمنين عليه السلام على كون ذلك المختار قليلاً إلاّ أنّه لم يزل يُثير في النفوس الدوافع النبيلة والصفات الخيّرة والأُمنيات الطيّبة.

إنّ (نهجَ البلاغةِ) هو نهج الإنسانية؛ بشكله ومضمونه وفصوله. فيه تظافرت الأفكار والرؤى، وفيه تجلّت روح العدالة والمحبّة والإخلاص، فلا مناص من الأخذ به، وتطبيق فقراته، بل لابدّ من الإذعان الكامل بأنّه المنهاج الصالح للحياة والإنسانية.إنّه نهج الفكر والعقل، نهج العدالة والسعادة، نهج الرحمة والكمال؛ نهج لم نرَ مثله في تراثنا الإنساني. ولا عجب لو قيل عنه وعن صاحبه: إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق. وهذا هو سرّ إعجازه، وسرّ خلوده.

إنّ المتدبّر في كلام الإمام عليه السلام سيرى فيه جانبين:

الأوّل منه: الجانب العبادي وما فيه من الروابط بين العبد وخالقه، وفي مقدمة تلك الروابط عبودية الإنسان الخالصة لله سبحانه، وهذه العبودية لن تتحقّق ما لم يفهم المرء معنى التوحيد، وقد أبان أمير المؤمنين عليه السلام هذا الجانب بشكل دقيق، وخطبه في ذلك تُعدّ من الأسس أو القواعد الثابتة لعلم الكلام، ومن الأصول المهمة في درك المباني العقائدية الصحيحة.

أمّا الجانب الثاني في كلامه عليه السلام: هو الكشف عن الأبعاد العملية للحياة

الصالحة التي ينشدها كلّ فرد[1]، والأُسس التي تقود المجتمع إلى السعادة والخير، ممّا دعا الإمام عليه السلام أن يتطّرق إلى البعد التربوي والأخلاقي بشكل مكثّف ومتواصل.

وهكذا تطرّق للبعد التعليمي والسياسي والاقتصادي، وغيرها من الأبعاد التي تخلق مجتمعاً متماسكاً يعي قدراته ويحترم مسؤولياته، فالفرد أساس المجتمع، والشريعة الغرّاء جاءت لتهذيب هذا الفرد وإرشاده إلى الطريق السوي كي ينتج من ورائه مجتمعاً سويّاً، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام لا ينأى عن هذا التهذيب والإرشاد.

ولمّا كان هدف الإمام عليه السلام هو سلوك الإنسان فقد انصبّ كلامه على هذا المخلوق في سيره التكاملي ابتداءً من مرحلة طفولته وحتى أواخر مراحله الدنيويّة، بل الاستمرار في توجيهه بشكلٍ يحرز فيه الإنسان حياته الأخروية وفق مرضاة الله سبحانه؛ لان الحياة الأبدية هي الآخرة وهي الغاية المنشودة.

إذاً هدف أمير المؤمنين عليه السلام وطموحاته النبيلة أغنته عن ذكر الملوك والسّلاطين ما خلا بعض كلامه في صدد حقّه المغتصب، فهو لم يمدح ولم يستعطف أحداً منهم، ولم يكن قريناً ولا عضداً لذوي النفوذ وأهل الكبرياء والمردة، بل حذّر الناس منهم؛ لكونهم طغاة مفسدين، ولكونهم دعاة الكفر والتمرد على نواميس الحياة. ثمّ دعا الناس إلى الله، فكانت دعوته هي دعوة الشريعة الغرّاء إلى التوحيد وتقوية روح العبودية لله سبحانه.

وعليه لم يكن ما نطق به أمير المؤمنين عليه السلام تعبيراً عن عاطفة ذاتية مجرّدة عن المُثل والقيم الإنسانيّة، ولم يمجّد أحداً من الملوك والأكاسرة والفراعنة، بل كرّس قوله عليه السلام في صنع الإنسان وتقوية عزيمته وصبره ليفز بحياة رغيدة، لذا

---

(١) لم نَقُلْ الحياة المثالية؛ لأنّها هي أنشودة النخبة من الناس أو علّية المجتمع.

مدح الفقراء وأثنى على صبرهم وعفّتهم في السرّاء والضرّاء، وأكّد على حقوقهم التي هي في رقاب الأغنياء، ثمّ أشاد عليه السلام بجهاد الضعفاء والمساكين والوقوف إلى جانبهم لنصرتهم، ومواساته لهم قولاً وعملاً.

ثمّ لا يخفى عليك ـ عزيزي القارئ ـ إنّي لمّا انتهيت من تدوين فصول هذا الكتاب وجدت من الضروري أن أشير في هذه المقدّمة إلى عدّة أمور، منها: ما يخصّ فصاحة الإمام عليه السلام، ومنها: ما يرتبط بعمل الشريف الرضي، وثالثها: ما يخصّ الموضوعات التي تطرّق إليها أمير المؤمنين عليه السلام، والأمر الرابع: دواعي التأليف لهذا الكتاب.

أمّا الأمر الأوّل فصاحته عليه السلام: لا يخفى أنّ شهرة الإمام في الفصاحة والبلاغة هي من المسلّمات بحيث لا يختلف فيها اثنان، بل حتّى أعداؤه يقرّون له هذه الفضيلة؛ هذا (محقن الضبّي) قدم على معاوية فقال: جئتك من عند أعيا الناس.

قال له معاوية: يا ابن اللّخناء، لعلي تقول هذا؟! وهل سنّ الفصاحة لقريش غيره؟[(١)].

وفي بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام وفصاحته نقل ابن أبي الحديد كلام أبي عثمان عن جعفر بن يحيى ـ وكان من أبلغ الناس وأفصحهم للقول والكتابة ـ أنّه كان يتعجّب بقول عليّ عليه السلام: «**أين من جدّ واجتهد، وجمع واحتشد، وبنى فشيّد، فمهّد وزخرف فنجّد؟**».

قال: ألا ترى أنّ كلّ لفظة منها آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إلى نفسها، دالة عليها بذاتها. قال أبو عثمان: فكان جعفر يسمّيه فصيح قريش[(٢)].

وقال ابن أبي الحديد: واعلم أنّنا لا يخالجنا الشكّ في أنّه عليه السلام أفصح من كلّ ناطق بلغة العرب من الأوّلين والآخرين إلاّ ما كان من كلام الله سبحانه وكلام

---

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١: ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٦: ٢٧٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وذلك لأنّ فضيلة الخطيب أو الكاتب في خطابته وكتابته يعتمد على أمرين هما: مفردات الألفاظ، ومركّباتها.

أمّا المفردات فإن تكون سهلة سلسلة غير وحشيّة ولا معقّدة، وألفاظه عليه السلام كلّها كذلك.

وأمّا المركبات فَحُسْن المعنى، وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضّل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سمّاها المتأخرون البديع؛ من المقابلة والمطابقة وحسن التقديم وردّ آخر الكلام على صدره، والترصيع والتكافؤ والتسميط والمشاكلة. ولا شُبهة أنّ هذه الصفات كلّها موجودة في خطبه وكتبه، مبثوثة متفرّقة في فرش كلامه عليه السلام.

وليس يوجد هذان الأمران في كلام لأحد غيره، فإن كان قد تعمّلها وأفكر فيها وأعمل رويته في وضعها وسرّها فلقد أتى بالعجب العجاب ووجب أن يكون إمام الناس كلّهم في ذلك؛ لأنّه ابتكره ولم يعرف من قبله، وإن كان اقتضبها ابتداءً وفاضت عليها لسانه مُرتجلة وجاش بها طبعه بديهة من غير روية ولا اعتمال فأعجب، وأعجب على كلا الأمرين، فلقد جاء مجلياً والفصحاء ينقطع أنفاسهم على أثره[١].

وأمّا الأمر الثاني مايخصّ عمل السيّد الشريف الرضي رحمه الله: فقد صرّح في مقدّمة كتاب (نهج البلاغة) إنّ ما أودعه في هذا الكتاب هو المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يعني إنّه لم يورد كلّ ما صدر عنه عليه السلام من خطب وكتب ورسائل وحكم... وإنّ تأليفه هذا كان لاحقاً لما ألّفه من كتاب في خصائص الأئمّة عليهم السلام الذي يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، إلاّ أنّه لم يتمّ،

(١) بحار الأنوار ٤١ / ٣٥٩.

ولمّا استحسن جماعة من الأصدقاء عمله ذاك طلبوا منه أن يختار لهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يشمل جميع الفنون من خطب وكتب ومواعظ وأدب...

قال رضوان الله تعالى عليه: (وسألوني ـ عند ذلك ـ أن أبتدىء بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الفنون، ومتشعّبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب. علماً أنّ ذلك يتضمّن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب... إلى أن يقول... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومأثور الذكر، ومذخور الأجر... ورأيت كلامَهُ عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة:

أوّلها: الخطب والأوامر.

ثانيها: الكتب والرسائل.

ثالثها: الحكم والمواعظ.

فأجمعت ـ بتوفيق الله تعالى ـ على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثمّ محاسن الكتب، ثمّ محاسن الحكم والأدب)(١).

ثمّ قال: (ولا ادّعي ـ مع ذلك ـ أنّي أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتّى لا يشذّ عنّي منه شاذ، ولا يندّ ناد، بل لا أبعد أن يكون القاصر عنّي فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، وما عليّ إلاّ بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل، وإرشاد الدليل إن شاء الله)(٢).

وأمّا الأمر الثالث موضوعات (نهج البلاغة): أبرز الموضوعات فيه تلك التي تصدرت كلامه عليه السلام، إذْ خصّ جملة من خطبه في التوحيد، وهو يشمل توحيد

---

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ١: ٤٨.

(٢) من مقدّمة الشريف الرضي لنهج البلاغة.

الله سبحانه في صفات ذاته من السمع والقدرة والحياة والعظمة والجبروت وغيرها من الصفات، ثمّ توحيده في صفات الأفعال؛ كالإحياء والإماتة والرازقيّة، وفي هذا الباب نجد في كلامه الكثير من المفاهيم العقائدية تندرج هنا.

ثمّ من الموضوعات المهمّة في كلامهعليه السلام ما يخصّ النبوة والأنبياء والشرائع السابقة، ثمّ نبّوة خاتم الرّسل محمّدصلى الله عليه وآله، مع بيان ما في القرآن الكريم من الأوامر والإرشادات والنظم التي رسمها الله سبحانه للبشر، فهو الثقل الأكبر. وإلى جنب هذا جاءت خطب تؤكّد على موضوع الإمامة والخلافة، حيث إنّ أهل البيت هم الثقل الأصغر، وهم عدل القرآن الكريم، وإنّ الخلافة والإمامة فيهم.

ثمّ لا يخلو كلامهعليه السلام من التعرّض لمواقف بعض الصحابة وما في ذلك من الإشارة أو التصريح بالأحداث السياسية التي عصفت بالأمة الإسلامية، حيث تكلّم فيها الإمامعليه السلام بشكل صريح يفهمه الجميع.

ثمّ موضوعات أخرى شملت مساحة كبيرة من المفاهيم الأخلاقية والتربوية والاجتماعية كلّها تؤكّد على السير والسلوك.

وأمّا الأمر الرابع هو الكلام عن الدواعي التي دفعتنا إلى تأليف هذا الكتاب الذي شمل تاريخ جمع خطب أمير المؤمنينعليه السلام، وموقف بعض كتّاب الأدب العربي من جمع الشريف الرضي، وتعرّضهم للخطبة (الشقشقيّة) التي أوردها الرضي في النهج.

منذ سنين كنت أدرّس مادة (تاريخ الأدب العربي) لعصور مختلفة منها العصر الإسلامي والعباسي في جامعات عديدة ولسنوات مكررة، وكانت مادة (نهج البلاغة) هي إحدى المواد المقرّرة في الدراسات الأكاديمية لمرحلتي البكالوريوس والماجستير، والكل يعلم أنّ نصوص هذا الكتاب هي من إنشاء أمير المؤمنينعليه السلام، وما كان عمل الشريف الرضي إلاّ الجمع والتبويب، فجزاه

الله جزاء المحسنين. وبالتالي فإنّ كلام أمير المؤمنينعليه السلام يمثّل أوج البلاغة والفصاحة، بل هو يمثّل العصر الذهبي للنثر في جميع عصوره ومراحله.

غير أنّ البعض لم يتحمل هذه الفضيلة لأمير المؤمنينعليه السلام شأنه كشأن بعض السلف الذي استصغر سنّ الإمام، أو غمط حقه في الخلافة؛ لأنّ المسلمين ـ على زعم أحد الصحابة ـ أبوا أن تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم، لذا أثار هذا البعض شبهات حول جمع الشريف الرضي وما أودعه من خطب ورسائل للإمامعليه السلام، فكان هذا الداعي الأوّل للتأليف.

فوضعت بين يدي القارىء الأدلّة الكافية في توثيق هذه النصوص الشريفة من خلال المصادر التي سبقت عمل الشريف الرضي، ثمّ الوقوف عند مصادر الخطبة (الشقشقيّة) ابتداءً من عصر التدوين وحتى عصر الرضي. وما عملي هذا إلاّ كخطوة لنصرة الحقّ والدفاع عن التراث الإسلامي الأصيل، وردع أهل الباطل والمغرضين ومن أراد السوء والتوهين بشخصية أمير المؤمنينعليه السلام.

أمّا الدّاعي الثاني: هو ردّ تلك الشبهات التي جاءت مكرّرة على ألسنة عدّة من الكتّاب، وللأسف الشديد أخذ بعض المتأخرين يجترون كلام من سبقهم، وقد خيّل لهم إنّما جاؤوا بفتح عظيم ليس له مثيل... إنّها تخرّصات سطّرتها أقلام حاقدة من رجال عرفوا ببغضهم وعدائهم لوصي الرسول وأخيه عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

أمّا الدّاعي الثالث: هو كشف اللثام عن الحقائق التي انطوت عليها الخطبة (الشقشقيّة) والأدوار السياسية التي مرّ بها المسلمون بعد رحيل النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله، وسيرة بعض رجال السلطة في تلك الحقبة السابقة على خلافة أمير المؤمنينعليه السلام.

ثمّ هناك دواعٍ أُخر سوف تنجلي عند متابعة فصول هذا الكتاب.

وفــي الختام أقول: سـنوافيك أيّها القارىء الكريم بدراستنا هذه في ربوع (نهج البـلاغة) سـائلين المولـى أنّ يـوفقك لـدرك الحقائـق، واتّباع الهدى، ونبذ التعصب والعـناد، فليس منّا مـن دعـى إلى عصبية، وأملي وطيد أن أكون عند حسن ظنّك، وأنـت عندي هو ذلك المؤمن الغيور الفطن، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو الذي يستمع القول فيتّبع أحسنه، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب.

المؤلّف

بيروت ـ غرّة رجب ١٤٢٧

الفصل الأول

تاريخ نهج البلاغة

تاريخ نهج البلاغة

من الآثار التي يفتخر بها كلّ أديب غيور هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يشمل كلّ من خطبه ورسائله وكتبه والأمثال والحكم الصادرة منه.

وقد أجهد الأوائل أنفسهم في أن يجمعوا بعض كلامه عليه السلام في صحائفهم، بينما حفظ البعض الآخر من كلامه عليه السلام الشيء الكثير عن ظهر قلب ثم تناقلته الأجيال عبر مئات السنين، حتى انتهى الأمر إلى الشريف الرضي الموسوي الذي حرص كلّ الحرص على أن يجمع هذا التراث النفيس من مصادر الكتب وأفواه الرجال، التي اهتمت غاية الاهتمام بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فطلع علينا الشريف الرضي في عام (٤٠٠) للهجرة بكتاب (نهج البلاغة)، وهو يضم (١٢١) خطبة للإمام عليه السلام، وجملة من رسائله وكتبه للأمراء والولاة والقضاة الذين أوكل إليهم الإمام عليه السلام تلك المناصب السياسية.

هذا الجهد الذي قدّمه لنا الشريف الرضي لا يمكن أن يتغافله أيّ مسلم عربي أو غير عربي، بل يستوجب على الجميع الشكر والثناء لما صنعه جامعه، غير أنّ الذي لا يطيق رؤية ضوء الشمس ينكر هذا النور الشاخص بنفسه.

ففي سنة (٦٨١هـ) نرى شمس الدين أحمد بن خلكان الإربلي البرمكي[1]

---

(١) وفيات الأعيان ٣: ٣ ترجمة المرتضى.

أوّل من شكّ في (نهج البلاغة)، شأنه شأن من شكّ في القرآن الكريم كالرعيل الأول من الكفّار الذين نسبوا القرآن المجيد إلى النبي محمدﷺ ثم تبعه الصفدي في (الوافي بالوفيات)[١]، واليافعي في (مرآة الجنان)[٢]، ثم تبعهم ابن تيمية في (منهاج السنة)[٣] المتوفّى سنة (٧٢٨هـ)، والذهبي[٤] صاحب (ميزان الاعتدال) المتوفّى سنة (٧٤٨هـ).

ثم جاء المعاصرون ليقتفوا آثار مَن سبقهم، حيث شكّكوا في نسبة (نهج البلاغة) إلى الإمامعليه السلام، وكان في طليعتهم جرجي زيدان الذي أثار الشك في كتابه (آداب اللّغة العربية)[٥]، ومحمّد كرد علي في كتابه (الإسلام والحضارة العربية)[٦]، وطه حسين الذي عرف بمنهجه المتميّز وهو الشك في كلّ شيء ابتداءً من التراث الأدبي العربي إلى القرآن. ولولا مواقف الأزهر لأدّى بنا طه حسين إلى كارثة كبيرة لا يحمد عقباها.

غير أنّ طه حسين أسّس مدرسةً اتبعها تلامذته ومريدوه، فذابت شخصيتهم الأدبية والعلمية بشخصية أستاذهم، وفي مقدمتهم أحمد أمين في (فجر الإسلام)[٧]، فهو أوّل من رفع صرخاته بالشك في (نهج البلاغة)، ثم تبعه الدكتور شوقي ضيف فَرَاحَ يدوّي بكتاباته الأدبية متّبعاً خُطى أستاذه هو الشك في (نهج البلاغة)[٨].

---

(١) المصدر ٢: ٣٧٥.

(٢) مرآة الجنان ٣: ٥٥.

(٣) المصدر المذكور.

(٤) مرآة الجنان ١: ١٠١.

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ١: ٢١٨.

(٦) الإسلام والحضارة العربية ٢: ٦١

(٧) فجر الإسلام: ١٤٨.

(٨) انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي.

وممّن شكَّ في النهج الأستاذ أحمد حسن الزيات في كتابه (تأريخ الأدب العربي)[١]، ومحمّد سيد كيلاني في كتابه (أثر التشيّع في الأدب العربي)[٢]. ولا ندري إلى أين ينتهي إليه منهج الشكّاكين في تراثنا العربي والإسلامي، فقد تمادى هذا الفريق حتّى تطاول إلى القرآن والسنّة النبوية، بل أراد البعض هدم صرح الإسلام وتراث المسلمين الذي شيّده رجال الدعوة إلى الله وعلى رأسهم النبي محمّدصلى الله عليه وآله.

فلا عجب أن يثور فريق من المسلمين لينتصر إلى تراثه ومبادئه، ويصدّ الفريق الأوّل ومنهجه السقيم القائم على الشك، وهذا الفريق المنتصر قد أشار إلى بلاغة الإمامعليه السلام إشارة سريعة تتناول كلّ ما عرف عنهعليه السلام من نثر بليغ، نذكر من هذا الفريق المدافع سبط بن الجوزي، ومحمّد بن طلحة الشافعي، وعبد الحميد الكاتب، وهذا الأخير هو القائل: (ما تعلّمت البلاغة إلاّ بحفظ كلام الأصلع)[٣].

والبعض الآخر اختار قطعاً ونصوصاً كثيرة وبليغة من كلام الإمامعليه السلام فحفظها أو دوّنها، كالجاحظ، والخطيب الخوارزمي، وأبي الفتح الآمدي، وابن نباتة المصري، وهذا الأخير هو القائل: (حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالبعليه السلام)[٤].

وفريق ثالث اعتنى بكلام أمير المؤمنينعليه السلام عناية فائقة واهتم بشرح خطبه ورسائله، منهم ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي، إذ فاق جميع مَن سبقه حين شرح

---

(١) تاريخ الأدب العربي: ١٨٧.

(٢) أثر التشيّع في الأدب العربي: ٥٧.

(٣) نظرات في الكتب الخالدة:١٧٧.

(٤) الفوائد الرجالية ٢: ١١٩. الكنى والألقاب١: ٢١٧.

النهج، واعتبر كلام الإمام علي عليه السلام في المرتبة الثانية لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله.

وهناك فريق رابع وهم طائفة من جهابذة الأدب والشعر من المعاصرين قد أعجبوا أيّما إعجاب بـ (نهج البلاغة)، منهم العلامة الأديب الشيخ محمود شكري الآلوسي، والشيخ ناصيف اليازجي، ومحمّد حسن نائل المرصفي، والدكتور زكي مبارك، وأمين نخلة، وعباس محمود العقاد، ومحيي الدين عبد الحميد، وآخرون يطول الكلام على ذكرهم.

المؤلفون في تاريخ نهج البلاغة

ممّن ألّف في تاريخ (نهج البلاغة) جملة من الأعلام والأُدباء، في طليعتهم كلّ من:

١ـ الشيخ هادي آل كاشف الغطاء، له كتاب: (مدارك نهج البلاغة).

٢ـ الإمام السيد هبة الدين الشهرستاني، له كتاب (ما هو نهج البلاغة؟)، إذ بحث فيه تاريخ (نهج البلاغة) وقيمته العلمية والأدبية.

٣ـ الأستاذ حسين بستانة، له بحث رائع تعرّض فيه عن (الشبهات الحائمة حول النهج)، نشرته مجلة (الاعتدال) النجفية في عددها الرابع من سنتها الخامسة.

٤ـ الأستاذ امتياز علي عرشي، له كتاب في سند خطب أمير المؤمنين عليه السلام سمّاه (استناد نهج البلاغة) باللغة الأردوية، ونقله إلى العربية الأستاذ عامر الأنصاري، ونشرته مجلة (ثقافة الهند) التي يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية بعددها الرابع من المجلد الثامن في ديسمبر سنة١٩٠٧ م.

٥ـ العلاّمة السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، له كتاب مفصّل في أربع مجلّدات سمّاه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده).

٦ـ عبد الله نعمة، له كتاب (مصادر نهج البلاغة).

وقد سبق الجميع ـ ممن ذكرناهم آنفاً ـ كلّ من ابن النديم، والنجاشي، والطوسي، وياقوت الحموي، وحاجي خليفة، وابن الأثير، وسبط بن الجوزي، وأبي القاسم النجفي، وآغا بزرك الطهراني، والعلامة السيد محسن الأمين العاملي.

المعاصرون لأمير المؤمنين عليه السلام الذين اشتغلوا في جمع كلامه وخطبه أو رووها لمن جمعها

لم يكن الشريف الرضي أوّل من جمع كلام الإمام علي عليه السلام وخطبه، فقد سبقه إلى ذلك من كان هو أقرب زماناً وأكثر التصاقاً بالإمام، نذكر منهم:

١ ـ نوف بن فضالة البكالي، نسبة إلى بني بكال، حاجب أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ عبيد الله بن أبي رافع، توفي بعد سنة (٣٦هـ)، له كتاب (قضايا أمير المؤمنين عليه السلام).

٣ ـ عليّ بن أبي رافع، توفي قبل سنة (٥١هـ)، له كتاب (الوضوء والصلاة).

٤ ـ ضرار بن ضمرة الضبائي، مولى أم هاني بنت أبي طالب.

٥ ـ الحارث الأعور الهمداني، المتوفّى سنة (٦٥هـ)، له كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام)[١].

٦ ـ سُليم بن قيس الهلالي، المتوفّى سنة (٧٦هـ)، له كتاب (السقيفة).

٧ـ كميل بن زياد النخعي، الشهيد، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٨٣هـ).

٨ ـ زُر بن حبيش بن حُباشة، المتوفّى سنة (٨٣ هـ)، روى عن الإمام قوله: **«توقّوا البردَ في أوّله»**.

٩ ـ شريح القاضي ابن الحارث الكندي، المتوفّى سنة(٨٧هـ)، له كتاب (الخطب)[٢].

---

(١) انظر: شرح النهج ١٨: ٤١.

(٢) انظر: شرح النهج ١٤: ٢٧.

١٠ـ زيد بن وهب الجهني، المتوفّى سنة (٩٦هـ)، جمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام في الجُمع والأعياد.

١١ـ عمر بن شراحيل الكوفي، وهو أبو عامر الشعبي، المتوفّى سنة (١٠٤هـ)، له كتاب (الشورى).

١٢ـ أبو عامر الشعبي الكوفي - المتقدم - روى عن الإمام قوله: (هلك أمرؤ لم يعرِف قدرَه)[١].

١٣ـ الأصبغ بن نباتة المجاشعي، المتوفّى بعد المائة الأولى، وكان من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، له كتاب (الإمام عليّ)، وروى عن الإمام عهد الأشتر، قال ابن واضح اليعقوبي المؤرّخ المتوفّى سنة (٢٩٢ هـ): كان علي ابن أبي طالب عليه السلام مشتغلاً أيّامه كلّها في الحرب... وحفظ الناس عنه الخطب، فإنّه خطب بأربعمائة خطبة حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس[٢].

١٤ـ الأصبغ بن نباتة، روى عن الإمام قوله: «**للمؤمن ثلاث ساعات...**»[٣].

١٥ـ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين، المتوفّى سنة (٩٤هـ)، روى دعاء الإمام كما في صحيفته المباركة، دعاء ٨٦[٤].

وأحصى العلاّمة المسعودي المتوفّى سنة (٣٤٦ هـ) ما كان محفوظاً من خطبه عليه السلام فقال: والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة[٥].

---

(١) شرح النهج ٩: ٤٩.

(٢) مشاكلة الناس لزمانهم: ١٥.

(٣) شرح النهج ١٩: ٣٣٨.

(٤) شرح النهج ٦: ١٧٨.

(٥) مروج الذهب ٢ / ٤٣١.

وقال سبط بن الجوزي الحنفي: أخبرنا الشريف أبو الحسن علي بن محمّد الحسيني بإسناده إلى الشريف المرتضى، قال: وقع إليّ من خطب أمير المؤمنين عليه السلام أربعمائة خطبة[1].

وقال القطب الراوندي: سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول:

إنّي وجدت في مصر مجموعاً من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً[2].

هذه النصوص تقودك إلى كون (نهج البلاغة) ـ بجمع الشريف الرضي ـ لا يشكّل إلاّ عشراً أو دون العُشر من كلام الإمام علي عليه السلام، حيث المذكور من كلامه عليه السلام في (نهج البلاغة) هو(١٢١) خطبة، وهو أقل بكثير ممّا ذكره القطب الراوندي وسبط بن الجوزي.

المصنفات الخاصة بكلام وخطب أمير المؤمنين عليه السلام

وممّا يستدل على أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام كان بعضه مدوّناً عند أناس سبقوا الشريف الرضي ما أشارت إليه كتب الفهارس من مصنّفات، منها:

١ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام المروية عن الصادق عليه السلام برواية فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة، انتقلت هذه النسخة المدوّنة إلى السيد عليّ بن طاووس.

٢ـ خطب أمير المؤمنين لمسعدة بن صدقة العبدي من علماء الجمهور، كان هذا الكتاب موجوداً عند السيد هاشم البحراني المتوفّى سنة (١١٠٧ هـ).

٣ ـ الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين عليه السلام، وهذا النص المدوّن من جملة الكتب التي رواها أبو مخنف لوط بن يحيى المتوفّى سنة (١٥٧ هـ)، وقد اعتمد الطبري على مرويات أبي مخنف.

---

(١) تذكرة الخواص: ١٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني) ١: ١٠١.

٤ـ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لإسماعيل بن مهران السكوني الكوفي، وهذه الخطبة أوردها ابن عبد ربّه في (العقد الفريد، م ٢، ص١٣٦).

٥ـ كتاب (خطب علي عليه السلام) لهشام بن محمّد بن السائب الكلبي المتوفّى سنة (٢٠٦ هـ).

٦ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام برواية محمّد بن عمر الواقدي الأسلمي المتوفّى سنة (٢٠٧ هـ)، رواه الشيخ أبو غالب الزراري عنه.

٧ـ كتاب (الملاحم للإمام عليه السلام)، تصنيف أبي يعقوب إسماعيل بن مهران السكوني، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

٨ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، لأبي الخير صالح بن أبي حمّاد سلمة الرازي، ممّن لقي كلّ من الأئمة: الجواد، والهادي، والعسكري عليهم السلام.

٩ـ مائة كلمة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع شرحها، لقاضي القضاة لدى الفاطميين، أبي حنيفة النعمان المصري المتوفّى سنة (٣٦٣ هـ).

١٠ـ كتاب (الخطب) لمحمّد بن عيسى بن عبد الله بن سعد الأشعري القمّي، عاصر الإمام الرضا عليه السلام، وروى عن الإمام الجواد عليه السلام.

١١ـ كتاب (خطب علي عليه السلام وكتبه إلى عمّاله) لأبي الحسن علي بن محمّد ابن عبد الله المدائني المتوفّى سنة (٢٢٥ هـ) أو سنة (٢١٥ هـ)، ذكره ابن النديم.

١٢ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، للسيد عبد العظيم الحسني، من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام.

١٣ـ كتاب (خطب علي) لنصر بن مزاحم المنقري صاحب كتاب (وقعة صفين)، المتوفّى سنة (٢١٢ هـ).

١٤ـ كتاب (خطب الإمام علي عليه السلام) لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى بن عيسى الجلودي الأزدي البصري المتوفّى سنة (٣٣٢هـ)، وللجلودي هذا عدة مصنّفات تناهز على الثلاثمائة، منها تخص ما نحن فيه.

١٥ـ كتب المغازي والحروب والأخبار والسير، حيث اشتملت على كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه، وهي أكثر من خمسمائة مصنف، وتوفّي أصحابها قبل أن يولد الشريف الرضي بعشرات السنين.

١٦ـ كتاب (رسائل أمير المؤمنين عليه السلام) لإبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفّى سنة (٢٨٣ هـ).

١٧ـ كتاب (رسائل علي عليه السلام).

١٨ـ كتاب (ذكر كلام علي عليه السلام في الملاحم).

١٩ـ كتاب (مواعظ الإمام علي عليه السلام).

٢٠ـ كتاب (قوله عليه السلام في الشورى).

٢١ـ كتاب (الدعاء عن الإمام عليه السلام).

٢٢ـ كتاب (بقية رسائله وخطبه وأوّل مناظراته).

٢٣ـ كتاب (بقية مناظراته).

٢٤ـ كتاب (ما كان بين علي وعثمان من الكلام).

٢٥ـ كتاب (الخطب لأمير المؤمنين عليه السلام) لأبي إسحاق النهمي إبراهيم بن سليمان الكوفي الخراز، يرويه عنه النجاشي بثلاث وسائط، آخرها حميد بن زياد الكوفي المتوفّى سنة (٣١٠ هـ).

٢٦ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام) لإبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري.

٢٧ـ كتاب أبي العباس يعقوب بن أبي أحمد الصيمري الذي جمعه من كلام علي عليه السلام إلى معاوية.

٢٨ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام مع شرحها، لقاضي القضاة لدى الفاطميين أبي

حنيفة النعمان المصري المتوفّى سنة (٣٦٣ هـ)[(١)].

المصادر المعتمدة عند الشريف الرضي في (نهج البلاغة)

يمكن تصنيف المصادر المعتمدة عند الشريف إلى قسمين:

القسم الأول: ما اعتمده الشريف في نقل النصوص من كلام أمير المؤمنين ولم يشر إلى المصدر الذي أخذ منه، وبوسع القارىء أن يرجع إلى العناوين في القائمة التي سنوردها لاحقاً بالإضافة إلى ما ذكره السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

القسم الثاني: مصادر صرّح الشريف الرضي بذكرها.

وإليك القسم الأول:

١ـ (إثبات الوصية) لعلي بن الحسين المسعودي (ت٣٣٣هـ)، ط: النجف الأشرف.

٢ـ (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري المتوفّى حدود سنة (٢٩٠هـ)، ط: القاهرة، سنة ١٩٦٠ م، تحقيق: عبد المنعم عامر والدكتور جمال الدين الشيال.

٣ـ (أخبار القضاة) تأليف وكيع محمّد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)، بتحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، ط: مصر.

٤ـ (الاختصاص) للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان المتوفّى سنة(٤١٣هـ)، والمفيد وإن توفي بعد الشريف الرضي ولكنّا جعلنا جملة من كتبه من مصادر (نهج البلاغة) لأمرين:

أـ أنّ المفيد من أساتذة الرّضي، وقد جرت العادة أن يأخذ التلاميذ من مشائخهم ولا يأخذ المشائخ من تلامذتهم.

---

(١) هذه جملة من أسماء العلماء والأدباء الذين أفردوا مصنّفات خاصة في خطب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وكتبه ورسائله، وللمزيد راجع: الذريعة ٧: ١٨٧. ومنتهى المقال: ٥٩. وفهرست الطوسي: ٣٤. وفهرست ابن النديم: ١٤٧.

ب ـ أنّ المفيد لم ينقل في كتبه عن (نهج البلاغة) ولا رواية واحدة، بل لم يشر إليه ولا مرة واحدة في كلّ هذه الكتب التي صنّفها، ولعل أكثرها أُوِّلف قبل صدور (النهج).

٥ـ (اختلاف أصول المذهب) للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد المصري المتوفّى سنة (٣٦٣هـ)، بتحقيق الأستاذ مصطفى غالب، ط: بيروت، ١٣٩٣هـ

٦ـ (الإرشاد) للشيخ المفيد، ط: طهران، طبعة حجرية وطبعة جديدة، قم.

٧ـ (أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام) لمحمّد بن حبيب البغدادي المتوفّى سنة (٢٤٥هـ)، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هرون، ط: القاهرة، ١٣٧٤هـ

٨ ـ (الاشتقاق) لأبي بكر محمّد بن الحسين بن دريد الأزدي البصري المتوفّى ببغداد سنة (٣٢١هـ)، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مطبعة السنّة المحمّديّة (١٣٧٨هـ).

٩ـ (إعجاز القرآن) لأبي بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني المتوفّى في شوال عام (٤٠٣هـ)، طبعة دار المعارف بالقاهرة، بتحقيق السيّد أحمد الصقر.

١٠ـ (الأغاني) لأبي الفرج عليّ بن الحسين الأصبهاني المتوفّى عام (٣٥٦هـ) كما في (روضات الجنات)، أو سنة ثلثمائة ونيف وستين كما في (فهرست) ابن النديم، الطبعة الأولى.

١١ـ (إكمال الدين وإتمام النعمة) للشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي المتوفّى سنة (٣٨١هـ).

١٢ـ (الأمالي) لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي المتوفّى بقرطبة سنة (٣٥٦هـ)، ط دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٣ـ (الأمالي) لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الصيمري المعروف بالزجاجي المتوفّى سنة (٢٣٩هـ)، ط: مصر.

١٤ـ (الأمالي) لمحمّد بن حبيب البغدادي المتوفّى(٢٤٥هـ).

١٥ـ (الأمالي) للصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ابتدأ باملائه يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة سبع وستين وثلاثمائة، وأملى آخر مجلس منه وهو المجلس السابع والتسعون يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثمائة في مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

١٦ـ (الأمالي) للشيخ المفيد، ويسمّى هذا الكتاب بـ(المجالس)، المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف (١٣٦٩هـ).

١٧ـ (الإمامة والسياسة) لأبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي الدينوري المتوفّى على الأشهر في رجب سنة (٢٧٦هـ).

١٨ـ (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيّان علي بن محمد بن عباس التوحيدي المتوفّى في حدود سنة (٣٨٠هـ)، ط: مصر.

١٩ـ (الأمثال) للمفضل بن محمد الضبّي المتوفّى سنة (١٦٨هـ).

٢٠ـ (أنساب الأشراف) لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري المتوفّى سنة (٢٧٩هـ).

٢١ـ (الإنصاف في الإمامة) لأبي جعفر محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي.

٢٢ـ (الأوائل) لأبي هلال العسكري، فرغ من تأليفه في (١٠) شعبان سنة (٣٩٥هـ)، وهي سنة وفاته.

٢٣ـ (البديع) لعبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المقتول سنة (٢٩٦هـ)، بتحقيق محمّد عبد المنعم الخفاجي، ط: القاهرة.

٢٤ـ (البصائر والذخائر) لأبي حيّان التوحيدي، بتحقيق الأستاذين أحمد أمين والسيّد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة (١٣٧٣هـ).

٢٥ـ (بصائر الدرجات) لأبي جعفر محمّد بن الحسن الصفار المتوفّى سنة (٢٩٠هـ)، ط: تبريز سنة (١٣٨١هـ).

٢٦ـ (البلدان) لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه، من أعلام الأدباء في أواخر القرن الثالث، وقيل: توفي سنة (٣٦٥هـ)، ألّف كتاب (البلدان) من ألف ورقة بعد موت المعتضد العباسي سنة (٢٧٩هـ)، وطبع الكتاب في عدن سنة (١٨٨٥م). ويرى بعضهم أنّ كتاب (البلدان) المشهور هو مختصره الذي اختصره علي بن الحسن الشيزري المتوفّى حوالي عام (٤١٣هـ)، كما أنّ ابن الفقيه سلخ كتاب (المسالك والممالك) للجيهاني كما ذكر ذلك ابن النديم في (الفهرست): ص١٦٤.

٢٧ـ (البيان والتبيين) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفّى (٢٥٥هـ)، المطبعة العلمية في القاهرة (١٣١١هـ).

٢٨ـ (تاريخ الأمم والملوك) لمحمّد بن جرير الطبري المتوفّى (٣١٠هـ)، ط: المطبعة الحسينية في مصر.

٢٩ـ (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المتوفّى سنة (٢٨٤هـ)، ط: بيروت.

٣٠ـ (تحف العقول) لأبي محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني المعاصر للشيخ الصدوق، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٣١ـ (التصحيف والتحريف) لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري من مشائخ الصدوق.

٣٢ـ (تفسير عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي) من أعيان القرن الثالث، ط: النجف الأشرف.

٣٣ـ (تفسير العياشي) لأبي النضر ـ بالضاد المعجمة ـ محمّد بن مسعود بن محمّد بن عياش السلمي السمرقندي، من علماء المائة الثالثة، والموجود من تفسير العياشي من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف طبع في جزئين في المطبعة العلمية بقم(١٣٨٠هـ).

٣٤ـ (تفسير فرات الكوفي)، وهو الشيخ فرات بن إبراهيم بن فرات، يروي فيه عن الحسين بن سعيد الأهوازي صاحب الإمام الرضاعليه السلام، ط: المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

٣٥ـ (التوحيد) للشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، ط: إيران.

٣٦ـ (الجعفريات) لإسماعيل بن موسى بن جعفر الصادقعليه السلام، وقد يعرف هذا الكتاب بـ (الأشعثيات) نسبة إلى رواية محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي.

٣٧ـ (الجمع بين الغريبين) لأبي عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي الهروي المتوفّى سنة (٤٠١هـ)، وهذا الكتاب مخطوط بخط قديم بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ولكنه عاطل من حُلية التاريخ. برقم٥٠/ ١٥٨٨، لغة.

٣٨ـ (الجَمل) لأبي مخنف لوط بن يحيى، الأزدي المتوفّى سنة (١٥٧هـ).

٣٩ـ (الجمَل) للشيخ المفيد المتوفّى سنة (٤١٣هـ)، واسم هذا الكتاب (النصرة في حرب البصرة)، ولكن ذكرناه بأشهر وأخصر أسمائه، ط. المطبعة الحيدرية النجف الأشرف(١٣٦٨هـ).

٤٠ـ (الجَمل) لأبي عبد الله محمّد بن عمر بن واقد الواقدي المولود سنة (٣٠هـ)، والمتوفّى ببغداد سنة (٢٠٧هـ).

٤١ـ (جمهرة الأمثال)لأبي هلال العسكري المتوفّى سنة (٣٩٥هـ)، ط: القاهرة سنة (١٣٨٤هـ)، بتحقيق الأستاذين: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد

قطامش، ومع اختلاف المؤرخين في سنة وفاة أبي هلال العسكري فإنّه مما لا شك فيه أنّه توفي في أواخر القرن الرابع، أي قبل صدور (نهج البلاغة).

٤٢ـ (جمهرة الأنساب) لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي المتوفّى بالكوفة سنة (٢٠٤) أو (٢٠٦ هـ).

٤٣ـ (حلية الأولياء) لأبي نعيم عبد الله بن أحمد الاصبهاني المتوفّى سنة (٤٠٢هـ) [١]، أي بعد صدور النهج بعامين، وقبل موت الرضي بأربع سنوات، وإنّما جعلنا (الحلية) من مصادر (النهج) للاحتمال القوي بأنّه ألف قبل (النهج)، إذ لا يعقل أن يؤلف هذا الكتاب المتباعد الأطراف بمدة سنتين، هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن كلّ المرويات في (الحلية) عن أمير المؤمنين عليه السلام رواها أبو نعيم بأسانيد متصلة، وبصور تختلف عما في (النهج) إمّا في بعض الألفاظ وإما بزيادة أو نقصان. مطبعة السعادة، القاهرة، (١٣٥١هـ).

٤٤ـ (الحيوان) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ).

٤٥ـ (الخصال) للشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، طبعة حجرية، إيران، وطبعة جديدة.

٤٦ـ (الخطب) لمسعدة بن صدقة.

٤٧ـ (الخوارج) لأبي الحسن المدائني.

٤٨ـ (دعائم الإسلام) لأبي حنيفة النعمان القاضي المصري (ت٣٦٣ هـ)، الطبعة الأولى، القاهرة بإشراف الأستاذ آصف بن علي أصغر فيضي.

٤٩ـ (ذيل أمالي القالي)، ط: دار الكتب المصرية.

---

(١) يذكر ابن خلكان أنّ وفاته سنة (٤٣٠ هـ)، وأخذنا برواية نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي في كتابه (نظام الأقوال في أحوال الرجال).

٥٠ـ (الرجال) لأبي عمرو محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، ط: بمبيء (١٣١٧ هـ)، واسم هذا الكتاب (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين)، وإنّما ذكرناه بأشهر أسمائه.

هذا وليعلم أنّ الموجود بأيدي الناس من هذا الكتاب هو مختصره لأبي جعفر الطوسي قدس سره، ولا يدرى بالأصل أين استقر به النوى؟ والكشي من تلامذة العيّاشي، فهو من رجال القرن الثالث.

٥١ـ رسائل الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ)، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط: القاهرة.

٥٢ـ (الرّسائل) للشيخ محمّد بن يعقوب الكليني صاحب (الكافي) المتوفّى سنة (٣٢٩هـ).

٥٣ـ (الروضة) للكليني، ط: النجف سنة (١٣٨٥ هـ).

٥٤ـ (الزواجر والمواعظ) لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري المتوفّى سنة (٣٨٢ هـ).

٥٥ـ (زهد أمير المؤمنين عليه السلام) للعيّاشي (ت ٣٠٠هـ)، أو قبل ذلك.

٥٦ـ (الزّهد) للإمام أحمد بن حنبل، مصورة في مكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

٥٧ـ (الزهد) للحسين بن سعيد الأهوازي (ت٩٥هـ).

٥٨ـ (زيادات السقيفة) لأحمد بن عبد العزيز الجوهري(ت٣٩٥هـ)، وقيل: توفي سنة (٤٠٥ هـ).

٥٩ـ (السقيفة) للجوهري المذكور آنفاً.

٦٠ـ (الشورى) لأبي عامر الشعبي.

٦١ـ (صحيفة الإمام الرضا عليه السلام)، ط: بيروت.

٦٢ـ (الصديق والصداقة) لأبي حيّان التوحيدي المتوفّى(٣٨٠هـ)، مطبعة الجوائب في الآستانة، سنة (١٣٠١ هـ).

٦٣ـ (صفّين) لإبراهيم بن الحسين بن ديزيل المحدّث المتوفّى سنة (٢٨١ هـ).

٦٤ـ (صفّين) لأبي الحسن المدائني المتوفّى سنة (٢٢٥هـ).

٦٥ـ (صفّين) لعبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة(٣٣٢هـ).

٦٦ـ (صفّين) لنصر بن مزاحم المنقري المتوفّى سنة(٢٠٢هـ)، وهذا الكتاب حقّقه الأستاذ عبد السلام هارون، ولا يخفى أنّ نسخ هذا الكتاب سواء المطبوعة في إيران أو بيروت أو مصر ناقصة.

٦٧ـ (الصناعتين) لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفّى سنة (٣٩٥ هـ)، تحقيق الأستاذين: محمّد علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

٦٨ـ (الطبقات الكبرى) لأبي عبد الله محمّد بن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي المتوفّى ببغداد سنة (٢٣٠ هـ)، ط: ليدن، و ط: بيروت.

٦٩ـ (طبقات النحويين) لأبي بكر محمّد بن الحسن الزبيدي المتوفّى سنة (٣٧٩هـ)، تحقيق الأستاذ محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط: مصر.

٧٠ـ (العقد الفريد) لأحمد بن عبد ربّه المالكي المتوفّى سنة (٣٢٨هـ)، المطبعة الازهرية في القاهرة (١٣٢١هـ).

٧١ـ (علل الشرائع) للشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، طبع النجف الأشرف.

٧٢ـ (عيون أخبار الرضا) للشيخ الصدوق، طبع قم.

٧٣ـ (عيون الأخبار) لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، طبع دار الكتب المصرية.

٧٤ـ (الغارات) لإبراهيم بن هلال الثقفي المتوفّى في حدود سنة (٢٨٣هـ)، وقد طبع الكتاب أخيراً.

٧٥- (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفّى سنة (٢٢٣هـ)، قال عنه الخطيب السيد عبد الزهراء: مخطوط عثرت على نسختين منه، إحداهما في المكتبة المحمودية في المسجد النبوي الشريف تاريخها سنة (١١٠٦هـ)، والثانية في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنورة أيضاً، وفي آخر هذه النسخة قراءات وروايات ومقابلات لجملة من العلماء، ومنها رواية أحمد بن محمد اللخمي في مجالس آخرها يوم الجمعة العشرون من ربيع الأول سنة ست وستين وستمائة.

٧٦- (غريب الحديث) لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، توجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق في مجلدين برقم (١٥٧١)، ونسخة مصوّرة عنها في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة في النجف الأشرف.

٧٧- (الغيبة) للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني المعروف بابن أبي زينب من علماء القرن الرابع، طبعة حجرية، إيران (١٣١٧هـ).

٧٨- (الفاضل) لأبي العباس المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني، ط: دار الكتب المصرية (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).

٧٩- (فتوح البلدان) لأحمد بن يحيى البلاذري (٢٧٩هـ).

٨٠- (الفتوح) لأبي محمد أحمد بن أعثم المتوفّى (٣١٤هـ)، ط: حيدر آباد سنة (١٣٨٨هـ).

٨١ - (الفتوح) لأبي الحسن علي بن الحسين المدائني.

٨٢- (الفرج بعد الشدة) لأبي علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي المتوفّى عام (٣٨٤هـ)، ط: دار الطباعة المحمّدية بالقاهرة (١٣٧٥هـ).

٨٣ - (الفضائل) للإمام أحمد بن حنبل.

٨٤- (قرب الإسناد) لأبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي (ت ٢٩٠هـ) المعاصر للإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليه، ط: الحيدرية في النجف.

٨٥ـ (قوت القلوب) لأبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي المتوفّى سنة (٣٨٢ هـ)، طبع القاهرة.

٨٦ـ (الكافي) للشيخ محمّد بن يعقوب الكليني المتوفّى عام (٣٢٩هـ)، ط: دار الكتب الإسلامية، طهران

٨٧ـ (الكامل) لأبي العباس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الازدي البصري المشهور بالمبرد المتوفّى ببغداد سنة (٢٨٥هـ)، ط: دار العهد الجديد بالقاهرة.

٨٨ ـ (كتاب سليم بن قيس الهلالي) من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام المتوفّى في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط: النجف الأشرف.

٨٩ ـ (كتاب ابن دأب) وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب المعاصر لموسى الهادي الخليفة العباسي، ذكر في هذا الكتاب سبعين خصلة من خصال أمير المؤمنين عليه السلام نقلها الشيخ المفيد عليه الرحمة في (الاختصاص) ص ١١٤ بإسناده إلى ابن دأب، وأوردها العلامة المجلسي في التاسع من البحار ص ٤٥٠، ط: كمپاني.

٩٠ـ (كتاب نقض العثمانية) لأبي جعفر محمّد بن عبد الله الأسكافي المعتزلي المتوفّى سنة (٢٤٠هـ). وكتاب (العثمانية) لعمرو بن بحر الجاحظ.

٩١ـ (مائة كلمة من كلمات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام) لأبي عثمان الجاحظ المتوفّى سنة (٢٥٥هـ).

٩٢ـ (المجالس) لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي مولى بني شيبان المعروف بثعلب، المتوفّى سنة (٢٩١هـ).

٩٣ـ (المجتنى) لأبي بكر محمّد بن الحسين بن دريد، (ت ٣٢١ هـ).

٩٤ـ (المحاسن) لأبي جعفر أحمد بن خالد البرقي المتوفّى سنة (٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ)، طبع المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة (١٣٨٤هـ).

٩٥ـ (المحاسن والأضداد) لأبي عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ)، ط: القاهرة.

٩٦ـ (المحاسن والمساويء) لإبراهيم بن محمد البيهقي، أحد أعلام القرن الثالث، ط: بيروت.

٩٧ـ (مروج الذهب) لعلي بن الحسين المسعودي المتوفّى سنة (٣٣٣هـ أو ٣٤٥ هـ)، ط: القاهرة، بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

٩٨ـ (المسترشد في الإمامة) لمحمد بن جرير الطبري الإمامي من أعلام القرن الرابع، ط: المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

٩٩ـ (مشاكلة الناس لزمانهم) لابن واضح، تحقيق وليم ملورد، ط: بيروت، في سنة (١٩٦٦ م).

١٠٠ـ (المصون) لأبي أحمد العسكري من أعلام القرن الرابع، توفي سنة (٣٨٢هـ)، تحقيق عبد الله هارون، طبع الكويت.

١٠١ـ (المعارف) لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، ط: دار الكتب المصرية.

١٠٢ـ (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، ط: طهران (١٣٧٩هـ).

١٠٣ـ (المعمّرون والوصايا) لأبي حاتم بن محمّد السجستاني المتوفّى (٢٥٥هـ)، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

١٠٤ـ (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني المتوفّى سنة (٣٥٦هـ) على الأشهر، ط: القاهرة، تحقيق السيد أحمد الصقر.

١٠٥ـ (المقنعة) للشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ).

١٠٦ـ (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، ط: النجف الأشرف، بتحقيق الحجة السيد حسن الخرسان.

١٠٧ـ (الموشى)، أو (الظرف والظرفاء) لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي المعروف بالوشاء النحوي(ت٣٢٥هـ).

١٠٨ـ (الموفّقيات) للزبير بن بكّار المتوفّى (٢٥٦هـ)، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، ط (١٩٧٢م).

١٠٩ـ (المونق) لمحمّد بن عمران المرزباني المتوفّى سنة(٣٧٧هـ)، وقد قال ابن النديم عن هذا الكتاب: أنّه في أكثر من خمسة آلاف ورقة.

١١٠ـ (الوزراء والكتاب) لمحمد بن عبدوس بن عبد الجهشياري ـ بالجيم والشين المعجمتين بعد الهاء ـ وإنّما قيل له: الجهشياري لأنّ أباه كان يخدم علي بن جهشيار حاجب الموفق العباسي وكان خصّيصاً به فنسب إليه، توفّي مستتراً في بغداد سنة (٣٣١هـ). ط: أولى مصر.

١١١ـ (الولاة والقضاة) لأبي عمرو محمد بن يوسف الكندي المتوفّى سنة (٣٥٠هـ)، ط: القاهرة.

مصادر لم يذكرها الخطيب الحسيني

١١٢ـ كتاب (أبي الجعد) أحمد بن عامر بن سليمان الطائي المتوفّى سنة (٢٦٢هـ).

١١٣ـ كتاب (الأحداث) لأبي الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني المتوفّى سنة (٢٢٥هـ).

١١٤ـ (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (ت ٢٥٠هـ).

١١٥ـ (الأدب الصغير والأدب الكبير) لأبي محمّد عبد الله بن المقفع المتوفّى سنة (١٤٥هـ).

١١٦ـ (أدب الكاتب) للصولي محمد بن يحيى (ت٣٣٦هـ).

١١٧ـ (أدب الكاتب) لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).

١١٨ـ (إصلاح غلط أبي عُبيد في غريب الحديث) لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).

١١٩ـ (إصلاح المنطق) لابن السكّيت يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ).

١٢٠ـ (الإفصاح)، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العُكبري البغدادي[1] (ت ٤١٢ هـ).

١٢١ـ (كتاب الأُم) للشافعي محمّد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ).

١٢٢ـ (الأمالي) لابن دريد الأزدي محمّد بن الحسين (ت ٣٢١هـ).

١٢٣ـ (الأمالي) لليزيدي محمد بن العبّاس (ت ٣١٠ هـ).

١٢٤ـ كتاب (الأموال) للهروي أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ).

١٢٥ـ (أنساب قريش) للزبير بن بكّار المتوفّى سنة (٢٥٦هـ).

١٢٦ـ (البخلاء) لأبي عثمان الجاحظ عمرو بن بحر المتوفّى سنة (٢٥٥هـ).

١٢٧ـ (البدء والتأريخ) للمقدسي البلخي أحمد بن سهل المتوفّى سنة (٣٢١ هـ).

١٢٨ـ (بصائر الدرجات) لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفّار (ت ٢٩٠ هـ).

١٢٩ـ (تاريخ الفقهاء) أو (التاريخ الكبير) للواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).

١٣٠ـ (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).

١٣١ـ (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لابن مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب الخازن[2] (ت ٤٢١ هـ).

١٣٢ـ (تصحيفات المحدثين) للحسن بن عبد الله بن سعيد (ت ٣٨٢ هـ).

١٣٣ـ (التعليقات والنوادر) لأبي علي هارون بن زكريا الهجري، من علماء القرن الثالث الهجري.

---

(١) أستاذ الرضي وشيخه.

(٢) كان معاصراً للرضي.

١٣٤ـ (تفسير الإمام الحسن العسكري) للإمام الحسن بن علي بن محمدعليه السلام (ت ٢٦٠ هـ).

١٣٥ـ (التنبيه على حدوث التصحيف) للمؤدب الأصفهاني حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ).

١٣٦ـ (تهذيب اللغة) للأزهري محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ).

١٣٧ـ (ثلاث رسائل) لأبي حيّان التوحيدي عليّ بن محمّد البغدادي، توفّي في أواخر القرن الرابع الهجري.

١٣٨ـ (ثواب الأعمال) للصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين (ت ٣٨١ هـ).

١٣٩ـ (جمهرة اللغة) لابن دريد محمّد بن الحسين (ت ٣٢١هـ).

١٤٠ـ (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) للشريف الرضي جامع كتاب (نهج البلاغة)، محمّد بن الحسين بن موسى(ت ٤٠٦ هـ).

١٤١ـ (الحكمة الخالدة) لابن مسكويه أحمد بن محمّد بن يعقوب الخازن (ت ٤٢١هـ)، كان معاصراً للشريف الرضي.

١٤٢ـ (حلف ربيعة واليمن) لابن الكلبي هشام بن محمّد(ت ٢٠٤هـ).

١٤٣ـ كتاب (الخصائص) لابن جنّي أبي الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ).

١٤٤ـ كتاب (خصائص أمير المؤمنين) للنسائي أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

١٤٥ـ كتاب (خصائص أمير المؤمنين) للشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسى بن الحسين (ت ٤٠٦هـ).

١٤٦ـ كتاب (خطب الإمام عليّعليه السلام) لإبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري المتوفّى قبل سنة (٢٠٠هـ).

١٤٧ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين) لإسماعيل بن مهران بن أبي نصر.

١٤٨ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين) لأبي إسحاق الخزّاز إبراهيم بن سليمان الكوفي النهمي المتوفّى قبل سنة (٣٠٠هـ).

١٤٩ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين) لصالح بن حمّاد الرازي، صحب الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

١٥٠ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين) لعبد العظيم الحسني ابن عبد الله بن زيد الشهيد (ت٢٥٢هـ).

١٥١ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين) لأبي عبد الله محمّد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ).

١٥٢ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين) لأبي عليّ الجلودي البصري عبد العزيز ابن يحيى (ت٣٣٢هـ).

١٥٣ـ كتاب (خطب أمير المؤمنين مع شرحها) لأبي حنيفة النعمان بن محمّد القاضي المصري (ت٣٦٣هـ).

١٥٤ـ كتاب (خطب الإمام علي) للإمام موسى الكاظم عليه السلام المتوفّى سنة (١٨٣هـ)، رواه مسعدة بن صدقة العبدي.

١٥٥ـ كتاب (خطب علي) لنصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطّار (ت٢٠٢هـ).

١٥٦ـ كتاب (خطب علي) لأبي منذر الكلبي هشام بن محمّد بن السائب (ت٢٠٤هـ).

١٥٧ـكتاب (الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين) لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت١٥٧هـ).

١٥٨ـ كتاب (الخطب المقريات) لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد بن هلال بن عاصم الثقفي الكوفي (ت٢٨٣هـ).

١٥٩ـ (الدعاء والذكر) للأحوازي الحسين بن سعيد بن حمّاد (ت٢٢٩ هـ).

١٦٠ـ (الدلائل في شرح غريب الحديث) للسرقسطي القاسم بن ثابت بن عبد الرحمن العوفي (ت٣٠٢هـ).

١٦١ـ (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل المتوفّى في أواخر القرن الرابع الهجري.

١٦٢ـ (الرد على الغالية) للأحوازي الحسين بن سعيد المتوفّى سنة (٢٢٩ هـ).

١٦٣ـ (رسائل أمير المؤمنين وأخباره وحروبه) لأبي إسحاق الثقفي الكوفي إبراهيم بن سعيد (ت٢٨٣ هـ).

١٦٤ـ رواية (ابن الأعرابي) محمّد بن زياد المتوفّى سنة(٢٣١هـ)، روى عن الإمام قوله: «**أُخْبُرْ تَقْلَه...**».

١٦٥ـ رواية (ابن عقدة) أحمد بن محمّد بن سعيد الكوفي الهمداني (ت٣٣٢هـ)، روى عن الإمام قوله: «**عجباً لابن النابغة...**».

١٦٦ـ رواية (ابن نباتة) للخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن محمّد الحذاقي الفاروقي (ت٣٧٤هـ)، روى عن الإمام قوله: «**أمّا بعد: فإنّ الجهاد باب من ابواب الجنّة...**».

١٦٧ـ رواية (أبي حبرة الضبعي) شيحة بن عبد الله المتوفّى بعد سنة ١١٢هـ

١٦٨ـ رواية (أبي عليّ الجبائي) محمّد بن عبد الوهاب البصري المعتزلي (ت٣٠٣هـ)، روى عن الإمام خطبته: «**أما والله، لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أن محلّي منها...**».

١٦٩ـ رواية (الحسين الأحوازي)، روى عن الإمام قوله: «**إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع**».

١٧٠ـ رواية (الإمام عليّ الهادي) ابن محمّد الجواد، روى عن أجداده قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**واصطفى سبحانه من ولده أنبياء...**».

١٧١ـ رواية (المرزباني)، روى عن الإمام خطبة له تحت الرقم ٨٣ من النهج، قوله عليه السلام: «**عجباً لابن النابغة...**».

١٧٢ـ كتاب (الزاهر) لابن الأنباري محمّد بن بشار بن الحسن (ت٣٢٨هـ).

١٧٣ـ (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) للرازي أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢ هـ).

١٧٤ـ (السقيفة وفدك) للجوهري أحمد بن عبد العزيز المتوفّى سنة (٤٠٥هـ)[١].

١٧٥ـ (السيرة النبوية) لابن إسحاق محمّد المطلبي(ت ١٥١ هـ).

١٧٦ـ (السيرة والمغازي) لابن إسحاق المتقدم ذكره.

١٧٧ـ (السنن) لابن ماجة محمّد بن زيد القزويني(ت ٢٧٥هـ).

١٧٨ـ (سنن الترمذي) محمّد بن عيسى بن سورة(ت ٢٧٩هـ).

١٧٩ـ (السنن الكبرى) للنسائي أحمد بن شعيب(ت ٣٠٣ هـ).

١٨٠ـ (سنن المصطفى) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)

١٨١ـ (الشرح والإبانة على أصول السنّة والديانة) لابن بطّة العكبري عبد الله ابن محمّد بن محمّد (ت ٣٨٧ هـ).

١٨٢ـ (شرح المقالات) للبلخي المتوفّى سنة (٣١٩هـ).

١٨٣ـ (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ).

١٨٤ـ (الصحاح) للجوهري إسماعيل بن حمّاد الفارابي المتوفّى سنة (٣٩٣ هـ).

١٨٥ـ (صحيح البخاري) محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت ٢٥٦هـ).

١٨٦ـ (صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ).

١٨٧ـ (صحيفة الإمام الرضا عليه السلام) ابن الإمام الكاظم عليه السلام، توفي سنة (٢٠٣هـ)، يروي كلام أمير المؤمنين عليه السلام بالسند المتصل.

١٨٨ـ طرق قول عليّ: «**يهلك فيّ رجلان: محبّ مفرط، وباهت مفترٍ**» للقاضي أبي بكر بن سالم التميمي (ت ٣٨٥هـ).

---

(١) كان معاصراً للرضي.

١٩٠ـ (عيون الجواهر) للشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين(ت ٣٨١ هـ).

١٩١ـ (العيون والمحاسن) للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العُكبري البغدادي (ت٤١٣ هـ).

١٩٢ـ (الغريبين) لأبي عبيد الهروي أحمد بن محمّد العبدي (ت ٤٠١ هـ).

١٩٣ـ (الفاخر) لابن عاصم المفضل بن سلمة صاحب الفرّاء (ت ٢٩١ هـ).

١٩٤ـ الفتن (لأبي عبد الله) نُعيم بن حماد بن الحارث الخزاعي (ت٢٢٨ هـ).

١٩٥ـ (الفصول المختارة من العيون والمحاسن) للمفيد محمّد بن محمّد النعمان (ت٤١٣ هـ).

١٩٦ـ (فضائل الإمام عليّ) للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ).

١٩٧ـ (فضائل الصحابة) لابن حنبل المتقدم ذكره.

١٩٨ـ (الفهرست) لابن النديم محمّد بن إسحاق(ت ٣٨٠ هـ).

١٩٩ـ (قضاء أمير المؤمنين) لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم (ت٣٠٧ هـ).

٢٠٠ـ كتاب (الخزّاز) لأبي جعفر أحمد بن الحارث الكوفي (ت٢٥٨ هـ).

٢٠١ـ (كلام عليّ وخطبه) للصيمري أبي العبّاس يعقوب بن أبي أحمد.

٢٠٢ـ (الكنى والأسماء) للدولابي محمّد بن أحمد بن حمّاد (ت ٣١٠ هـ).

٢٠٣ـ (اللمع) لابن السرّاج عبد الله بن عليّ الطوسي(ت٣٧٨ هـ).

٢٠٤ـ (ليس في كلام العرب) لابن خالويه الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ).

٢٠٥ـ (المؤتلف والمختلف) لابن دريد الأزدي محمّد بن الحسين(ت ٣٢١ هـ).

٢٠٦ـ (مثالب الوزيرين) لأبي حيّان التوحيدي عليّ بن محمّد البغدادي المتوفّى أواخر القرن الرابع.

٢٠٧ـ (المجازات النبوية)، للشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦ هـ).

٢٠٨ـ (المحيط في اللغة) للصاحب بن عبّاد بن العبّاس(ت ٣٨٥ هـ).

٢٠٩ـ (المستدرك على الصحيحين) للحاكم النيسابوري محمّد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)[١].

٢١٠ـ (المسند) لابن حنبل أحمد بن محمّد الشيباني(٢٤١هـ).

٢١١ـ (مسند أبي يُعلى) أحمد بن عليّ بن المثنى التميمي(٣٠٧ هـ).

٢١٢ـ (معجم مقاييس اللغة) أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ).

٢١٣ـ (المعرفة) لأبي إسحاق الثقفي الكوفي إبراهيم بن سعيد بن هلال (ت ٢٨٣ هـ).

٢١٤ـ (معرفة الحديث) للحاكم النيسابوري محمّد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ).

٢١٥ـ (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي المعتزلي عبد الجبار بن أحمد (ت ٤١٥ هـ)[٢].

٢١٦ـ (المقالات) لمحمّد بن الهيضم الكرامي (ت ٢٠٧ هـ).

٢١٧ـ (المقامات) لأبي جعفر الأسكافي محمّد بن عبد الله (ت ٢٤٠ هـ).

٢١٨ـ (الملاحم) للأحوازي الحسين بن سعيد بن حمّاد(ت ٢٢٩ هـ).

٢١٩ـ (المنصف في شرح تصريف المازني) لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢ هـ).

٢٢٠ـ (نثر الدرر ونزهة الأديب) للوزير أبي سعيد الآبي الرازي، منصور بن الحسين (ت ٤٢١ هـ).

٢٢١ـ (الهوامل والشوامل) لأبي حيّان التوحيدي عليّ بن محمّد البغدادي توفي أواخر القرن الرابع.

---

(١) كان معاصراً للشريف الرضي.

(٢) من متكلّمي المعتزلة وكبير علمائهم، وكان معاصراً للرضي.

٢٢٢ـ (الولاية) أو كتاب (الحَرْقُوصية) للطبري محمّد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).

القسم الثاني من مصادر الرضي

هناك مصادر وروايات صرح الرّضي بذكرها، وهي كما في (شرح النهج):

١ـ (البيان والتبيين) للجاحظ، في ج ٢: ٧٦

٢ـ (تاريخ الطبري)، في ج ٣: ٢٤٣.

٣ـ (الجَمل) للواقدي، في ج ٣: ١٤٩.

٤ـ (المغازي) لسعيد بن يحيى الأموي، في ج ١٥٠:٣.

٥ـ (المقامات) لأبي جعفر الأسكافي، في ج ٣: ١٢٢.

٦ـ (المقتضب) للمبرّد، في ج ٣: ٢٦٣.

٧ـ حكاية أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام، في ج ٣: ١٦٩.

٨ـ حكاية ثعلب عن ابن الأعرابي، في ج ٣: ٢٥٧.

٩ـ خبر ضرار الضبائي، في ج ٣: ١٦٦.

١٠ـ رواية أبي جحيفة في ج ٣: ٢٤٤.

١١ـ رواية كميل بن زياد النخعي في ج ٣: ١٨٦.

١٢ـ رواية مسعدة بن صدقة لخطبة الأشباح، في ج٢: ١٣٨.

١٣ـ روايتا نوف البكالي، في ج ٢: ١٢٤، و ج ٣: ١٧٣.

١٤ـ ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في (غريب الحديث)، في ج ٣: ٢١٢.

١٥ـ ما وجد بخط هشام ابن الكلبي، في ج ٣: ١٤٨.

الفصل الثاني

دعوات وشبهات

أثارها البعض حول نهج البلاغة

دعوات وشبهات أثارها البعض حول نهج البلاغة

يُعد (نهج البلاغة) من عيون الأدب العربي الخالد؛ إذ امتاز بإعجاز وبلاغة لا نظير لهما، فهو عظيم في مادته، ورفيع في أسلوبه، وشامل في مواضيعه، وصادق في رؤيته، إنّه نصّ متماسك، يهدف إلى بناء حضارة إنسانية مُثلى، وهو بهذا السبك لا يبلغ أحد شأوه، ولا يرقى إليه أديب مهما أُوتي من بلاغة وفطنة.

مع كلّ هذا فإنّ زمرة من المؤرخين من قدامى ومحدثين، قد شكّكوا في نسبة ما في (نهج البلاغة) إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بل تجاوز بعضهم إلى القول بأنّ جميع أو بعض (نهج البلاغة) منحول موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، وأنكروا الصلة بين (النهج) وبين الإمام علي عليه السلام، متشدّقين بأسباب عديدة ـ واهية ـ يزعمون أنّها مدعاة للشك أو القول بأنّه منحول.

فمن القدامى ابن خلّكان، ثم تبعه اليافعي في (مرآة الجنان)، والصفدي في (الوافي بالوفيات)، والذهبي في (ميزان الاعتدال)[1]، وابن حجر في (لسان الميزان)[2].

ومن المتأخرين جرجي زيدان في (آداب اللغة العربية)، وأحمد أمين في (فجر الإسلام)، ومحمّد كرد علي في (الإسلام والحضارة العربية)، وأحمد حسن

---

(١) المصدر ١: ١٠١.

(٢) المصدر ٤: ٢٢٣.

الزيات في (تاريخ الأدب العربي)، ومحمّد سيد گيلاني في كتابه (أثر التشيّع في الأدب العربي)، وآخرون كطه حسين، وشوقي ضيف... وأخيراً الدكتور نايف معروف في كتابه (الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ص: ٥٥).

أمّا دواعي التشكيك عند هؤلاء فيمكن حصرها بما يلي:

١ـ تشبّث البعض بالكم الذي هو عليه (نهج البلاغة)، فهو يشمل قدراً كبيراً من الخطب والرسائل وهذا مما يتعذّر حفظه.

٢ـ وآخرون تذرّعوا بالخطب الطويلة، فقالوا: إنّ التطويل غير مألوف عند البلغاء، كخطبة القاصعة، والأشباح، والعهد الذي كتبه لمالك الأشتر عندما أرسله الإمام والياً إلى مصر.

٣ـ اشتمال بعض كلامه على التعريض بالصحابة والطعن عليهم كما في الخطبة الشقشقية، لذا قال بعضهم: انّ (نهج البلاغة) منحول على أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ في بعض خطبه إنباء بالغيب، إذ أخبر عن أمور وقعت بعد عصره.

٥ـ في بعض الخطب جاء ذكر الوصي والوصاية، وهذا المصطلح ـ على حدّ زعمهم ـ لم يظهر إلاّ بعد استشهاده.

٦ـ في خطب عديدة من (النهج) تعرّض الإمام عليه السلام إلى الزهد والموت، وهذا ناتج من تأثير المسلمين بالنصارى وأهل التصوف.

٧ـ في بعض خطب (النهج) تقسيم المعاني والمسائل إلى أصناف، كتقسيم الاستغفار إلى ستة معان، والصبر إلى أربعة أقسام.

٨ـ بعض ما في (النهج) جاء الكلام فيه في وصف الحيوانات، إذ اشتمل هذا الوصف على معانٍ دقيقة بأسلوب لم يعرف إلاّ في العصر العباسي، كوصف

الطاووس، فمتى رأى الإمام الطاووس حتّى يصفه؟ ثم هناك وصف للجراد والقمّل والخفّاش والنمل.

٩ـ إنّ النهج قد اشتمل على سجع منمّق وصناعة لفظية لم تبرز إلاّ في العصر العباسي.

١٠ـ في جملة من خطب (نهج البلاغة) صيغ فلسفية ومفاهيم كلامية لم تعرف إلاّ في العصر العباسي، أي في أوائل القرن الثالث الهجري، وذلك حينما ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية.

١١ـ الكثير من أهل اللغة والأدب لم يستشهدوا بـ(نهج البلاغة).

١٢ـ اتسمت بعض رسائل الإمام وكتبه بالإسهاب والتفصيل، ولمّا كان الورق غير متوفّر في عصر الإمام بل كانوا يكتبون على الجلود والعظام واللخاف والبردي وعسب النخيل، إذاً من البعيد أن يكتب الإمام عهده للاشتر بهذا الإسهاب.

١٣ـ ادّعى البعض أنّ ما في (نهج البلاغة) قد يعزى بعضه إلى أدباء سبقوا الإمام علياًعليه السلام.

١٤ـ في بعض خطب (النهج) وصف دقيق للحياة الاجتماعية من جهة، وطعن على الولاة والقضاة من جهة أخرى، وكلا الأمرين لم يعرف بعد، وإنّما هو من سمات العصر العباسي.

١٥ـ في (النهج) خطب طال في صدرها الحمد والثناء، وهذا لم يُعرف بعدُ الاّ في العصر العباسي، وبالخصوص في خطب الجُمع والأعياد.

١٦ـ ادّعى البعض أنّ خطب (نهج البلاغة) لو كانت صادرة من الإمام لكانت موجودة قبل تصنيف الرضي.

هذه هي شبهات القوم التي أثاروها حول (نهج البلاغة).

ونحن آلينا على أنفسنا أن نختصر البحث ونجعله موجزاً آملين أن نبحثه بشكل مفصّل في مناسبة أخرى، ولكن هذا لا يعني أن نترك المقام بدون أجوبةٍ تصلح ردّاً على تلك الشبهات والشكوك.

جواب الشك الأول

إنّ العرب منذ عصرهم الجاهلي وإلى عدّة قرون من عصرهم الإسلامي كانوا يعتمدون الحفظ بدلاً من الكتابة، بل وكانوا يأنسون بحافظتهم القوية التي استودعت قلوبهم دواوين العرب وأيّامهم ومآثرهم، وهو شأن كلّ أمّة تسيطر عليها البداوة والأُميّة.

فقد امتاز العرب فيما قبل الإسلام وبعده بقوة حافظتهم وسرعة خاطرهم، وقد اعتمد المؤرّخون في عصر التدوين على أولئك، ورووا عنهم أيّام العرب ووقائعها، فهم رواية الخلف عن السلف، ولولا الحفظ والحفّاظ لضاع الكثير من تاريخ العرب وأنّه تاريخ لحقبة طويلة من الزمان.

ثم إنّ (النهج) قد ضم (٢٤٢) خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، و(٧٨) كتابا ورسالة، و(٤٩٨) حكمة ومثلاً، وهذا المقدار لا يساوي إلاّ العُشر من كلام علي عليه السلام، وإنّ حفظه ما أيسره لأبناء ذلك العصر، في الوقت الذي نجد اليوم صغار السنّ يحفظون القرآن وهم دون السنّ العاشرة والسابعة، فما بالك بأبناء القرن الأوّل الذين حفظوا القصائد الطوال والتاريخ المفصّل عن العرب ووقائعه وأيّامه؟!

أضف إلى ذلك أنّ الذي حفظ (النهج) لم يكن واحداً ولا اثنين ولا ثلاثة بل هم بالعشرات، وأنّ كل واحد كان له نصيب من الحفظ، فالبعض حفظ خطبة أو خطبتين أو رسالة أو عهداً أو كتاباً، والآخر حفظ هذه الخطبة أو تلك... وهلّم جرا.

وبمعنى آخر: لم يدّعِ أحد أنّه حفظ جميع ما ضمّه (النهج) بين دفّتيه، فأيّ إشكال في تظافر مجموعة من الناس في كلّ زمان أن يحفظوا ما تيسّر لهم أو الذي طمحت إليه أنفسهم فحفظوها، فيتمّ بمجموع ما حُفظ مجموع (النهج).

ومثال واحد يميط اللثام عن تلك الشكوك، ذلك أنّ عبد الحميد الكاتب كان يحفظ سبعين خطبة من خطب الإمام علي عليه السلام، وأنّ ابن نباتة كان يحفظ مائة فصل من مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم لا يخفى عليك أنّ رسائل الإمام وكتبه وبعض خطبه كانت مكتوبة مدوّنة، وهذا ممّا يسهّل بقاءها والاحتفاظ بها، وما كان كذلك لا يصعب حفظه.

ذكر أكثر من مؤرّخ أنّ خطبة الإمام عليه السلام في الجهاد ـ أنّه باب من أبواب الجنة ـ كانت مكتوبة بخطّه عليه السلام، وأمر غيره بإلقائها على الناس[1].

ونقل ابن قتيبة الدينوري في صفحات عديدة من كتابه (الإمامة والسياسة) المكاتبات بين علي عليه السلام ومعاوية، وبين عليّ وعمّاله، وبين معاوية وأصحابه[2]، فماذا تعني تلك الكتب؟ ألم يكن هناك وفرة من الورق والقرطاس، وإلاّ ماذا تفسّر هذه الكتب الصادرة عن علي عليه السلام أو عن عمّاله أو من خصُومه من هنا وهناك، سواء كان مبدؤها العراق أو الشام أو مصر أو بلاد فارس..؟!

وعليه فإنّ جميع تلك الخطب والرسائل والكتب قد حفظها الناس تباعاً.

يقول المسعودي: (والذي حفظ الناس عنه من خطبه عليه السلام في سائر مقاماته أربعمائة خطبة، ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً)[3].

---

(١) الأخبار الطوال (الدينوري): ١٩٥. شرح النهج (ابن أبي الحديد) ١: ١٤٥ نقلاً عن كتاب (الغارات) للثقفي. وسفينة البحار ١: ٣٩٦ برواية الأصبغ بن نباتة ٢: ٤٦٦.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٥٤ ما كتبه عليه السلام لأهل العراق.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٤٣١

وفي الإطناب يقول الدكتور زكي مبارك: (وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل وأنه كان يخطب أحياناً نصف يوم أثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة، وذلك يدل على أنّ الفطرة كانت غالبة على ذلك العصر، وأنّ القاعدة المطردة لم تكن شيئاً آخر غير مراعاة الظروف، ورسائل علي بن أبي طالب وخطبه ووصاياه وعهوده إلى ولاته تجري على هذا النمط، فهو يطيل حين يكتب عهداً ليبيّن فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه، ويوجز حين يكتب إلى بعض خواصّه في شيء معيّن لا يقتضي التطويل)[1].

جواب الشك الثاني

أمّا الشك الثاني وهو ما يتعلّق بالخطب الطويلة فإنّ حفظها ووعيها متعذر، وهكذا قل عن العهد الذي بعثه عليه السلام إلى الأشتر. هذا الشك أورده الگيلاني في كتابه (أثر التشيع في الأدب العربي ص: ٥٦).

ردّنا عليه من وجوه:

أوّلاً: أنّ العهد الذي بعثه الإمام للأشتر كان مكتوباً فمن السهل حفظه ووعيه.

ثانياً: أنّ الكثير من الناس يحفظون اليوم القرآن الكريم عن ظهر قلب والذي يناهز على ٦٠٠ صفحة.

ثالثاً: أنّ هناك خطباً طويلة لملوك وأمراء قد حفظها الناس، كخطبة (هرمز) ملك الفرس قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد رواها الدينوري في (الأخبار الطوال ص٧٧). وكتاب طاهر بن الحسين إلى ولده محمّد قد بلغ مائة وتسعة وثلاثين سطراً ذكره ابن خلدون في مقدمته.

---

(١) النثر الفني ـ زكي مبارك ١/ ٩٥

رابعاً: أنّ العهد الذي كتبه الإمام عليه السلام إلى الأشتر واليه على مصر تضمّن مجموعة قوانين قد سنّها أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر واليه أن يجعلها نصب عينيه؛ لأنها عبارة عن بنود الشريعة التي تنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم، أو قل: علاقة الحاكم بالمسؤولين من القضاة والقوّاد وجباة الأموال والجند وغيرهم ممّن له عمل إداري أو رسمي.

وهكذا تنظيم علاقة الحاكم بالرعية الذي منهم العامل والتاجر والفلاّح.

وعليه فلابدّ من أن تنظّم جميع هذه العلاقات على ضوء الشريعة الغرّاء، ولأنّ الظرف السياسي في ذلك العصر يتطلّب ذلك.

جواب الشك الثالث

وأمّا الشك الثالث: أنّ في بعض خطبه عليه السلام تعريض بالصحابة والنيل منهم كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأضرابهم.

أقول: كإنّما القائل بهذا الشك قد نسي الأحداث التي كانت على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله والحروب والغزوات التي وقعت، وكأنّما حجب عينيه وأصمّ أذنيه عن سورة (المنافقون) وعشرات الآيات التي نزلت في حق البعض من الصدر الأوّل، فَمَنْ المخاطب بتلك الآيات؟! أليس هم ممّن يدّعون الصُحبة؟!

وهل غابت عن ذلك المشكك آيات اللعن؟ إذ ورد اللعن في الكتاب العزيز في موارد عديدة، فلينظر إلى الآيات: النساء: ٩٣، البقرة: ١٥٩، التوبة: ٦٧، الأحزاب: ٥٧، ٦٨، سورة محمّد: ٢٣، الفتح: ٦، النور: ٧ و ٢٣، الأعراف: ٤٤، الرعد: ٢٥، الإسراء: ٦٠.

فإنّ جُل هذه الآيات تتعرض لبعض من يدّعي الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله.

إذاً هل جميع الصحابة في منزلة واحدة من التقديس والتقدير؟

وقد ورد قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، إنّما التفاضل هو بالتقوى وبالأعمال الصالحة.

فهل غاب عن أولئك جريمة خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة وتَزوّج بامرأته في ليلتها؟! وإلاّ فلماذا عزله عمر بن الخطاب؟!

وهل غاب عنهم الدماء التي جرت في حرب البصرة وكان سببها طلحة والزبير و...؟

أو أنّه غاب عنهم الدماء التي جرت في صفّين وكان سببها معاوية وعمرو ابن العاص و...

عجباً لهؤلاء الذين يقرؤون ـ في بطون الكتب وصفحات التاريخ ـ الأخبار المفصّلة عمّا جرى في صدر الإسلام من أحداث السقيفة والحروب والغزوات التي حدثت في النصف الأول من تاريخ الحكومة الإسلامية وبالخصوص الأحداث التي جرت في زمن حكومة عثمان بن عفّان، إنّهم يقرؤون كل هذا ومع ذلك يستثقلون كلام أمير المؤمنين عليه السلام!

وكإن لم يكن هناك انحراف، واعتداء وغصب وسلب الأموال وقتل الأبرياء؟!

فهناك ظلم الحكّام والأمراء، وارتشاء القضاة وسوء سريرتهم، وهناك الفسق والفجور، وشيوع الخمرة في وسط الأمراء الذين نصّبهم عثمان، وحادثة والي الكوفة لا تغيب عن الأنظار إذ شرب الخمر وصلّى بالمسلمين صلاة الصبح أربع ركعات، وألقى ما في رأسه في المحراب.

---

(١) الحجرات: ١٣.

ثـم هـناك الغـصب، وسرقة أموال المسلمين، والتمادي في الظلم، واللعب بمقدرات المسلمين، كل ذلك تجده في كتب التاريخ والسيرة.

مـضافاً إلـى ذلـك الفقـر المتفـشي بـين الـناس، والتذمّر من الوضع السياسي الخانق، حتى أدى ذلك إلى إراقة الدماء، وهتك الأعراض، وسلب الأموال...

ألا تكـون هـذه الحالة مدعاة للإمام أن يقف أمام كل هذا الاضطراب فينصح الوالي والحاكم وقائد الجند والعاملين على الخراج وجباية الزكوات..؟!

أليس من شأن الإمام أن يصلح ما فسد من امور الناس؟

فكـيف والحال هذه لا يتكلّم الإمام بما يرضي الله؟ أليس من وظائفه الشرعية الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر؟ ألـيس مـن وظائفـه الجهاد في سبيل الله؟ والجهـاد على أقسام، منه بالسيف، ومنه بالكلمة، وهذا قطعاً يستوجب على الإمام أن يُعرّض بالصحابة الذين تصدّوا للحكومة.

لهـذا تجـده عليه السلام ناصـر الفقيـر والمظلوم، وناهض الجائر الغشوم، ورفع صوته بـوجه الطغاة والخونة من الولاة، فلا عجب أن يتطرّق عليه السلام لسير الأحداث وما قامَ بـه مَـن سـبقوه مـن أعمـال وتـصرّفات لا تمُتُّ إلى روح الإسلام بصلة، والجميع يعلـم أن أميـر المؤمنـين لا تأخذه في الله لومة لائم، فليدّعِ البعض أنّ كلامه ذاك فيه طعن على الصحابة.

إنّ الـشك الـذي تقدّم به الذهبي وابن تيميّة إنّما هو نهج من سبقهما، القائم على تنـزيه الـصحابة كافـة دون أي استثناء، في الوقت الذي ينقل لنا التاريخ أنّ الخصومات فـيما بيـنهم كانت قائمة بمرأى ومسمع من الرسول، وأنّ بعضهم كان يسبّ البعض الآخر ويشتمه، بل وصل بهم أن يتراشقوا النعال بدلاً من الحجارة[١].

---

(١) الفصول المهمة: ١٤٦.

وعليه فإنّ النهج الذي اتبعه الذهبي وابن تيميّة يمتّ صلة بفكرة الإرجاء والمرجئة، ومن هذا المذهب ظهرت فكرة تنزيه الصحابة وعدم الخوض في أفعالهم وتصرفاتهم، بل أدّى بهم أن يفتوا بصواب أعمالهم وأنّ لهم الأجر الجزيل؛ لأنّه اجتهاد، فإذا أصاب الصحابي باجتهاده فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، فهذا خالد يقتل نفساً بريئة تشهد الشهادتين وأنّ المسلم دمه وعرضه وماله حرام، إلاّ أنّ ابن الوليد على حسب رأي ابن تيمية والذهبي قد اجتهد فأخطأ فله اجر! فأين إذاً قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً...﴾[1]؟.

ثم ماذا يقول هؤلاء في نهب الأموال في زمن عثمان على يد مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وزعماء بني أميّة؟

ألم تقل أُم المؤمنين في حقّ عثمان لمّا ضرب ابن مسعود حتّى كسر أضلاعه: اقتلوا نعثلاً فإنّه كفر؟!

وفي ذلك يقول عبد بن أمّ كلاب ـ وهو عبد بن أبي سلمة ـ مخاطباً عائشة بعد مقتل عثمان[2]:

فمنكِ البداءُ ومنكِ الغير ومنكِ الرياحُ ومنكِ المطر

وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلتِ لنا إنّه قد كفرْ

فهبنا أطعناكِ في قتله وقاتله عندما مَن أمرْ

ولم يسقط السقفُ من فوقنا ولم تنكسفْ شمسُنا والقمرْ

(١) المائدة:٣٢.

(٢) الفتنة وواقعة الجمل: ١١٥، بيروت دار النفائس.

وماذا يقول هؤلاء لمّا أقدم عثمان بن عفان على نفي الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري إلى الربذة حتّى مات هناك وحيداً فريداً في غربة عن الوطن والأهل[١]؟

لا يسعني المقام أن أسرد تلك الويلات والمحن التي جلبها بعض الصحابة للإسلام والمسلمين، فلا زال طعمها المرّ يتذوّقه كلّ مسلم.

وعليه أنّ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام الشقشقية التي تعرّض بها للخلفاء الثلاثة وطلحة والزبير وعائشة إنّما هو الواقع المرير الذي كان يعيشه المسلمون، وقد حاول أصحاب الأطماع ومحبّو الرئاسة أن يخدعوا عوامّ الناس فلا يتعرّضوا لسياسة أولئك النفر حتى لا يستفيد هذا الخلف من سقطات ذلك السلف بشكل أو آخر، وعلى هذا الأساس اختلقوا الأحاديث ونسبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو بريء منها، كقولهم: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وقولهم: (ايّاكم وما شجر بين أصحابي).

أيّ منطق هذا أن يساوى بين الفاسق الفاجر والمؤمن التقي؟! هذا طريد رسول الله صلى الله عليه وآله مروان بن الحكم هل من المنطق السليم أن يجعله المسلمون قدوة لهم؟!

أم ذاك أبو سفيان الذي ما خرجت كتيبة ولا رفعت راية لحرب الرسول صلى الله عليه وآله إلاّ وهو قائدها؟!

علينا أن نحكّم العقل والمنطق، اليوم أصبحت الشعوب واعية تبحث عن كلّ ما جرى في التاريخ، وما مبتغاها في ذلك إلاّ أن تتبع الهدى والصراط الواضح والنهج السوي.

---

(١) يكفي القارىء النبه أن يستعرض فصول السقيفة وما دار فيها من شجار وطعن ولعن وتفسيق حتّى شهر بعضهم السلاح، وكان التهديد بالحرب والإجلاء عن المدينة، أنّه النزاع بين القرشيين والخزرج.

إذاً ما تناوله أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية أو خطبته التي تعرّض فيها للمنافقين وما فيهما من نقد وطعن إنّما كان نتيجة للمواقف العدائية الصارخة التي وقفها هؤلاء، وقد انقدحت من تلك المواقف الحاقدة حروب ذهب ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين، ترى يسكت أمير المؤمنين حيال هذه الجرائم التاريخية؟!

وعليه، فإنّ هذه الخطبة ـ وغيرها من الخطب ـ بل كلّ ما في (النهج) هو للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلا منازع، وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: لا يخلو إمّا أن يكون كلّ (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولاً، أو بعضه. والأول باطل بالضرورة؛ لأنّا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدّثون كلّهم ـ أو جلّهم ـ والمؤرخون كثيراً منه ـ [أي من (النهج)] ـ وليسوا من الشيعة ليُنسَبُوا إلى غرض في ذلك.

والثاني يدل على ما قلناه؛ لأن من قد أنِسَ بالكلام والخطابة وشَدَا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لابدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصل والمولّد، وإذا وقف على كرّاس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرّق بين الكلامين، ويميّز بين الطريقتين...

وأنت إذا تأملت (نهج البلاغة) وجدته كلّه ماءً واحداً، ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعضٌ من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوّله كوسطه، وأوسطه كآخره، وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض (نهج البلاغة) منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن

ذلك كذلك، فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضَلالُ مَن زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام[١]. انتهى ما نقلناه عن ابن أبي الحديد في صدد نسبة (نهج البلاغة) إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

بعد هذا علينا أن نفهم منزلة الصحابة.

أقول: يمكن تصنيف الصحابة إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الاول: من أبلى بلاءً حسناً وجاهد في سبيل الله ورحل إلى ربّه بأحسن وفادة وهو راضٍ مرضي. وهذا الصنف قد مدحه القرآن الكريم، وهم: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**[٢].

وكما مدحهم القرآن، فقال سبحانه: **﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾**[٣].

ولم يحدثوا بعد رسول الله حدثاً.

الصنف الثاني: تخاذل عن الحق ولم ينصر الباطل، وقد ذمّهم القرآن الكريم، إلاّ أنّهم لم يحدثوا شيئاً من بعده صلى الله عليه وآله. فهولاء أقلّ شأناً ممّن سبقهم وعلى الله حسابهم.

الصنف الثالث: الذين غيّروا وبدّلوا وحرّفوا كلام الله وأحدثوا من بعد الرسول صلى الله عليه وآله روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: **«أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: ربّي أصحابي.فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠: ١٢٨.

(٢) الواقعة: ١٠ ـ ١٢.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) صحيح البخاري ٦: ١٠٨ و ٨:١٢٠ صحيح مسلم ٤: ١٧٩٣. تهذيب التهذيب٨: ٥١.

وروى مثله البخاري عن سهل بن سعد وزاد عليه: «**فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي**».

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ١: ٣٨٤ و٤٠٢ و ٤٠٦ و٤٠٧ و٤٥٣ و٤٥٥. و ج٢: ٢١٨ وج ٥: ٤٨ و ٥٠ و٣٩٣.

ورواه المتقي الهندي في (كنز العمال) ٧: ٢٢٤ عن ابن مسعود، وفي (ص٢٢٥) عن سمرة. وج ٦: ٤٢٤.

ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة في الوضوء عن أبي هريرة.

ورواه في كتاب الفضائل في باب إثبات حوض نبينا، الحديث ٢٦.

ورواه ابن ماجة في صحيحه في أبواب المناسك في باب الخطبة يوم النحر عن ابن مسعود.

ورواه ابن جرير في تفسيره ٤: ٢٧ بسنده عن قتادة.

ورواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج ١٠: ٣٦٤ عن سمرة، والصفحة ٣٦٥ عن ابن مسعود.

و(الجامع الصحيح) للترمذي ٤: ٦١٥.

و(سنن النسائي) ٤: ١١٧.

فبماذا تفسّر هذا الحديث الشريف؟

مَن الذين أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله؟

روى ابن حجر في (الإصابة) بسنده عن سعيد بن منصور، قال: حدّثنا خلف ابن خليفة، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، عن أبي سعيد، قلنا له: هنيئاً لك برؤية النبي صلى الله عليه وآله وصحبته. قال: **إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده**[١].

ومثله في (صحيح البخاري) في كتاب بدء الخلق في باب غزوة الحديبية.

---

(١) الإصابة ٣: القسم الأول، ص ٨٤

وفي (طبقات ابن سعد) بسنده عن إسماعيل بن قيس، قال: قالت عائشة عند وفاتها: إني قد أحدثت بعد رسول الله فادفنوني مع أزواج النبي صلى الله عليه وآله.

وفي (تهذيب التهذيب) روى ابن حجر بسنده عن الآجري قال: قال عمرو بن ثابت: لمّا مات النبي صلى الله عليه وآله كفر الناس إلاّ خمسة... إلى آخره[١].

أقول: وممّا يؤيّد ما سبق الآيات الواردة في بعضهم، إذ فيهم الذين (ابتغوا الفتنة)[٢].

ومنهم (من يقول ائذن لي ولا تفتني)[٣].

ومنهم مَن لمز النبي (في الصدقات)[٤].

ومنهم مَن آذاه وقالوا: (هو أُذن)[٥].

ومنهم من كان في قلبه مرض، ومنهم الذين اعتذروا في غزوة تبوك وكانوا بضعة وثمانين رجلاً وحلفوا للنبي فقبل منهم لكن نزلت فيهم آيات تكذّبهم وهي قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٦].

وفي الآية اللاحقة التصريح بعدم رضا الله عن هؤلاء، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٧].

---

(١) تهذيب التهذيب ٨: ١٥.

(٢) التوبة: ٤٨.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) التوبة: ٥٨.

(٥) التوبة: ٦١.

(٦) التوبة: ٩٥.

(٧) التوبة: ٩٦.

وفـي هـذه الغزوة أقدم أربعة عشر منافقاً على الفتك برسول الله في ظلمات الليل عـند عقـبة هـناك، ولمـا انـصرف النبـيﷺ مـن هـذه الغزوة إلى المدينة كان في الطـريق مـاء يخـرج مـن وشل بوادي المشقق، فقال رسول اللهﷺ: «**من سبق إلى ذلك الماء فلا يسقين منه شيئاً حتّى نأتيه**»، فـسبقه إليه نفر من المنافقين واستقوا ما فـيه، فلمـا أتـاه رسـول الله وقف عليه فلم يرَ فيه شيئاً، ولمّا علم النبي بأمر المنافقين، قال: «**أولم ننههم أن يستقوا منه شيئاً حتّى نأتيه؟!**». ثم لعنهم ودعا عليهم[1].

روى الـبخاري عن زيد بن ثابت: لما خرج النبيﷺ إلى أُحد رجع ناس من أصـحابه، فقالت فرقة منهم: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت الآية الكريـمة: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ...**﴾[2].

قال الراغب في مفرداته: أركسهم أي ردّهم إلى الكفر.

ومـن الصحابة من نزل فيه قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3].

والتفصيل في هذا الموضوع يطول؛ لأنّ الشواهد القرآنية في الكشف عن هذا الـصنف الـثالث كثيرة جداً، وعليه فالصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم مـا عليهم[4]، واعتـبارهم جمـيعاً عدولاً مكابرة شديدة، ومن رفض محاسبتهم أو نقـدهم أو تجـريحهم إنّمـا يـرفض قـول الله العزيـز ومـا جـاء فـي حقّهـم بصريح القرآن، وقد أشرنا إلى جملة منها.

---

(١) أضواء على السنّة المحمدية: ٣٥٣.

(٢) النساء: ٨٨.

(٣) التوبة: ١٠٧.

(٤) أضواء على السنة المحمدية (محمود أبو ريّة): ٣٢٢.

وفي هذا أمر النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام عليّ عليه السلام أن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؛ لأنّ جميعهم قد خرجوا عن الحق، فهم أضلوا سبيلاً، وكانت خاتمتهم الخسران المبين، وكما قيل: إنّ الأمور بخواتيمها.

جواب الشك الرابع

أمّا الشك الرابع وهو اعتراض البعض على أنّ في (النهج) إنباء بالغيب، كإخباره بملك الأمويين وقيام دولتهم، وبعدها دولة بني العباس، وكإخباره في ظهور الفتن والثورات، كثورة الزنج وظهور التتار...[1].

أقول: ردّ هذا الاعتراض من وجوه:

أوّلاً: أنّ الإمام عليه السلام لم يدّعِ هذا الغيب، بل نفاه عنه في تصريح منه للرجل الكلبي في كلام وقع منه في وصف الأتراك فقال للرجل وكان كلبياً: «**يا أخا كليب، ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم وإنّما علم الغيب علم الساعة، وما عدّده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾[2]**».

ثانياً: أنّ الغيب من الأمور المختصة بالله سبحانه ولكنّه، تعالى يجوز له أن يُطْلِعَ من يشاء من عباده عليه، وذلك قوله تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[3].

ثالثاً: الجميع يعلم أنّ الإمام علياً عليه السلام تربّى في حجر النبيّ منذ نعومة أظفاره، وعنه أخذ علومه، وكان هو مؤدّبه ومعلّمه وموضع سرّه، وكثرت المناجاة بينهما

---

(١) انظر: أثر التشيع في الأدب العربي: ٥٧.

(٢) لقمان: ٣٤.

(٣) الجن: ٢٦.

حتّى قال عليه السلام: **«علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم ألف باب يفتح لي من كلّ باب ألف باب»**[١].

وكما قال في حقّه النبيّ صلى الله عليه وآله: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**[٢]، وأحاديث من هذا كثير. إذاً علمه عليه السلام بتعليمٍ من النبي وتسديد من الله سبحانه.

رابعاً: أنّ كتب الصحاح قد أفردت باباً خاصاً في تلك المغيّبات وذلك تحت عنوان: (كتاب الفتن واشراط الساعة) وجلّها تتضمن أنباء الغيب، ومن ذلك في (صحيح مسلم) و(البخاري):

باب الخسف بالجيش الذي يتوجّه إلى بيت الله الحرام[٣].

باب فتح القسطنطينية وخروج الدجّال ونزول عيسى بن مريم[٤].

باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس[٥].

باب إقبال الروم وحربهم للمسلمين عدة مرات.

باب الآيات التي تكون قبل قيام الساعة[٦].

باب لا تقوم الساعة حتّى تخرج نار من أرض الحجاز[٧].

باب لا تقوم الساعة حتّى تقاتلوا قوماً كأنّ وجوههم المجان المطرقة، ونعالهم الشعر، وهم قوم صغار الأعين ذلف الأنوف حمر الوجوه، وهم من الترك[٨].

---

(١) ينابيع المودّة ١: ٢٣١. فرائد السمطين ١: ١٠١.
(٢) المستدرك للحاكم ٣: ١٢٦. كنز العمال ٦: ١٥٢.
(٣) صحيح مسلم ٨: ١٦٦.
(٤) صحيح مسلم ٨: ١٧٥.
(٥) صحيح مسلم ٨: ١٧٦.
(٦) المصدر السابق ٨: ١٧٨.
(٧) المصدر السابق ٨:١٨٠.
(٨) المصدر السابق ٨: ١٨٤.

وهكذا تجد أغلب هذه الأنباء في (صحيح البخاري)[(١)].

جواب الشك الخامس

أمّا الشك الخامس فإنّ المعترض يعجب من كلمة (وصي)، و (الوصاية) التي وردت في بعض كلامه عليه السلام[(٢)].

أقول: والردّ على الگيلاني صاحب هذا الاعتراض من وجوه:

أوّلاً: أنّ حديث الدار يكفي ويغني عن كلّ جواب، قال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا جمع عمومته وزعماء قريش وهم يومئذ أربعون رجلاً: **«فأيّكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟»**. فأحجم القوم ولم يجبه أحد إلاّ الإمام عليّ عليه السلام، فقال مخاطباً للجمع: **«إنّ هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»**[(٣)].

أقول: وهناك أحاديث كثيرة صدرت عنه صلى الله عليه وآله وردت فيها كلمة (الوصي) وقد أراد بها صلى الله عليه وآله ما عقده للإمام علي في كونه وصيّاً على الأمة من بعده.

ثانياً: ما ردّده الشعراء وما جرى على ألسنة الناس:

قال جرير بن عبدالله البجلي[(٤)]:

وصيّ رسول الله من دون أهله ... ووارثه بعد العموم الأكابر

وقال حجر بن عدي الكندي الشهيد[(٥)]:

---

(١) صحيح البخاري ٩: ٣٩ ـ ٤٧.

(٢) المعترض هو الگيلاني في كتابه (أثر التشيع في الأدب العربي): ٦٦.

(٣) رواه أهل الصحاح والسنن، فراجع على سبيل المثال: مسند أحمد بن حنبل ١: ١١١و١٥٩. وللتفصيل أنظر: المراجعات (شرف الدين): ١١٨، المراجعة ٢٠.

(٤) وقعة صفّين (ابن مزاحم المنقري): ٢٥.

(٥) وقعة صفّين (ابن مزاحم المنقري): ٢٥.

فإنّــــه كـــــان لـــــنا ولـــــياً ثـــم ارتـــضاه بعـــده وصـــيّا

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب[(١)]:

فـيكم وصـيّ رسـول الله قائـدكم وأهلـه وكـتاب الله قـد نـشرا

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي[(٢)]:

يقـودهم الوصـي إلـيك حتّـى يـردّك عـن غـواتك وارتـياب

وقال بريدة الأسلمي[(٣)]:

أمــــر النبـــــي معاشــــراً هــــم أســــرة ولهــــا ذم

أن يدخلــــوا ويـــــسلّموا تـــسليم مَـــن هـــو عـــالم

أنّ الوصـــــيّ لــــه الإمـــــا مـــة بعـــده والقـــائم

وقـال الـصحابي الجليل خزيمة بـن ثابـت (ذو الـشهادتين) يعاتـب عائشة لمّا خرجت إلى حرب أمير المؤمنين عليه السلام في البصرة[(٤)]:

أعـائشُ خلّـي عـن علـيّ وعيـبه بمـا لـيس فـيه إنّمـا أنـت والـده

وصـيّ رسـول الله مـن دون أهله وأنـت على ما كان من ذاك شاهده

وقـال الـصحابي الجلـيل أبـو الهيـثم بـن التـيهان يعرّض بطلحة والزبير وعائشة الذين نكثوا بيعة أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) وقعة صفّين (ابن مزاحم المنقري): ٢٥.

(٢) وقعة صفّين (ابن مزاحم المنقري): ٢٥.

(٣) الصراط المستقيم ٣: ١١٠. تقرب المعارف: ١٩٤.

(٤) نسمة السحر ٢: ٢٤٠. الأوائل: ٩٩. أخبار شعراء الشيعة: ٥٨.

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا … نحن الذين شعارنا الأنصار

نحن الذين رأت قريش فعلنا … يوم القليب أولئك الكفار

كنا شعار نبينا ودثاره … يفديه منا الروح والأبصار

إنّ الوصّي إمامنا ولينا … برح الخفاءُ وباحت الأسرار[1]

وفي (المناقب): مرّ ابن عبّاس بنفر يسبّون علياًعليه السلام، فقال: أيّكم السابّ الله؟ فأنكروا.

قال: أيّكم السابّ لرسول الله؟ فأنكروا.

قال: فيكم السابّ لعلي؟

قالوا: فهذا نعم، قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «**من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله فقد كفر**».

ثم التفت إلى ابنه فقال: قل فيهم، فقال:

نظروا إليك بأعين محمرّة … نظر التيوس إلى شفار الجازر

غزر الحواجب خاضعي أعناقهم … نظر الذليل إلى العزيز القاهر

سبّوا الإله وكذّبوا بمحمّد … المرتضى ذاك الوصي الطاهر

إحياؤهم عار على أمواتهم … والميّتون فضيحة للغابر[2]

وقال حسان بن ثابت يمدح علياً بلسان الأنصار:

حفظت رسول الله فينا وعهده … اليك ومن أولى به منك من ومن؟

ألست أخاه في الهدى ووصيّه … وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن؟[3]

---

(1) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤٣. الفتوح٢: ٣٠٧. الدرجات الرفيعة: ٣٢٢.

(2) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٢١ نقلاً عن (الولاية) للطبري، و(الإبانة) للعكبري.

(3) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥ نقلاً عن الموفّقيات للزبير بن بكّار.

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أُحِـبّ محمّـداً حـبّاً شـديداً وعباسـاً وحمـزة والوصـيّا
أُحـبّهم لحـبّ الله حتّـى أجـيء إذا بعـثت علـى هـويا
هـوى أعطيـته مـنذ استدارت رحـى الإسـلام لـم يعـد سـويا
يقـول الأرذلـون بـنو قـشير طوال الدهـر مـا تنسى عليا؟[(١)]

وفي هذا المقام يجدر بي أن أذكر حديث أُم سلمة:

عن أم سلمة في معرض حديثها مع مولى لها كان يبغض علياً عليه السلام، قالت له: أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يومي، وإنّما كان نصيبي في تسعة أيّام يوماً واحداً، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهو يتخلل أصابعه في أصابع علي عليه السلام واضعاً يده عليه، فقال: **«يا أُم سلمة، أخرجي من البيت وأخليه لنا»**، فخرجت وأقبلا يتناجيان وأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان، حتّى إذا قلت: قد انتصف النهار، وأقبلت وقلت: السلام عليكم، ألج؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«لا تلجي وارجعي مكانك»**، ثم تناجيا طويلاً، حتّى قام عمود الظهر، فقلت: ذهب يومي وشغله عليّ، فأقبلت أمشي حتّى وقفت على الباب، فقلت: السلام عليكم، ألج؟

فقال صلى الله عليه وآله: **«لا تلجي»**. فرجعت وجلست مكاني حتّى إذا أنا قلت: قد زالت الشمس الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، ولم أرقط أطول منه أقبلت أمشي حتّى وقفت على باب الدار فقلت: السلام عليكم، ألج؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **«نعم، فلجّي»**، فدخلت وعلي عليه السلام واضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله قد أدنى فاه في أذن النبي صلى الله عليه وآله وفم النبي صلى الله عليه وآله على أذن علي يتساران،

---

(١) الكامل (المبرد) ٢: ١٣٠.

وعلي يقول: «**أفأمضي وأفعل؟**»، والنبي صلى الله عليه وآله يقول: «**نعم**».

فدخلت وعليّ معرض وجهه حتّى دخلت وخرج، فأخذني النبي صلى الله عليه وآله وأقعدني... ثم قال: «**يا أم سلمة، لا تلوميني فإنّ جبرئيل أتاني بأمر من الله تعالى يأمرني أن أوصي به علياً من بعدي، وكنت بين جبرئيل وعلي؛ جبرئيل عن يميني، وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر علياً بما هو كائن بعدي، فاعذريني ولا تلوميني، إنّ الله اختار من كلّ أمّة نبياً، واختار لكلّ نبيّ وصيّاً، فأنا نبيّ هذه الأمّة، وعلي وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأمّتي من بعدي**»(١).

وختاماً لهذه الفقرة نذكر ما ورد عن المستنصر العباسي:

خرج المستنصر يوماً إلى زيارة قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ومعه السيّد محمّد بن علي الأقاسي، فقال له المستنصر وهما في الطريق: إنّ من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من مجيء علي بن أبي طالب من المدينة إلى المدائن لمّا توفّي سلمان الفارسي، وتغسيله إيّاه ورجوعه من ليلته.

فأجابه السيد المذكور بقول أبي الفضل التيمي في ردّ من أنكر ذلك:

أنكرت ليلة إذ سار الوصي ... إلى المدائن لمّا أن لها طلبا

وغسّل الطهرَ سلماناً وعاد إلى ... عراص يثرب والإصباح ما وجبا

وقلت ذلك من قول الغلاة وما ... ذنب الغلاة إذا لم يذكروا كذبا

فآصف قبل ردّ الطرف من سبأ ... بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا

فأنت في آصف لم تغلُ فيه بلى ... في حيدر أنا غال إنّ ذا عجبا

إن كان أحمد خير المرسلين فذا ... خير الوصيين أو كل الحديث هبا

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٨٧

جواب الشك السادس

أمّا الشك السادس: أنّ في (النهج) إشارة إلى الزهد والموت، وهذا ناتج من تأثر المسلمين بالنصارى...

هذا القول في غاية الوهن والضعف والتردّي، وصاحبه في غاية البلادة والسذاجة إن لم نقل عنه في غاية البغض والعداوة لأمير المؤمنين عليه السلام.

إنّ زهد الإمام عليه السلام هو الذي ندب إليه القرآن الكريم وحثّت عليه الآيات البيّنات، فكم من آية جاءت الدنيا فيها مذمومة...

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿...تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ..﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[7].

---

(١) البقرة: ٢١٢.

(٢) النساء: ٧٧.

(٣) النساء: ٩٤.

(٤) الأنعام: ٣٢.

(٥) الأنعام: ٧٠.

(٦) هود: ١٥ ـ ١٦.

(٧) الجاثية: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمرنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾(٦).

هذه وآيات عديدة أُخر.

---

(١) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩.

(٢) لقمان: ٣٣.

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) يونس: ٧.

(٥) يونس: ٢٤.

(٦) الحديد: ٢٠.

الدنيا وما فيها بمثابة متعة ليس إلاّ، فهي زائلة، وليس من ركن إليها بممدوح، إنّها الدنيا التي ذمّتها الآيات وزهّدنا فيها أمير المؤمنين عليه السلام، لكن ليس الزهد ـ كما فهمه البعض ـ ألا تملك فيها شيئاً، وليس من الزهد أن تلبس المسوح وتنأى عن المجتمع وتترك العيال كلاً على غيرك، بل يكفيك من الدنيا ما تصون به ماء وجهك وعرضك.

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾(١).

وبمثل ذلك جاءت نصائح أمير المؤمنين عليه السلام، إذ هو الذي وبّخ عاصم بن زياد الحارثي حين سمع عنه أنّه لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، فدعاه عليه السلام فلما رأى ما هو عليه قال:

«يا عَدَيّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث [أي الشيطان]، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحّل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك».

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك؟

قال: **«ويحك، إنّ الله فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره»**(٢).

رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«إنّ الناس في الدنيا ضيف، وما في أيديهم عارية، وأنّ الضيف راحل، وأنّ العارية مردودة. ألا وأنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منه البرّ والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل قاهر، فرحم الله من نظر لنفسه ومهّد لرمسه وحبله على عاتقه ملقى قبل أن ينفد أجله، وينقطع أمله، ولا ينفع الندم»**(٣).

---

(١) القصص: ٧٧.

(٢) انظر: نهج البلاغة ٢: ٢١٣.

(٣) إرشاد القلوب: ٢٤.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[١]، قال: «لا تنسَ صحتك وقوتك وشبابك وغناك ونشاطك أن تطلب الآخرة»[٢].

وعليه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن الركون إلى الدنيا والتهالك عليها، ولم ينَه عمّا يصلح الإنسان شأنه ويقيم أوده.

وربّ سائل أن يقول: وهل نعيم الدنيا محرّم على المؤمن؟

أقول: لا تذهب بك الأوهام، إنّما المؤمن أحق من غيره بنعيم الدنيا.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[٧].

---

(١) القصص: ٧٧.
(٢) إرشاد القلوب: ٢٧.
(٣) الأعراف: ٣٢.
(٤) البقرة: ١٦٨.
(٥) المائدة: ٨٧ ـ ٨٨.
(٦) الأنفال: ٦٩
(٧) آل عمران: ١٤.

إذا كانت هذه الشهوات من الوجهة الحلال فلا بأس بها، إلا أنّ الاعتدال وعدم التهالك عليها هو المحبّذ وهو الأقرب إلى التقوى.

أمّا قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾[1] فهي الدنيا المذمومة التي ذمّها أمير المؤمنين عليه السلام وحذّر منها، فكم له عليه السلام من كلام في ذمّ تلك الزينة التي تقود إلى الغفلة والضياع ونسيان الآخرة؟!

هذا قوله لمّا دخل بيت المال في البصرة بعد انتصاره على أهل الجمل، نظر إلى الذهب والفضة ثم قال مخاطباً هذه الدنيا الفانية: «**طلقتك ثلاث...**».

وهو الذي خاطب تلك الأموال بقوله: «**غرّي غيري...**».

وأمّا ما ذكروه في شأن الموت والفناء، فإنّ ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام له في القرآن أسوة من ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[6].

وقال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾[7].

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) الأنبياء: ٣٤.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) النساء: ٧٨.

(٥) الواقعة: ٦٠.

(٦) الملك: ٢.

(٧) الزمر: ٤٢.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[(١)].

وآيات أخر عديدة.

إنّ السرّ في الحثّ على الموت سواء في القرآن الكريم أم في (نهج البلاغة) هو الاعتصام بحبل الله والنظر إلى ما عند الله من النعيم الأبدي الذي لا يفنى، ثم إنّ الذاكر للموت سوف يعيش ساعات اللقاء في أية لحظة كانت فلا يسأم ولا يندم، فهو الحق. وهكذا من كان ذاكراً للموت مستعداً له يعيش حياة الإيمان والتقوى والعبادة والعمل الصالح، فهو أبداً شجاع لا يرهب سلطاناً، ولا يكون جباناً، ولا يكون حريصاً على مال أو لذة، فهو دوماً شكور صابر، عزيز غير ذليل، نقي السريرة، طاهر الأردان، و...

وعليه يذكّرنا الحديث الشريف: «**أكثروا من هادم اللذات**»[(٢)]، ذلك البعد المعنوي في ارتقاء الروح وسموّها إلى عالم الفضيلة.

إذاً كلام أمير المؤمنين عليه السلام وذكره للموت هو جرياً لما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبوّية.

جواب الشك السابع

أمّا الشك السابع: قال البعض: إنّ في بعض الخطب تقسيم المعاني والمسائل إلى أصناف كتقسيم الاستغفار إلى ستة معانٍ، و...

أقول: وهل غاب عن هذا المعترض ما جاء في القرآن الكريم عندما قسّم سبحانه وتعالى الناس فقال: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ...﴾[(٣)].

---

(١) الرحمن: ٢٦.

(٢) كتاب الدعوات: ٢٣٨. كشف اللثام ١: ١٠٧.

(٣) الواقعة: ٧ ـ ١٠.

ثـم يـردف سـبحانه هـذه الآيات المجملة بتفصيل، وهذا ما يعرف في البلاغة باللّف والنشر.

وموارد أخرى في القرآن الكريم فيها ذلك التقسيم والتصنيف، ثم التقسيم الذي جاء فـي كلام صاحب الرسالةﷺ في أحاديث جمّة لا تحصى، خذ مثالاً منها قولهﷺ: «سـتة أشـياء حـسنة ولكـنها من ستة أحسن: العدل حسن وهو من الأمراء أحسن، والصبر حسن وهو من الفقراء أحسن، والتوبة حسنة وهي من الشباب أحسن، والحياء حـسن وهـو من النساء أحسن، وأمير لا عدل له كغمام لا غيث له، وفقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له، وعالم لا ورع له كشجرة لا ثمرة لها، وغنيّ لا سخاء له كمكان لا نبت له، وشاب لا توبة له كنهر لا ماء فيه، وأمرأة لا حياء لها كطعام لا ملح لـه»[(١)].

وقـولهﷺ: «معشر المسلمين، إياكم والزنا فإنّ فيه ست خصال، ثلاث في الدنـيا وثلاث في الآخرة، فأمّا التي في الدنيا فإنّه يذهب البهاء، ويورث الفقر، ويـنقص العمر. وأمّا التي في الآخرة فإنّه يوجب سخط الربّ، وسوء الحساب، والخلود في النار»[(٢)].

وقـالﷺ:«ثلاث من كنّ فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله، وحلم يرد به جهل الجاهل»[(٣)].

وقـالﷺ: «أربـع مـن كـنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة مـنهن، كانـت فـيه خصلة من النفاق حتّى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(٤)].

---

(١) إرشاد القلوب (الديلمي): ٢٣٣.

(٢) الخصال ١: ١٤١.

(٣) مدارك الأحكام ٧: ١٤.

(٤) المحلّى ٨: ٢٨. كنز العمال: ٨٤٩.

وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث من كنّ فيه آواه الله في كنفه، وستر عليه برحمته، وأدخله في محبّته: مَن إذا أعطى شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأمّا المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، وخشية الله في السرّ والعلانية، والقصد في الغنى والفقر. وأمّا المهلكات: فشح مُطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «أعطيتُ خمساً لم يعطهن احدٌ قبلي: كان كلّ نبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى كلّ أحمر وأسود، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهورا فأيّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصلِّ حيث كان، ونُصرت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»[3].

وعن أبي هريرة قال: قال الرسول صلى الله عليه وآله: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته أمرأة ذات منصب وجمال فقال: إنّي أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[4].

والشواهد من أقوال النبي كثيرة جداً، فما بال المعترض يعجب من التقسيم الوارد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو ربيب رسول الله، نشأ في حجره ونهل من معينه الزلال الصافي؟!

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله المثل الكامل، للأستاذ محمّد جاد المولى بك: ٩٤، طبعة مصر ١٩٦٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٢

(٣) رواه جابر وأخرجه البخاري، وفي تلخيص الحبير ٢: ٣١٦. تنوير الحوالك: ٧٢٧.

(٤) رواه البخاري ومسلم، المجموع ٤/ ١٩٥، إعانة الطالبين ٢: ٢٣٧، فقه السنّة ١/ ٤١٢.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر الصديق في مرضه الذي توفّي فيه فأصابه مهتماً، فقال له عبد الرحمن في جملة كلام له: إنّك لا تأسى على شيء من الدنيا، قال أبو بكر: أجل لا آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن وددت إنّي تركتهن، وثلاث تركتهن ووددت إني فعلتهن، وثلاث وددت إنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن.

فأمّا الثلاث التي وددت أنّي تركتهن: فوددت أنّي لم اكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنّي قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد بهما عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً.

وأما اللاتي تركتهن: فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنّه تخيل إليّ أنّه لا يرى شراً إلاّ أعان عليه. ووددّت أنّي حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة، فإنّ ظفر المسلمون ظفروا، وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد. ووددت أنّي إذ وجّهت خالد إلى الشام كنت وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله ومدّ يديه.

ووددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد، ووددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أنّي كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإنّ في نفسي منهما شيئاً[(١)].

(١) أخرج الحديث بطوله أبو عبيدة في كتاب الأموال: ١٣١، والطبري في تاريخه٤: ٥٢، وابن قتيبه في الإمامة والسياسة ١: ١٨، والمسعودي في مروج الذهب ١: ٤١٤، وابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد٢: ٢٥٤.

وللمزيد من الشواهد والنصوص عليك بكتاب (المواعظ العددية)، وهكذا تجد بغيتك في كتاب (الخصال) فراجع.

وخلاصة القول: ما جاء في (نهج البلاغة) من تقسيم المعاني وتصنيف المطالب هو اقتداء بكلام الله سبحانه وتعالى واقتفاء بكلام نبيه الأكرم.

جواب الشك الثامن

أمّا الشك الثامن: أنّ في (النهج) وصفاً دقيقاً للحيوانات كالطاووس، فمتى رأى الإمام هذا الحيوان حتّى يصفه بتلك الدقة المتناهية ؟!

أقول: إنّ اعتراض البعض ليس بوجيه، ولا يخضع للمنطق والعقل، إذ هل أنّ المعترض قد صاحب الإمام عليه السلام في سفراته وغزواته وهجرته حتّى ينكر عليه مشاهدته للطاووس وغيره من الحيوانات ؟!

إنّ الإمام عليه السلام هاجر إلى اليمن، واشترك في كلّ المعارك والغزوات، وتنقّل بين ربوع الحجاز والعراق والشام، وكانت تصل إليه هدايا الملوك والأمراء، فهل من الصعب أن يرى الإمام عليه السلام الطاووس وغيره من الحيوانات التي قد لم تكن موفورة في مكة أو المدينة؟

وقد يكون أنّ الإمام رأى الطاووس في البصرة والتي تعد ذلك اليوم مركز التجارة وحلقة وصل بين الهند وبلاد فارس وبلاد العرب، وربما شاهده عليه السلام في المدائن عاصمة الأكاسرة فيما مضى، فقد بقيت عامرة حتّى عصر الإمام وما بعده.

جواب الشك التاسع

أمّا الشك التاسع أنّهم قالوا: في بعض (النهج) يوجد سجع منمّق وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر، بل إنّما برز هذا اللون من الصناعة في العصر العباسي، والقائل بذلك كُرد علي وابن تيميّة وأحمد أمين في كتابه (فجر

الإسلام) ص١٤٨ـ١٤٩، الطبعة الثامنة. والردّ على هذا الشك والقائلين به يكون من وجوه:

أوّلاً: أنّ أدنى التفات من الباحث المختص في الأدب العربي سيجد هناك فرقاً كبيراً بين ما هو سجع منمّق صدر عفو الخاطر وبين سجع متكلّف عليه آثار الصنعة.

ثانياً: أنّ في القرآن الكريم آيات عديدة بل سور كثيرة جاء فيها السجع، وهو بمثابة تنميق لفظي له وقعه الجميل في النفوس ولم يكن فيه أي تكلّف أو صنعة، اقرأ قوله تعالى من سورة النازعات: **﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أمراً * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ...﴾** إلى آخر السورة المباركة.

واقرأ في سورة عبس: **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنت لَهُ تَصَدَّى...﴾** إلى آخر السورة المباركة.

وهكذا في سورة التكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، وحتّى آخر الجزء الثلاثين. ناهيك عن السور الأخر من الأجزاء المتقدمة.

فهل الأستاذ كرد علي وابن تيمية ـ وغيرهما ـ قد غفلا عن هذه السور والآيات المباركة حتّى يدّعيا أنّ هذا السجع هو من أسلوب العصر العباسي، أو هناك شيءٌ آخر قد انطوت عليه السرائر فكشفه نفث الصدور؟!

ثالثاً: تطالعنا نصوص عديدة من العصر الجاهلي فيها من ذلك السجع، فما بال المعترض؟!

انظر واقرأ النص الوارد من قس بن ساعدة الإيادي الذي يُعدّ من كبار حكماء العرب في العصر الجاهلي، قال:

(أيّها الناس، اجتمعوا فاسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آت، في هذه آيات محكمات، مطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، ونجوم تمور، وبحور لا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، وليل داجٍ، وسماء ذات أبراج)[1].

وهو القائل: (يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، أين المعروف الذي لم يُشكر، والظلم الذي لم ينكر؟ أقْسَمَ قُسٌّ قسماً بالله، إن لله لدينا هو أرضى له من دينكم هذا).

ومن السجع قول هند بنت الخُسّ (الزرقاء) قيل لها: أي الرجال أحبّ إليكِ؟ قالت: (القريب الأمَد، الواسع البلَد[2]، الذي يُوفَد إليه ولا يَفد).

ومن السجع قول جُمعة بنت حابس، قيل لها: أيّ الرجال أحبّ إليكِ؟ قالت: (الشنِق الكتَد[3]، الظاهر الجلد، الشديد الجذب بالمسَد)[4].

ومن السجع قوله ﷺ: **«إنّ الأعمار تفنى، والأجسام تبلى، والأيام تطوى، والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد، يقربان كلّ بعيد، ويخلقان كلّ جديد...»**[5].

وقوله ﷺ: **«أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام»**[6].

وهكذا لو تصفّحت خطب الصحابة وخطب أبي بكر وعمر بن الخطاب

---

(١) البيان والتبيين ١: ٣٠٨، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الفكر، بيروت.

(٢) البلد: الدار.

(٣) الشنق: الطويل. الكتد: أعلى الكتف.

(٤) البيان والتبيين ١: ٣١٢، ط دار الفكر، بيروت.

(٥) المصدر السابق.

(٦) بدائع الصنائع ٥: ١٠١. المحاسن ٢: ٣٨٧.

وعثمان بن عفّان وغيرهم لوجدّت الكثير من ذلك السجع والتنميق.

ويجدر بالمعترض أن يقرأ قبل أن يدلي بشكوكه ولبنات أفكاره الواهية، عليه أن يقرأ (البيان والتبيين) للجاحظ، و(عيون الأخبار) لابن قتيبه، (والعقد الفريد) لابن عبد ربّه الأندلسي، و(جمهرة خطب العرب)، ففي تلك المصادر ما يشفي الغليل، وبها يصحو العليل، فما أكثر النصوص، وما أكثر السجع والمقابلة فيها، فهي جميعاً من مختارات بلغاء العرب وخطبائهم في الجاهلية وصدر الإسلام.

جواب الشك العاشر

أمّا الشك العاشر: وهو أنّ (النهج) اشتمل على صيغ فلسفية وكلامية وعلوم لم تعرف إلاّ بعد زمن الإمامعليه السلام... والرد عليه بأمور:

أوّلا: أنّ في القرآن مئات الآيات تؤكّد على فكرة التوحيد، وتحثّ الناس على التدبّر في تلك الآيات والإمعان فيها:

قال تعالى: ﴿وَفِي الأرض آيَاتٌ لِّلْمُوقنينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [(٣)].

وآيات التدبر كثيرة.

هذه الدعوة إلى التدبّر تسوقنا إلى أنّ المسلمين الأوائل هم الذين فتحوا باب الجدل وعلم الكلام والمناظرة، وبهذا العلم اهتدى الكثير من الناس، وذلك بسبب الحوار الذي كان يتم بين المسلم الداعية وبين المشركين وذوي النحل

---

(١) الذاريات: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) الغاشية: ١٧.

(٣) محمّد: ٢٤.

وأصحاب الأديان، وهذا أمر قد ألفَه المسلمون في زمن النبيﷺ.

ثانياً: أنّ تعذر الرؤية، وكلام الخالق، ونفي الجسمية، والاستدلال على وجوده ومطالب عقائدية أخرى كثيرة تطرّق إليها القرآن الكريم في آيات عديدة من ذلك قوله تعالى: **﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ..﴾**[(١)].

وفي نفي الجسميّة عنه وأنّه ليس في جهة معينة قوله تعالى: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾**[(٢)].

وفي الاستدلال على وجود الخالق قوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[(٣)].

وقوله تعالى: **﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾**[(٤)].

وفي نفي الشريك يستدل القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾**[(٥)].

هذه الأستدلالات القرآنية ليست هي بعيدة عن المسلمين الأوائل، لذا فهي تشكّل جذور علم الكلام والفلسفة، وقد استنطق أمير المؤمنينعليه السلام القرآن الكريم وكانت خطبه عبارة عن شرح لتلك الدلالات، فهو نبع الفصاحة، وسرّ البلاغة، وقد عكف على مدارسة القرآن منذ أن هجره القوم وتركوا بيعته.

وفي فضل أمير المؤمنينعليه السلام وسابقته إلى الإسلام وغزارة علمه يقول الحسن البصري حين سئل عن عليعليه السلام، قال: (لم يكن بالنؤمة عن أمر الله، ولا بالملومة

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الحديد: ٣.

(٣) فصلت: ٥٣

(٤) الذاريات: ٢١.

(٥) الأنبياء: ٢٢.

في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه في ما عليه وله، فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، حتّى أورده ذلك رياضاً مونقة، وحدائق مغدقة...)[١].

ثالثاً: تُعدّ الكوفة حاضرة العالم الإسلامي وقتئذ عندما نزلها أمير المؤمنين عليه السلام ونقل عاصمة خلافته إليها. والكوفة ليست كالحجاز والشام ومصر، بل هي قبلة العلماء، ومرجع الأدباء والفلاسفة والمتكلّمين، ومهبط الأفكار والعلوم، إذ نزلها الفرس، والسريانيّون والكلدانيون، وفيها راجت الديصانيّة والزندقة والأفكار الهندية واليونانية.

ولمّا كانت المذاهب والأفكار لها رواج بين الناس وتأثيرها في العوام أكثر من غيرهم مما دفع بالإمام عليه السلام أن يوضّح العقائد ويبيّن ما التبس على أصحاب الأهواء والنحل، فكانت خطبه في التوحيد على رأس تلك الخطب وذلك تلبية لحاجة المجتمع، وترسيخاً للعقائد والمفاهيم الإسلامية في النفوس.

إذن يحتّم علينا أن نقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي فتق علم التوحيد، وهو الذي عالج قضاياه على ضوء القرآن الكريم، وهو الذي علّم تلامذته أن يسلكوا هذا النهج مع الخصوم من الملاحدة، والزنادقة، وأهل البدع، وأرباب الفلسفة، وبالتالي أنّ له السبق ممّن نطق بهذه الفنون، وأنّ علم التوحيد برز على يد الإمام قبل أن يخلق عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء.

جواب الشك الحادي عشر

أمّا الشك الحادي عشر، ادّعى البعض أن أهل اللغة والأدب لم يستشهدوا بـ (نهج البلاغة).

---

(١) انظر: البيان والتبيين (الجاحظ) ٢: ٨٨ وهامش الصفحة.

أقــول: لـيت شـعري! لو تصفّح هذا المدّعي كتب الأوائل من مؤرّخين وأدباء وعلماء لوجد النصوص مبثوثة هنا وهناك، وقد أسلفنا في الصفحات المتقدمة أنّ بعض علماء اللغة والأدب نقل لنا العديد من نصوص أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه في شتى المواضيع والمناسبات.

فهذا أبو عمرو الجاحظ ذكر جملة من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه (البيان والتبيين)، وهذا ابن عبد ربّه الأندلسي ذكر في كتابه (العقد الفريد) جملة من خطب الإمام عليه السلام.

ويطول المقام لو أردنا أن نسرد أسماء الكتب التي نقلت لنا كلام سيّد البلغاء وإمام الفصحاء أمير اللغة والبيان؛ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وستعرف من بحثنا الآتي أنّ الخوارج ـ ومنهم الإباضية ـ كانوا يحفظون خطب أمير المؤمنين، وأنّ خطباء دولتهم الرستمية كانوا يعيدون ما حفظوه من خطب الإمام علي في الجُمع والأعياد.

جواب الشك الثاني عشر

أمّا الشك الثاني عشر، قول القائل: إنّ بعض رسائل (نهج البلاغة) اتسمت بالإسهاب والتطويل أو التفصيل ولمّا كان الورق متعذّراً في عهد الإمام فمن البعيد أن يصدر منه عهده للأشتر.

أقول: إنّ هذا الاعتراض والشك هو أوهن من خيط العنكبوت، وذلك أنّ صناعة الورق (القرطاس) كانت قديمة جداً؛ إذْ عرفها الصينيّون قبل الإسلام، فمنذ مطلع القرون الميلادية استعمل الصينيّون الورق المصنوع من الأقمشة البالية، وحلّ الحبر محل الدهان كوسيلة للكتابة بين سنتي (٢٢٠ـ ٢٦٥)[1].

---

(١) موجز تاريخ الحضارة ١: ٣٥٥.

ثمَّ إنّ مصر كانت مركزاً رئيسياً لصناعة الورق في ذلك الحين، فهل يعجز الإمام أن يستورد منها هذه المادة وأنّ الحاكم عليها وواليها من قبل أمير المؤمنين عليه السلام هو محمّد بن أبي بكر؟!

ثم لا تنسى أنّ التجارة بين المدن والأمصار قد اتسعت كثيراً في الدولة الإسلامية، وإذا كان المسلمون في عوز وفقر، فذلك في بدء الدعوة وعلى عهد الرسول صلى الله عليه وآله فحسب.

وأخيراً نقول: إذا لم يكن هناك قرطاس يكتب عليه ففي الجلود ما فيه الكفاية، حيث كان المسلمون يكتبون عليه بعد صقله ودلكه، وهذه الجلود المعدّة لهذه الغاية كانت موفورة بلا أدنى شك.

جواب الشك الثالث عشر

أمّا الشك الثالث عشر، ادّعى البعض أنّ هناك عدة خطب في (النهج) تُعزى لأشخاص غير الإمام، من ذلك الخطبة التي أوّلها: «**أيّها الناس، إنّنا قد أصبحنا في زمن عنود ودهر كنود**».

فقيل: إنها تنسب إلى معاوية[(١)].

وكالخطبة التي أوّلها: «**إنّ الدنيا حلوة خضرة..**»، فقد نسبها الجاحظ إلى قطري بن الفجاءة الخارجي[(٢)].

أقول: هذه الدعوى مخدوشة من عدة جوانب:

أولاً: أنّ بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام متميّزة بالصورة الجمالية من استعارات وكنايات وتمثيل وتشبيه، وإنك تجد جميع كلام أمير المؤمنين عليه السلام في (النهج) على وتيرة واحدة.

---

(١) صرّح به الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٣٩.

(٢) صرّح به الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٣٩.

ثانياً: لو وضعت تلك النصوص التي زعم البعض أنّها منسوبة أما إلى معاوية أو إلى قطري بن الفجاءة وقارنوا بينها وبين كلام أولئك وأشعارهم لوجدوا البَوْن الشاسع بحيث يأبى الذوق ـ ناهيك عمّن هو متخصّص في بلاغة الأدب والأدباء ـ أن يضع هذه النصوص في حقل كلام أولئك النفر.

ثالثاً: أنّ سيرة حكّام بني أميّة حرصت كلّ الحرص أ لاّ يتكلّم الناس بفضائل علي عليه السلام وأهل بيته الكرام، إذ كمّوا الأفواه، وعاقبوا كلّ من يذكر من سيرة علي وأبنائه الأطهار، وفي مقابل ذلك نسبوا الكثير من الفضائل إلى معاوية وابنه يزيد وعمرو بن العاص وسائر حكّام بني أميّة، فهم الذين افتعلوا الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة ونسبوا لهم الكرامات والمعاجز والمناقب...

فليس بِدعاً من بني أميّة وهم السرّاق للمال والغاصبين للخلافة أن يسرقوا تراث وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ثم يلوكوه بألسنتهم ويلفظوه ثانية على العوام من أهل الشام، فكم لهم من سطوة على خطب الإمام وكلماته؟!

انظر إلى نقد الجاحظ عندما تناول خطبة لمعاوية لما حضرته الوفاة. قال: (وفي هذه الخطبة ـ أبقاك الله ـ ضروب من العجب، منها إنّ هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أنّ هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم وعمّا هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي عليه السلام وبمعانيه بحاله منه بحال معاوية... [إلى أن يقول:] والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم)[1].

ومما نسوقه دليلاً في الرد على المعترض ما جاء في (شرح النهج) لابن أبي الحديد وهو يقارن خطبة الإمام عليه السلام في الجهاد بخطبة ابن نباتة المتوفّى سنة (٣٧٤ هـ)، فيقول:

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٣٩.

(واعلم أنّ التحريض على الجهاد والحضّ عليه قد قال فيه الناس فأكثروا، وكلّهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام... فانظر إليها [خطبة ابن نباتة] وإلى خطبته عليه السلام بعين الإنصاف تجدها بالنسبة إليها كمخنّث بالنسبة إلى فحل، أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد... إذا تأمّله الخبير عرفه، ومع هذا فهي مسروقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام).

ثم يقول ابن أبي الحديد: (وأمّا باقي خطبة ابن نباتة فمسروق من خطب لأمير المؤمنين عليه السلام... واعلم أني أضرب لك مثلاً تتخذه دستوراً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وكلام الكتّاب والخطباء بعده كابن نباتة والصابي وغيرهما).

وبعد هذا بصفحتين يقول ابن أبي الحديد: (فلينظر الناظر في هذا الكلام [كلام ابن نباته وكلام الإمام علي عليه السلام] فإنّه وإن كان قد أخذ من صناعة البديع بنصيب، إلاّ أنّه في حضيض الأرض، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في أوج السماء... لكن مثله بالقياس إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام كدار مبنية من اللبن والطين، ممّوهة الجدران بالنقوش والتصاوير، مزخرفة بالذهب من فوق الجِصّ والإسفيداج(١)، بالقياس إلى دار مبنية بالصخر الأصم الصّلْد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المذاب، وهي مكشوفة غير مموّهة ولا مزخرفة، فإنّ بين هاتين الدارين بوناً بعيداً)(٢).

ومن المفارقات العجيبة أنّ أحمد أمين ينكر نسبة (النهج) لأمير المؤمنين عليه السلام، لكنّه يقع في مزلق كبير فيه افتضاحه وتعرّيه، قال في معرض كلامه على (البصائر والذخائر) ما يؤكّد شيوع (نهج البلاغة) بين الناس وأنّ الاقتباس من الإمام

(١) الإسفيداج: رماد الرصاص
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٨٠ ـ ٨٤

عليعليه السلام أمر يشهد لـه الجميع. ثم صرّح بأنّ السرقة الأدبية من كلام الإمامعليه السلام كانت تجري على قدم وساق دونما رادع.

وفي معرض حديثه وتعليقه على كلام أبي حيّان التوحيدي الذي كان في صدد المروي من كلمات أمير المؤمنينعليه السلام القصار من (نهج البلاغة) والقول المنسوب إلى الرسولصلى الله عليه وآله: (لامال أعود من العقل)، قال أحمد أمين: (ليس هذا من حديث الرسولصلى الله عليه وآله وإنّما هو من كتاب نهج البلاغة)[1].

لم يقل من كلام أمير المؤمنينعليه السلام ؛ لكونه يتورّع من أن ينسب هذا الكلام إليه من جهة، ومن جهة أخرى كان يتصوّر أنّ التوحيدي متأخر على الشريف الرضي، وفي عمله هذا مراده الطعن بعمل الشريف الرضي وتزييفه، لكن غابت عن ذاكرته أنّ التوحيدي توفي سنة (٣٨٠ هـ)، أي قبل صدور (نهج البلاغة) بعشرين عاماً.

فكم من مفترٍ أثيم قد فضحه الله على فلتات لسانه؟!

أضف إلى كلٍّ هذا وذاك فإنّ الكلمات التي رواها التوحيدي ذكرها ابن عبد ربه الأندلسي المرواني المتوفّى سنة (٣٢٨هـ) في كتابه (العقد الفريد)، المجلد الثاني ص٢٥٢.

علماً أنّ أحمد أمين هو أحد المشرفين على طبع هذا الكتاب ـ (العقد الفريد) ـ والمكلّفين بتصحيحه وتحقيقه.

ولا يبعد بك المقام في كل ما تقدم عن الخوارج، فقد كانوا يحفظون خطب الإمام عليعليه السلام ويعيدونها على منابرهم في الجُمع والأعياد.

يقول الأستاذ الشيخ محمّد علي دبوز أستاذ الأدب العربي في معهد الحياة في

---

(١) فجر الإسلام: ١٤٨.

الجزائر ـ وهو من معتدلي الإباضية ـ في كتابه (تاريخ المغرب الكبير): قال ابن الصغير: كان الإباضية في الدولة الرستمية[(١)] لا يمنعون أحداً من الصلاة في مساجدهم، ولا يكشفون على حاله ولو رأوه رافعاً يديه.

وكانت خطبهم على منابرهم هي خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لحب الإباضية للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وإجلالهم لمقامه وإعجابهم ببلاغته وفصاحته.

إنّ إيثار الإباضية في الدولة الرستمية لخطب الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ يدلّ على حبّهم لـه وعلى الرقي الذي كانت عليه الدولة في الفهم والذوق الأدبي وعلى تمكّن الجماهير في العربية.

إنّ خطب الإمام علي عليه السلام التي كانت تجلجل في منابر تيهرت[(٢)] دليل على المستوى الثقافي الرفيع الذي كانت عليه الجماهير وعلى تمكن الدولة الرستمية في العربية الفصحى وانتشارها في كل طبقاتها[(٣)].

جواب الشك الرابع عشر

أمّا الشك الرابع عشر، ادّعى البعض أنّ في (النهج) وصفاً دقيقاً للحياة الاجتماعية من جهة، وطعناً على الولاة والقضاة من جهة أخرى.

أمّا الطعن على الولاة فهذا ما تقدّم ذكره في جواب الشك الثالث، فليراجع.

---

(١) الدولة الرستمية من دول الإباضية في المغرب العربي تأسست عام (١٤٤ هـ) وتلاشت سنة (٢٩٦ هـ).

(٢) تيهرت عاصمة الدولة الرستمية آنذاك.

(٣) تاريخ المغرب الكبير (الشيخ محمّد علي دبوز) ٣: ٥٨٨.

أقول: لا يخفى إنّ كلمة الجماهير التي كررها المصنف إنّما تعني أصحابه الإباضية.

ثم إنّ الخوارج ـ كما هو معروف ـ يبغضون الإمام عليه السلام أشدّ البغض، وربما كان المصنِّف من معتدلي الإباضية فذكر الإمام عليه السلام وترضّى عليه.

وأمّا الوصف الدقيق للحياة الاجتماعية فهذا ممّا لا يختلف عليه اثنان، وحقاً ينبغي أن تكون خطب الإمامعليه السلام كذلك؛ لأنّه يمثّل رأس الهرم المشرف على كلّ طبقات المجتمع وأحواله وتصرّفاته، وأنّ عصر الإمامعليه السلام يختلف كثيراً عن العقود الثلاثة التي سبقت، فالأموال التي تقاطرت على المسلمين من شرق البلاد وغربها، وحياة الترف وما أصابه المسلمون من النعيم لم يكن له سابق مثيل.

ولمّا كان أمير المؤمنينعليه السلام المسؤول عن رعيته فهو تارة يصفهم ويصف حياتهم وما فيها من ترف وبذخ، وتارة يقودهم إلى الورع والتقوى والاستقامة بتوجيههم الوجهة الصحيحة، وعليه فما هو الضير إذا جاءت خطبهعليه السلام تصف حياة الناس بشكل محسوس دقيق؟!

جواب الشك الخامس عشر

أمّا الشك الخامس عشر، ادّعى الگيلاني أنّ في (نهج البلاغة) خطباً طال في صدرها الحمد وأنّ هذه عادة لم تعرف إلاّ في العصر العباسي في خطب الجمع والأعياد.

أقول: لو كان المعترض يجنح إلى البحث العلمي لأراح نفسه واستراح من كل هذا الوهن الذي سطّره في كتابه: (أثر التشيّع في الأدب العربي)، ولكن أبت نفسه إلاّ أن يطعن حتّى بالبديهيّات الواضحات.

إنّ الحمد وتكراره في خطب الإمام لم يكن بدعاً منهعليه السلام، بل سبقه إلى هذا الأسلوب الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله، فقد روى البخاري في صحيحه، أنّ الرسول كان يقول: «**اللّهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد نور السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الصدق، ولقاؤك حق...**» إلى آخر كلامه

الشريف[١]. وأمثال هذا الحمد وما فيه من تكرار هو كثير في كلامهﷺ.

وهكذا تجد الخلفاء والصحابة يفتتحون كلامهم وخطبهم بالحمد والثناء، وربّما تكررت كلمات الحمد في الخطبة الواحدة.

قال الجاحظ: إنّ خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، مازالوا يسمّون الخطبة التي لم يبتدىء صاحبها بالتحميد ولم يستفتح كلامه بالتمجيد (البتراء)، ويسمّون التي لم توشح بالقرآن، وتزيّن بالصلاة على النبيﷺ (الشوهاء)[٢].

يقول ابن قتيبة: تتبعت خطب رسول اللهﷺ فوجدت أوائل أكثرها الحمد لله نحمده ونستعينه، ووجدت كلّ خطبة مفتاحها الحمد، إلاّ خطبة العيد، فإنّ مفتاحها التكبير[٣].

والعجيب من الگيلاني عندما يذكر مثالاً من خطب أمير المؤمنينعليه السلام ثم يُشكل على صحة نسبتها للإمام، أنّه لم يتحرّ مصادر المثال الذي أورده. ومثاله قول الإمامعليه السلام: (الحمد لله كلّما وقب ليل وغسق...)[٤].قد روى هذه الخطبة نصر بن مزاحم المنقري في (كتاب صفّين) الصفحة ٧٠، والجميع يعلم أنّ نصر ابن مزاحم من أقدم مؤرّخي العرب الذين وصلتنا آثارهم.

ثم ما وجه الغرابة والقرآن الكريم بأيدينا إذ تصدّرت عدة سور بالحمد، منها: سورة فاتحة الكتاب، وسورة الكهف. فما ورد في خطب أمير المؤمنينعليه السلام انّما هو انسجام مع أسلوب القرآن الكريم وكلام النبيﷺ.

---

(١) صحيح البخاري٢: ٤٣.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٥.

(٣) المصدر السابق ٢: ٢٤.

(٤) نهج البلاغة ١: ٩٧.

جواب الشك السادس عشر

أمّا الشك السادس عشر من الشكوك الموجّهة إلى جمع الشريف الرضي: أنّ هذه الخطب المنقولة في (النهج) لو كانت صادرة عن الإمام ومن كلماته لكانت موجودة قبل تصنيف الشريف الرضي.

وهذا الإشكال ذكره محمّد كرد علي في كتابه: (الإسلام والحضارة العربية) الجزء الثاني الصفحة ٦١ نقلاً عن كتاب (منهاج السنّة) لابن تيميّة.

لقد تقدّم بحثنا في الردّ على مَن أورد هذا الشك وأثبتنا في الصفحات السابقة بطلانه، كما أوردنا أسماء عدة مجاميع لخطب أمير المؤمنين عليه السلام عاش مصنّفوها قبل الشريف الرضي بعشرات السنين، فراجع.

وخلاصة ما يمكن أن يقال في الإمام علي ونهجه هو ما ذكره لنا الأستاذ محمّد أمين النواوي، قال:

لقد كان علي في خطبه المتدفّقة يمثّل بحراً خضماً من العلم والمعرفة(١)، وأسلوباً جديداً لم يكن إلاّ لسيد المرسلين، وطرق بحوثاً من التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلاّ لمثله، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله، فدانت لبيانه، وسلست في منطقه وأدبه، وخاض في أسرار الكون، وطبائع الناس، وتشريح النفوس وبيان خصائصها وأصنافها، وعرض لمداخل الشيطان ومخارجه، وفتن الدنيا وآفاتها، في الموت وأحواله، وفي بدء الخلق، ووصف الأرض، وفي شأن السماء وما يعرج فيها من أملاك، وما يحف بها من أفلاك، كما عرض لملك الموت وأطال في وصفه.

---

(١) في الأصل: (العلماء الربّانيين). والصحيح ما أثبتناه.

وخطب علي في السياسة، وفي شؤون البيعة والعهد والوفاء، واختيار الأحق وما أحاط بذلك من ظروف، كتحكيم صفّين وما تبعه من آثار سيئة وتفرّق الكلمة.

ولم يفته أن ينوّه في خطبه بأنصار الحق، وأعوان الخير، والدعاة إلى الجهاد، وفيها محاجة للخوارج ونصحه لهم ولأمثالهم باتباع الحق، وغير ذلك ممّا يكفي فيه ضرب المثل، ولفت النظر.

غير أنّ ناحية عجيبة امتاز بها الإمام، هي ما اختص بها الصفوة من الأنبياء ومَن على شاكلتهم كانت تظهر في بعض تجلّياته، وأشار إليها في بعض مقاماته، ولم يسلك فيها سواه إلاّ أن يكون رسول الله صلوات الله عليه، فقد ذكر كثيراً من مستقبل الأمة، وأورد ما يكون لبعض أحزابها كالخوارج وغيرهم، ومن ذلك وصفه لصاحب الزنج وذكر الكثير من أحواله وذلك ـ من غير شك ـ لون من الكرامات.

هذا إلى أنّه طرق نواحي من القول كانت من خواص الشعر إذ ذاك، ولكنّه ضمّنها خطبه فوصف الطب، وعرض للخفّاش وما فيه من عجائب، والطاووس وما يحويه من أسرار، وما في الإنسان من عجائب الخلق، وآيات المبدع الحق، وأحيلك في ذلك كلّه على (نهج البلاغة).

وهكذا تجد في كلام علي الدين والسياسة والأدب، والحكمة، والوصف العجيب، والبيان الزاخر.

هذا كتاب علي إلى شريح القاضي يعظه، وقد اشترى داراً، ويحذّره من مال المسلمين، في معانٍ عجيبة، وأسلوب خلاّب.

وهذا كتابه إلى معاوية يجادله في الأحق بالخلافة وقتل عثمان، في معان لا يحسنها سواه.

وتلك كتبه إلى العاملين على الصدقات يعلّمهم فيها واجباتهم في جميع ملابساتهم.

وذلك عهده إلى محمّد بن أبي بكر حين قلّده مصر. وتلك وصيّته إلى الحسن عند منصرفه من (صفّين) لم يدع فيها معنى تتطلبه الحياة لمثله إلا وجّهه فيها أسمى توجيه، في فلسفة خصيبة، وحكم رائعة مفيدة، وكل تلك النواحي والأغراض في معانٍ سامية مبسطة، يعلو بها العلم الرباني الغزير، والروح السامية الرفيعة، وتدنو بها تلك القوة الجبارة على امتلاك أزمّة القول، كأنّما نثل كنانته بين يديه، فوضع لكل معنى لفظة في أدق استعمال.

ولقد يضيق بي القول فأقف حائراً عاجزاً عن شرح ما يجول بنفسي من تقدير تلك المعاني السامية، فيسعدني تصوير الإمام محمّد عبده له وهو يقدّم (نهج البلاغة): فكان يخيل إليّ في كلّ مقام أنّ حروباً شبّت، وغارات شنّت، وأنّ للبلاغة دولة وللفصاحة صولة...

أمّا الأسلوب فيتجلّى لك بما يأتي:

١ـ الثروة من الألفاظ العربية في مفردها وجمعها، ومذكرها ومؤنثها، وحقيقتها ومجازها.

٢ـ المجازات والكنايات في معرض أنيق، وقالب بديع.

٣ـ الإيجاز الدقيق مع الإطناب في مقامه، وظهر ذلك في فِقَرِه، وسجعاته الفريدة، التي يجمل بكلّ أديب أن يحفظ الكثير منها؛ ليكونَ بيانه التكوين العربي السليم.

٤ـ المحسّنات البديعيّة في نمط ممتاز، من جناس إلى طباق وترصيع، وإلى قلب وعكس، تزدان بجمالها البلاغة ويكمل بها حسن الموقع.

٥ـ الجرس والموسيقى، وجمال الإيقاع مما يدركه أهل الذوق الفني.

ويحسن قبل الختام أن أشير إلى ما نوّه به صاحب (الطراز) الإمام يحيى اليمني، فقد تكرّر ذلك في عدة مناسبات وأوّلها تمثيله للبلاغة في أول كتابه، قال:

فَمِن معين كلامه ارتوى كلّ مصقع خطيب، وعلى منواله نسج كلّ واعظ

بليغ، إذ كان عليه السلام مشرع البلاغة وموردها، ومحط البلاغة ومولدها، وهيدب مزنها الساكب، ومتفجّر ودقها الهاطل[1].

وعن هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه: نحن أمراء الكلام، وفينا تشبّثت عروقه، وعلينا تهدّلت أغصانه.

ثم أورد مثالاً من أوّل خطبة في (نهج البلاغة) وقال: العجب من علماء البيان والجماهير من حذّاق المعاني كيف أعرضوا عن كلامه وهو الغاية التي لا مرتبة فوقها، ومنتهى كلّ مقصد في جميع ما يطلبونه من المجازات والتمثيل والكنايات[2]؟

وقد أثر عن فارس البلاغة وأمير البيان الجاحظ أنّه قال: ما قرع سمعي كلام بعد كلام الله، وكلام رسوله إلا عارضته إلاّ كلمات لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (كرم الله وجهه)، فما قدرت على معارضتها، وهي مثل قوله: **«ما هلك امرؤ عرف قدره»**، و**«استغنِ عمّنِ شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره»**[3].

---

(١) الهيدب من السحاب: المتدلّي الذي يدنو من الأرض، وتراه كأنّه خيوط عند انصباب المطر. والودق: المطر. قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِه﴾. الروم: ٤٨.

(٢) جولات إسلامية: ٩٩.

(٣) جولات إسلامية، محمّد أمين النواوي: ٩٩ ـ ١٠٤.

الفصل الثالث

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام الشِّقْشِقِيَّة

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام وهي المعروفة بالشَّقْشِقيَة

أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَها(١) فُلانٌ ـ ابن أبي قحافة ـ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أنَّ مَحَلِّيَ منهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى(٢)، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ(٣)، وَلا يَرْقَى إلَيَّ الطَّيْرُ(٤)، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً(٥)، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً(٦)، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ(٧)، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ(٨)، يَهْرَمُ فِيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ(٩).

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى(١٠)، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذىً، وَفِي الحَلْقِ شَجاً(١١)، أَرَى تُرَاثي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ(١٢) لِسَبِيلِه، فَأَدْلَى بِهَاإِلَى فُلان(١٣) بَعْدَهُ.

ثم تمثّل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا   وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ(١٤)

فَيَا عَجَباً! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها(١٥) في حَيَاتِه إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِه ـ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا(١٦)!ـ فَصَيَّرَهَا في حَوْزَة خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا(١٧)، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَالأعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَة(١٨)، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ ـ لَعَمْرُ الله ـ بِخَبْط وَشِمَاس(١٩)، وَتَلَوُّن وَاعْتِرَاض؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّة، وَشِدَّةِ الْمِحْنَة، حَتَّى إِذا مَضَى

لِسَبيله(٢٠) جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنّي أَحَدُهُمْ. فَيَالله وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّل مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذه النَّظَائر(٢١)! لَكنّي أسففْتُ إذْ أَسَفُّوا (٢٢)، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْره(٢٣)، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ(٢٤)،إِلَى أَنْ قَامَ ثَالثُ القَوْمِ(٢٥)، نَافِجاً حِضْنَيْه(٢٦) بَيْنَ نَثيله(٢٧) وَمُعْتَلَفه(٢٨)، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبيه يَخْضَمُونَ مَالَ الله خَضْمَةَ الإبل نِبْتَةَ الرَّبيع(٢٩)، إِلَى أن انتكَثَ عَلَيْه فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْه عَمَلُهُ، وَكَبَتْ به بِطْنَتُهُ(٣٠).

فَمَا رَاعَني إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْف الضَّبُع إليَّ(٣١)، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانب، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الحَسَنَان، وَشُقَّ عِطْفَايَ(٣٢)، مُجْتَمعينَ حَوْلي كَرَبيضَة الغَنَمِ(٣٣).

فَلَمَّا نَهَضْتُ بالأَمْر نَكَثَتْ طَائفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ [وَقَسَطَ] آخَرُونَ(٣٤) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تلْكَ الدَّارُ الاخرَةُ نَجْعَلُهَا للَّذينَ لاَ يُريدُونَ عُلُوّاً في الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقبَةُ للْمُتَّقينَ﴾(٣٥)، بَلَى! وَالله لَقَدْ سَمعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلكنَّهُمْ حَليَت الدُّنْيَا في أَعْيُنهمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا(٣٦).

أَمَا وَالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ(٣٧)، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضر، وَقيَامُ الْحُجَّة بوُجُود النَّاصر(٣٨)، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاء أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كظَّة ظَالم(٣٩)، وَلا سَغَب مَظْلُوم، لأَلقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَاربهَا(٤٠)، وَلَسَقَيْتُ آخرَهَا بكَأْس أَوَّلها، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذه أَزْهَدَ عنْدي منْ عَفْطَة عَنْز!

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد(٤١) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطَّرَدتْ خُطبَتُك من حيثُ أفضيت!

فَقَالَ عليه السلام: هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاس! تلْكَ شقْشقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ(٤٢).

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

شرح مفردات الخطبة

(١) **تقمّـصها**: أي تلبّس بها؛ وهي الخلافة، وفلان أراد به عليه السلام: أبا بكر بن أبي قحافة.

(٢) **محـل القطـب مـن الرّحى**: إشارة إلى كون موقعه من بين المسلمين كموقع القطب الذي تدور عليها الرّحى، وأنّه المركز الذي تأوي إليه الجموع وتلوذ به الفرسان.

(٣)**يـنحدر عنّـي الـسّيل**: تـشبيهاً لنفسه بذروة الجبل المرتفع، فهو منبع العلم والمعرفة، وهذا تمثيل لسمو قدره عليه السلام وقربه من مهبط الوحي، وأنّ علمه ينحدر من ذلك النبع الإلهي فيصيب منه ما شاء الله، لذا فإنّ الخلافة ممتنعة على غيره، لا يصلح أحد لها ولا يتمكن منها.

(٤) **ولا يرقـى إليّ الطير**: لا يـصل إلى مقامه من الفضل والعلم أحدٌ، والعبارة في غاية البلاغة في الدلالة على الرفعة.

عبارته هذه أعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها؛ لأنّ السيل ينحدر عن الربية والهضبة، وأما تعذّر رقي الطير بما يكون للقلال الشاهقة جداً، بل ما هو أعلى من قـلال الجبال، كأنّـه يقـول: لعلـو منزلتـي كمـن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها.

قال حبيب الطائي:

مكـارم لـجّـت فـي علـو كأنّمـا   تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

(٥) **فسدلتُ دونَها ثوباً**: كناية عن إعراضه عن الخلافة، وسدل الثوب إرخاه.

(٦) **الكـشح**: مـا بين الجنب والخاصرة، والكاشح: المعرض عنك حين يوليك كـشحه أي جنـبه، وهـو مـثل لأنّ من جاع فقد طوى كشحه، ومن شبع فقد ملأه، فجوعه عن الخلافة أي لم يلتقمها.

(٧) **طَفَقْتُ**: جعلت.

أرتاي: أفكر.

يد جذّاء: أي مقطوعة، ويقولون: رحم جذاء أي لم توصل، وسن جذاء أي متهمة.

والمراد هنا ليس ما يؤيدها، كأنّه قال: تفكرت في الأمر فرأيت قلة الناصر أو عدمه، لذا وجدت الصبر أولى، وهذا بيان لعلة الإغضاء.

(٨) **طَخْيَة عَمْيَاء**: الظلمة الشديدة، والغم والحزن، ونسبة العمى إلى الظلمة مجاز عقلي، وإنّما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٩) **يَكْدَح**: يدأب ويسعى ويجد فلا يُعطى حقّه.

(١٠) **أحجَى**: أولى، يقال: هذا أحجى من هذا، أي أولى وأحرى وأوجب وألزم، لذا أولع بالصبر ولزمه.

ومنه: هو حجي بكذا، أي جدير به. وأصله من الحجى بمعنى العقل، فهو أحجى أي أقرب إلى العقل.

وهاتا بمعنى هذه.

والمعنى الذي تجسده العبارة هو: أنّه رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(١١) **القَذى**: ما يقع في العين من عود وتراب ونحوه.

والشجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه.

والتراث: حقّه المغتصب أي الخلافة.

والنهب: أخذ المال وغيره بالغلبة والاعتداء والقهر.

(١٢) **الأوّل**: هو أبو بكر بن أبي قحافة.

أدْلَى بها: أي بالخلافة.

أدلى إليه بالمال دفعه إليه، حيث صيّر أبو بكر الخلافة من بعده إلى قرينه ابن الخطاب.

(١٣) **الثاني**: أبو حفص عمر بن الخطاب.

(١٤) **الكُور**: الرَحل، والمعنى المراد يقول عليه السلام: هناك فرق بين يوم بويعت فيه بالخلافة مع ما فيه من الاختلاف، ويوم بويع فيه عمر إذْ وجد الأمور أمامه ممهدة.

ما الذي يعنيه البيت المذكور آنفاً؟

حيّان كان سيداً في بني حنيفة، مطاعاً فيهم، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الأعشى ينادمه. والأعشى هذا اعشى قيس أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، وجابر أخو حيان اصغر منه.

ومعنى البيت: أنّ فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيّان في رفاهيته، فإنّ الأوّل كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة.

(١٥) **الاستقالة**: طلب الإعفاء من الأمر. وروى بعض علماء الجمهور أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: أقيلوني فلست بخيركم.

(١٦) **لَشَدّ ما**: أي شديداً جداً.

تَشَطّرا: اقتسما.

والضمير في ضَرْعَيها يعود على الخلافة. قالوا: إنّ للناقة في ضرعيها شطرين كلّ خلفين شطر.

ويقال: شطر بناقته تشطيراً صرّ خلفين وترك خلفين.

والشطر أيضاً: أن تحلب شطراً وتترك شطراً.

فتشطّرا أي أخذ كلّ منهما شطراً. سمّى شطري الضرع ضرعين مجازاً، وهو

هنا من أبلغ أنواعه حيث أنّ من ولّي الخلافة لا ينال الأمر إلاّ تاماً ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطير والاقتسام، كأنّ أحدهما ترك منه شيئاً للآخر. وأطلق على كلّ شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كلّ واحد من أمر الخلافة.

(١٧) **الحَوْزَة**: الجهة.

الكَلْم ـ بفتح الكاف وسكون اللام ـ الجرح، كأنّما عنى بقوله هذا: إنّ خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(١٨) **الصعبة من الإبل**: التي لم تروّض، إنْ أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها، وإنْ أسلس زمامها ـ أي أطلق لها الزمام ـ تقحّم في المهالك فألقته في مهواة.

(١٩) **مُني الناس**: ابتلوا وأُصيبوا. الخبط: السير على غير جادة. والشماس ـ بالكسر ـ النفار. التلوّن: التبدّل. الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنّه يسير عرضاً في حال سيره طولاً.

(٢٠) **الضمير في** (لسبيله) يعود إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

(٢١) **النظائر**: الذي يشبه بعضهم بعضاً دونه.

(٢٢) **أسفّ الرجل**: إذا دخل في الأمر الدني، من أسفّ الطائر إذا دنا من الأرض. واراد عليه السلام بذلك أنّه لم يخالفهم في شيء.

(٢٣)**صغى**: مال. الضغن: من الضغينة، يريد به سعد بن أبي وقّاص ؛ لأنّ علياً عليه السلام قتل أخواله من بني أميّة. أو طلحة؛ لأنّه تيمي. والذي مال إلى صهره عبد الرحمن بن عوف؛ لأنّه زوج أم كلثوم بنت أبي معيط أخت عثمان لأمّه.

(٢٤) **هَن**: بوزن أخ، كناية عمّا لا يريد التصريح به، إذ يشير إلى أغراض أخر يكره ذكرها.

(٢٥) **ثالث القوم**: يشير إلى عثمان بن عفّان، وكان ثالثاً بعد انضمام كلّ من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه.

(٢٦) **الحضن**: ما بين الإبط والكشح، يقال للمتكبّر: جاء نافجاً حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً.

(٢٧) **النثيل**: الروث.

(٢٨) **المعتلَف**: موضع العلَف. ومعنى ما تقدم أنّه لا همّ له إلاّ ما ذكر.

(٢٩) **الخضم**: الأكل بجميع الفم أو بكلّ الأصابع. والقضم الأكل بأطراف الأسنان، فهو أخف من الخضم.

(٣٠) **انتكثَ فتلُهُ**: انتقض. وأجهز عليه: أتم قتله. والبطنة: امتلاء البطن من الطعام. وكبتْ به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

(٣١) **عرف الضبع**: شبّه كثرتهم بكثرة الشعر. والعرف: الشعر النابت على عنق الفرس، فاستعاره للضبع وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وانثالوا: أي انصبّوا وتتابعوا مزدحمين.

(٣٢) **شُق عِطفاي**: العطف ـ بكسر العين ـ الجانب. وتروى عطافي: أي ردائي، وذلك أنّ كثرة الزحام عليه وشدة اصطكاك الناس من حوله خدش جانباه. وكان الازدحام لأجل البيعة.

(٣٣) **ربيضة الغنم**: الطائفة من الغنم. يصفُ ازدحامهم وجثومهم بين يديه.

(٣٤) **الناكثون**: أصحاب الجمل، لأنّهم بايعوه فنكثوا بيعته. وهم: طلحة، والزبير، وعائشة، وأصحابهم.

والمارقون: الخوارج أصحاب النهروان.

والقاسطون: معاوية، وعمرو بن العاص، وأهل الشام أصحاب واقعة صفين.

والقاسط: الجائر.

(٣٥) سورة القصص، الآية: ٨٣

(٣٦) **راقهم زبرجها**: أي أعجبهم من زينة الدنيا حسنها وزينتها وما فيها من مُتعٍ ولذّات. وأصل الزبرج: النقش والزينة من وشي أو جوهر.

(٣٧) **فَلَقَ الحبّة**: شقّها. بَرأ النسمة: خلقها. والنَسَمة ـ محركة ـ النفس، وكان كثيراً ما يقسم بهذا القسم، وهو من أقسامه الجميلة.

(٣٨) **الحاضر**: مَن حضر لبيعته. الناصر: الجيش الذي يستعين به.

(٣٩) **الكظة**: امتلاء البطن من الطعام، يريد أنّهم لا يقارّوا الظالم على استئثاره وأكله الحرام. السغب. شدة الجوع، والمراد منه هضم حقّه الواجب له.

(٤٠) **الغارب**: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٤١) **أهل السواد**: سواد الكوفة، أي ضواحيها، وسمّي بالسواد لكثرة زرعه وخضرته.

(٤٢) **الشِقشِقة**: شيء يخرجه البعير من فيه إِذا هاج. والهدير: صوتها.

ما نقله ابن أبي الحديد في شأن الخطبة

قال: حدّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب هذه الخطبة، فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع (يعني قول ابن عباس: ما اسفت: إلى آخره)، قال لي: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألاّ يكون بلغ من كلامه ما أراد؟ والله، ما رجع عن الأوّلين ولا عن الآخرين، ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إِلا رسول الله ﷺ.

قال مصدّق: وكان ابن الخشّاب صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت: أتقول: إنّها منحولة؟ فقال: لا والله، وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق. فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرضيّ رحمه الله تعالى؟ فقال: أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب، فقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع في هذا الكلام في خَلٍّ ولا خمر.

ثُمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنِّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط مَن هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي[(١)].

مصادر الخطبة الشقشقية[(٢)]

١ـ الغارت/ ابن هلال الثقفي، المتوفّى (٢٨٣ هـ).

٢ـ المحاسن والآداب/ البرقي، المتوفّى (٢٨٠هـ).

٣ـ المواعظ والزواجر/ ابن سعيد العسكري، المتوفّى (٢٩١هـ) عن الغدير٧: ٨٢

٤ـ نقل ابن الخشاب بعد أن أقسم أنّه رأى هذه الخطبة في كتاب قد أولّف قبل الشريف بـ (٢٠٠ سنة). انظر: ما هو نهج البلاغة للشهرستاني: ٩٨.

٥ـ العقد الفريد/ ابن عبد ربه الأندلسي، المتوفّى (٣٢٨ هـ) نقلاً عن البحار المجلد ١٦٠/٨ الطبعة الحجرية.

٦ـ عبد الله بن محمّد بن محمود المعروف بابن كعب البلخي المعتزلي، وفاته

---

(١) شرح النهج ١: ٦٩.

(٢) الخطبة الثالثة من نهج البلاغة.

قبل مولد الرضي، توفي (٣١٧هـ) بنقل ابن أبي الحديد ١: ٦٩.

٧ـ الإنصاف في الإمامة / أبو جعفر بن قبّة، المتوفّى (٣٨٠هـ) (المعتزلي) تلميذ ابن كعب المتقدم.

٨ ـ معاني الأخبار / الصدوق، المتوفّى (٣٨١هـ)، ص٣٤٣.

٩ـ علل الشرائع / الصدوق، المتوفّى (٣٨١هـ)، ص١٤٤.

١٠ـ تحف العقول / ابن شعبة الحرّاني، المتوفّى (٣٨٠هـ)، ص٣١٣.

١١ـ كتاب الجمل / المفيد، المتوفّى (٤١٣ هـ) ص٩٢ و٦٢.

١٢ـ الإرشاد / المفيد، المتوفّى (٤١٣ هـ) ١: ١٣٠ و٢٨٤ و٢٨٦

١٣ـ المغني / القاضي عبد الجبار، المتوفّى (٤١٥هـ) بنقل الغدير ٧: ٨٣

١٤ـ الأمالي / أبو الفتح هلال بن محمّد الحفار، المتوفّى (٤١٤ هـ)، بنقل الطوسي في أماليه ١: ٣٩٢.

١٥ـ الإفصاح في الإمامة / المفيد، المتوفّى (٤١٣ هـ).

١٦ـ نثر الدرر / الوزير منصور بن الحسين أبو سعيد الآبي، المتوفّى (٤٢٢ هـ) بنقل أعيان الشيعة للأمين ٨: ١٠٧.

١٧ـ نزهة الأديب / الوزير منصور بن الحسين أبو سعيد الآبي.

١٨ـ الفهرست / ابن النديم، المتوفّى (٤٣٨ هـ)، ص٢٢٤.

١٩ـ الشافي / للسيد المرتضى، المتوفّى (٤٣٦ هـ)، ص٢٠٣.

٢٠ـ شرح الخطبة الشقشقية / المرتضى المتوفّى (٤٣٦ هـ).

٢١ـ الأوائل / أبو هلال العسكري، المتوفّى (٣٩٥ هـ).

٢٢ـ الرسائل العشر / الطوسي، المتوفّى (٤٦٠ هـ)، ص١٢٤.

٢٣ـ الفهرست / النجاشي، المتوفّى (٤٥٠ هـ)، ص٩٢.

٢٤ـ الأمالي/ للشيخ الطوسي، المتوفّى (٤٦٠ هـ)، ١: ٣٩٢.

٢٥ـ مجمع الأمثال/ الميداني المتوفّى (٥١٨ هـ)، ١: ١٩٧.

٢٦ـ المستقصي/ الزمخشري، المتوفّى (٥٣٨ هـ)، ١: ٣٩٣.

٢٧ـ شرح نهج البلاغة/ القطب الراوندي، المتوفّى (٥٧٣ هـ).

٢٨ـ خطب علي عليه السلام لإبراهيم بن الحكم الفزاري.

٢٩ـ غرر الحكم/ الآمدي، المتوفّى (٥٨٨هـ)، ٣: ٤٦ و٦: ٢٣٢ و٢٥٦.

٣٠ ـ الاحتجاج/ الطبرسي، المتوفّى (٥٨٨هـ)، ١:١٩١ و٢٨١.

٣١ـ المناقب/ ابن الجوزي، المتوفّى (٦٥٤ هـ).

٣٢ـ تذكرة الخواص، يوسف بن خزعلي سبط بن الجوزي الحنفي، المتوفّى (٦٥٤ هـ)، ص١٣٣.

٣٣ـ الفرقة الناجية/ القفطي، المتوفّى (٩٤٥ هـ).

٣٤ـ المجلى/ ابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفّى (٩٠٩ هـ)، ص٣٩٣.

٣٥ـ البحار/ المجلسي، المتوفّى (١١١٠هـ) قديم ٨:١٦٠.

٣٦ـ ما كتبه الوزير أبو الحسن علي بن محمّد بن الفرات، كان وزير المعتمد بالله، كتب الخطبة في نسخة وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة، وأنّ الخطبة قد كانت مكتوبة قبل ابن الفرات بمدّة. الغدير٧: ٧٤.

٣٧ـ النهاية/ لابن الأثير، ٢: ٢٩٤.

وقد شرح جملة من ألفاظ الخطبة كـ(جذذ)، (ملا)، (خضم)، (ابض)، (زبرج)، (شنق)، (عفط).

وقد روى بعض هذه الكلمات غير ما أثبته الرضي، فيعلم أنّ لابن الأثير مصادر عثر عليها غير (نهج البلاغة) جمع الرضي.

٣٨ـ لسان العرب / لابن منظور، مادة شقشق.

٣٩ـ القاموس / الفيروز آبادي، ٣: ٢٥١.

تسمية الخطبة

سمّيت هذه الخطبة بـ(الشقشقيّة) وبـ(المقمّصَة) من حيث اشتمالها على لفظ التقمّص في أوّلها. ومن حيث عبارة الإمامعليه‌السلام التي وردت في آخر الخطبة جواباً لابن عبّاس لمّا سأله بقوله: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك مِن حيث أفضيت!

فقالعليه‌السلام: **«هيهات يا بن عباس، تلك شِقشقة هَدَرَتْ..»**.

تكاد أن تكون هذه الخطبة هي السبب الرئيسي في إثارة القوم الشبهات الواهية حول (نهج البلاغة) والتشكيك فيه، ورمي جامعه الشريف الرضي بالكذب والتزوير، وما رغاء أولئك إلاّ مكابرة للحق والعناد الذي أمات قلبهم وأصمّ أسماعهم.

ثُمّ إنّ المعركة حول (نهج البلاغة) منذ أن نشبت إلى يومنا هذا وإن اصْطبغت بصبغة أدبية في ظاهرها لكنّها مذهبية سياسية في باطنها.

الإمام أمير المؤمنينعليه‌السلام في هذه الخطبة يرى نفسه أنّه أحق بمقام رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله من منافسيه، ومنافسوه يعلمون ذلك حقاً. لكن ماذا يعمل حين لم يجد من يناصره على المطالبة بحقّه؟ لهذا صبر على مضض، وأعرض عن غير رضا. وأمير المؤمنين عليه‌السلام لابدّ من أن يحاجج خصمه، ويدافع عن حقّه، ويدلي بأدلّته. وفي كون الإمام أحق بهذا الأمر من غيره أمر مستفيض عنه، من ذلك قولهعليه‌السلام لأبي بكر لمّا طلبوه ليبايع فقالعليه‌السلام: **«أنا أحق بهذا الأمر منكم، وأنتم أولى بالبيعة لي»**.

وقوله لأبي عبيدة بن الجرّاح لمّا طلب إليه أن يبايع لأبي بكر: **«الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وعقر بيته...**

ولا تدفعوا أهله عن مقامه، فوالله لنحن أحق الناس به»[(١)].

وأمّا كتابه إلى معاوية فهو أكثر صراحة من قبل، إذ جاء فيه: «**وذكرت حسدي الخلفاء، وإبطائي عنهم... والكراهية لأمرهم، فلست أعتذر إلى الناس من ذلك...**» إلى أن يقول: «**بل عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ وقد تركته لهم**»[(٢)].

بل اعتراف عمر بن الخطاب أكبر دليل على أحقيّة الإمام علي بالخلافة، من ذلك ما رواه ابن عبّاس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس، فقال: أمَ والله يا بني عبد المطلب، لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته. فقلت:أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما عليه، وافترعتما الأمر منه دون الناس؟!

فقال: إليكم يا بني عبد المطلب، أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب.

فتأخرت عنه وتقدم هنيهة، فقال: سِر لا سرت. وقال: أعد عليَّ كلامك.

فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه، ولو سكت سكتنا. فقال: إنا والله ما فعلنا عن عداوة، ولكن استصغرناه وخشينا ألاّ تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

قال: فأردت أن أقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه فينطح كبشها، أفتستصغره أنت وصاحبك؟

فقال: لا جرم، فكيف ترى؟ والله لا نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتّى نستأذنه[(٣)].

---

(١) انظر: الإمامة والسياسة ١: ١١.

(٢) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٨٩ / ٤٢٤.

(٣) محاضرات الراغب ٢: ٢١٣.

وبمثل هذا نقل ابن أبي الحديد المعتزلي فقال: قال عمر لابن عباس: يا بن عباس، أمَ والله، إن كان صاحبك ـ يعني علياًعليه السلام ـ أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلاّ أنا خفناه على اثنتين.

قال ابن عباس: فجاء بمنطق لم أجد بداً من مسألته عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هما؟ قال: حداثة سنّه، وحبّه بني عبد المطلب[1].

أقول: فأي ضير من الإمام أمير المؤمنينعليه السلام في الدفاع عن حقّه والقوم يعترفون له بهذا الحق المغتصب؟!

وهل الدفاع عن الحق والتعرّض للغاصبين أمر منكر؟!

إليك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**أنا فرْطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتّى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: ربّي أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[2].

وروى مثله عن سهل بن سعد وزاد فيه: «**فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي**»[3].

الأبعاد الحسية للخطبة

اشتملت الخطبة على الشكوى والتظلّم من القوم والشيخين بالذات في أمر الإمامة والخلافة، وقد عرفت أنّها محل خلاف بين الشيعة وبين بعض مناوئيهم في نسبة الخطبة للإمامعليه السلام أو للرضي، وقد ثبت أنّها وجدت في مصادر قبل أن يولد الرضي بقرن من الزمان، كما هو عن مصدّق بن شبيب النحوي قرأها على أستاذه أبي محمّد ابن الخشّاب، إذ قال: أنا وجدتها قبل أن يخلق أبو الرضي فضلاً عن الرضي.

(١) شرح النهج: ١ / ١٣٤.
(٢) صحيح البخاري ٩: ٨٣ / كتاب الفتن.
(٣) صحيح البخاري ٩: ٨٤ / كتاب الفتن.

وكذا توجد في كتاب (الإنصاف) لأبي جعفر ابن قبّة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة كانت وفاته قبل أن يولد الرضي. وكذا وجدها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمّد بن الفرات وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة.

ثمّ اشتملت الخطبة على بُعد حسّي آخر، وهو موقف أمير المؤمنين عليه السلام من القوم، إذ التزم الصمت، وتجرّع الغصص، وركن إلى الصبر حفاظاً على روح الإسلام وحقناً لدماء المسلمين.

ثمّ في الخطبة التصريح بأنّ الخليفة الأوّل رغب بالاستقالة لعدم أحقيّته بالخلافة.

ثمّ التذكير بسيرة الخليفة الثاني لمّا حصر أمر الخلافة في الشورى؛ فالأعضاء الناخبون هم ستة لا غير، ثلاثة يمثّلون جبهة وفاق واتحاد كلمتهم على عثمان، وواحد غائب عن الشورى مع ميوله لعثمان، واثنان ـ عليّ والزبير ـ تكاد تنعدم الألفة بينهما، فالغلبة للثلاثة ـ أي لصالح عثمان ـ دون الاثنين، وقد تنبّأ الخليفة الثاني لهذه النتيجة الحتمية من قبل.

والبعد الآخر ما رسمه لنا أمير المؤمنين عليه السلام في سير الأحداث أثناء خلافته.

الأوجه البلاغية في الخطبة

أوّلاً: قوله عليه السلام: **«محلّي منها محل القطب من الرحى»** [1] فيه ثلاث صور من التشبيهات:

أ ـ تشبيه محلّه بمحل القطب من الرحى: تشبيه المعقول بالمعقول، كونه نظام الدولة.

---

(١) الرحى: الحجر العظيم. وهي عند الفرّاء تكتب بالياء والألف، وقال ابن سيدة: الحجر العظيم، والرحى معروفة التي يطحن بها. لسان العرب ٥: ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ رحا.

ب ـ تشبيه نفسه بالقطب: تشبيه للمحسوس بالمحسوس.

ج ـ تشبيه الخلافة بالرحى: تشبيه المعقول بالمحسوس.

لمّا كانت حاجة الرحى إلى القطب ضرورية قَصَدَ أنّ غيره لا يقوم مقامه في أمر الإمامة.

(إنّ محلّي منها محل القطب من الرحى) تشبيه محض، يقول عليه السلام: كما أنّ الرحى لا تدور إلاّ على القطب ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه، كذلك نسبتي إلى الخلافة، فإنّها لا تقوم إلاّ بي ولا يدور أمرها إلاّ عليّ، هكذا.

وربّما أنّه أراد: إنّي من الخلافة في الصميم وفي وسطها كما أنّ القطب وسط دائرة الرحى.

ثانياً: قوله عليه السلام: «**ينحدر عنّي السيل**» استعار لنفسه وصفين:

أ ـ الانحدار، شبه العِلم بالماء ولا يصدق الانحدار في الماء إلاّ إذا كان في مرتفعٍ كالجبل.

ب ـ كنّى عن علوّه وشرفه وعلمه بالسيل إذ تفيض منه العلوم والتدبيرات السياسية والفقهية.

ثالثاً: قوله عليه السلام: «**ولا يرقى إليّ الطير**» كناية عن غاية أخرى من العلو.

رابعاً: قوله عليه السلام: «**فسدلت**» كناية عن احتجابه عن طلب الخلافة والإعراض عنها. استعار لذلك الاحتجاب لفظ الثوب، استعارة المحسوس للمعقول.

خامساً: قوله عليه السلام: «**طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء**».

أجيل الفكر في تدبير أمر الخلافة وأردّه بين طرفي نقيض. استعار وصف الجذّاء لعدم الناصر، ووجه الشبه أنّ قطع اليد يستلزم عدم القدرة على التصرف، وهكذا في عدم الناصر.

سادساً: قوله عليه السلام: «**طخية عمياء**».

لمّا كان هناك الالتباس والحيرة استعار لفظ الطخية لذلك الالتباس (استعارة المحسوس للمعقول)، ووجه الشبه أنّ الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الأمور. وهكذا وصف الطخية بالعمى على وجه الاستعارة؛ لأنّ الأعمى لا يهتدي إلى مطلبه، وكذا في هذه الظلمة.

سابعاً: ثُمّ كناية عن تلك الشدّة وما فيها من آثار:

أ ـ «يهرم فيها الكبير».

ب ـ «يشيب فيها الصغير».

(يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير) يمكن حمل ذلك على الحقيقة ويمكن حمله على المجاز والاستعارة، وعليه فقد أراد عليه السلام على معنى الحقيقة: طول المدة، أي طول مدة ولاية المتقدّمين عليه، فانّها مرّة يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير.

وأمّا على المجاز فإنّه أراد بذلك صعوبة تلك الأيام حتى أنّ الكبير من الناس يكاد يهرم لصعوبتها والصغير يشيب من أهوالها، كقولهم هذا أمر يشيب له الوليد وإن لم يشب على الحقيقة.

وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره:

ولا يرقى اليّ الطير، وطفقت ارتئي... فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، ثُمّ صبرت وفي العين قذى.

ج ـ المؤمن يقاسي الشدّة.

ثامناً: أشار ـ في قوله عليه السلام ـ إلى أنّه اتخذ طريق الصبر، فهو أليق بنظام الإسلام؛ لأنّ مقاومته ومناهضته للغاصبين الإمامة بغير ناصر لا تثمر.

تاسعاً: «فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شَجاً».

الواو للحال، والجملتان كنايتان عن شدّة ما أضمره من الأذى والغبن الذي لحقه.

عاشراً: «أرى تراثي نَهْباً». وفيها مقاصد:

أ ـ قد يكون مقصده فدكاً وما للزوجة بحكم ملك الزوج.

ب ـ وقد يكون مقصده الخلافة المغتصبة.

ج ـ في العبارة تلويح إلى زمن الرسول وما كان يحضى فيه بالتقدير.

د ـ كما في العبارة تلويح إلى ما كان يعانيه عليه السلام بعد وفاة الرسول وما حصل له من متاعب.

ثُمّ شبه حاله بيومين: أحدهما في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وما كان يحضى به من التقدير، واليوم الآخر هو بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وما حصل له من المتاعب.

ثُمّ الإشارة إلى تناقض كلام الخليفة الأول، فهو يستعفي من الخلافة ولكن عقدها قبل وفاته إلى عمر.

الحادي عشر: «لشدّ ما تشطّرا ضرعيها» استعار عليه السلام لفظ الضرع للخلافة استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة، ووجه الشبه المشابهة في الانتفاع الحاصل منها.

الثاني عشر: «حوزة خشناء»، كناية عن طباع عمر الخشنة:

أ ـ غلظة كلامه.

ب ـ خشونة طبعه.

الثالث عشر: «يكثر العِثَار فيها والاعتذار منها» كناية إلى تسرّع عمر في الأحكام.

ثُمّ وصف حال الثالث من الخلفاء وهو يقرّب بطانته من بني أميّة. (يخضمون في مال الله) ؛ الخضم كناية عن كثرة توسّعهم وتصرّفهم مال المسلمين على يد عثمان.

ثُمّ أقسم بالحبّة والنسمة؛ خصهما بالتعظيم بالنسبة إلى الله تعالى لما يشتملان عليه من لطف الخلقة وصغر الحجم من أسرار الحكمة وبدائع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم.

يُكثر الإمام عليه السلام من تشبيه المعقول بالمحسوس، فيقول عليه السلام: «**مجتمعين حولي كربيضة الغنم**» شبّههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الأشياء في مواضعها، وقلّة فطانتهم.

«**فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة و...**».

الأصناف الثلاثة الذين خالفوه هم:

أ ـ أهل الجمل.

ب ـ أهل صفّين.

ج ـ أهل النهروان.

وأوصاف هؤلاء ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله.

الفصل الرابع

تفصيل بعد إجمال

تفصيل بعد إجمال

قوله عليه السلام: «لقد تقمّصها فلان... حتّى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده».

تقمّصها: الخلافة، جعلها كالقميص، أنّها مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[1].

وقول النابغة:

تسربل سربالاً من النصر وارتدى   عليه بغصب في الكريهة فاصل

أراد عليه السلام بكلمة (فلان) الأولى أبا بكر بن أبي قحافة، وبكلمة (فلان) الثانية عمر بن الخطاب[2]. وقد عرفت من كلمة تقمّصها تصدّي أبي بكر للخلافة، فإنّه عليه السلام يشير ابتداءً إلى الأحداث التي جرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وأنّها وقائع مريرة، ويجدر بنا أن نشير إلى مجمل تلك الأحداث ابتداءً من السقيفة إلى الشورى وما تمخّض من ذلك من أحداث جسام.

أجمعت كتب التأريخ والسيرة بأنّ عمر بن الخطاب أنكر وفاة النبيّ، بل توعّد الناس وهدّدهم بالقتل إن قالوا بوفاته صلى الله عليه وآله!

---

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) صرّح ابن أبي الحديد ـ في شرحه عندما نقل الخطبة ـ باسم الأول فقال: ابن أبي قحافة، بينما في (نهج البلاغة) المطبوع وردت (فلان) بدلاً من التصريح بالاسم.

وأبو قحافة هو والد الخليفة، وقد عمّر إلى سبع وتسعين عاماً، ومات في خلافة الثاني في سنة ١٤هـ

أمر عجيب! وتحار عنده العقول! قال زيني دحلان: قال عمر: مَن قال إنّ محمداً قد مات ضربته بسيفي[1].

وعن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: لمّا توفّي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطّاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفّي، إنّ رسول الله والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلةً ثمّ رجع بعد أن قيل: قد مات والله. ليرجعنّ رسول الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات[2].

مَن هؤلاء الرجال المنافقون الذين يزعمهم عمر بن الخطّاب؟

هل صرّح النبيّ ﷺ أنّه ذاهب إلى ميقات ربّه كما كان موسى بن عمران؟

وهل علم عمر بن الخطّاب أنّ الميقات للنبيّ محمد ﷺ هو أربعون يوماً؟

وهل كفّر عمر عن قَسَمه، أم أنّه قد استعمل التورية في كلامه؟

وإذا كان النبيّ سيرجع ويقطّع أيدي رجالٍ وأرجلهم فعلام يتبرّع عمر في قتل أولئك؟

وهل تبقى باقية من أولئك ـ المنافقين على حدّ زعم عمر ـ الذين قالوا بوفاة النبي إلى زمان رجوعه حتّى يقطع أرجلهم وأيديهم؟

يبدو أنّها فوضى، وقد سادت الجاهلية من جديد، وأصبحت الشريعة الحاكمة هي شريعة الغاب!

وذلك واضح جدّاً؛ لتأمين مصالح سياسية قد اتّفق عليها القوم قبل رحيل النبيّ ﷺ عنهم.

---

(٣) السيرة النبويّة للعلاّمة زيني دحلان، المطبوع بهامش السيرة الحلبية ٣:٣٩٠.

(٢) هذا الخبر والذي سبقه تجده في عشرات المصادر وبألفاظ متقاربة نذكر بعضها: تاريخ الطبري ٢: ٤٢٢. تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٤. البداية والنهاية ٥: ٢٤٢. تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٤. تاريخ الخميس ٢: ١٨٥. مسند أحمد ٦: ٢١٩، نهاية الأرب ١٨: ٣٨٥. أنساب الأشراف ١: ٥٦٥.

وابن أبي الحديد أشار إلى ذلك فقال: إنّ عمر لمّا علم أنّ رسول الله قد مات خاف من وقوع فتنة في الإمامة وتغلّب أقوام عليها إمّا من الأنصار أو غيرهم، وخاف أيضاً من حدوث ردّة ورجوع عن الإسلام.

ثم قال: فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهر من كون الرسولﷺ لم يمت، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم[١].

لماذا سقيفة بني ساعدة؟

اتّضح ممّا سبق أنّ عمر بن الخطاب كان يماطل المسلمين ويتهدّدهم بالقتل ويحملهم على حياة النبيّ و... كلّ ذلك يُريد أن يصل أبو بكر حتّى تكتمل إرادة الجميع، ويبدأ تنفيذ ما بيّتوه في الأمس.

هذا الموقف قد انكشف للأنصار؛ لذا بادروا إلى حسم الموقف قبل مجيء أبي بكر وعمر إليهم، ثمّ إنّ جمعاً غفيراً من الأنصار كان إلى جنب عليّ بن أبي طالبعليه السلام ممّن رفضوا مبايعة أبي بكر.

قال ابن جرير الطبري: (وكان عمر يقول: لم يمت، وكان يتوعّد الناس بالقتل في ذلك.

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح، فقال: ما هذا؟

فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير.

فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء)[٢].

أُنظر إلى موقف أبي بكر، حيث أدرك أنّ القوم يطلبون الرئاسة، ولا مفرّ من ذلك، ممّا جعل الإمارة له والوزارة لسعد وقومه، غير أنّ عمر بن الخطاب تدارك

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٢٩، ط بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣.

الموقف لحسم النزاع بالمرّة في صالح رفيقه وصاحبه.

فقال لأبي بكر: مدّ يدك لأبايعك، فمدّ يده فبايعه، وتابعه أبو عبيدة الجرّاح وبعض الناس.

أمّا الأنصار فامتنعت، وادّخرت الأمر إلى عليّ بن أبي طالب.

قال الطبري: (... فقام عمر فقال: أيّكم تطيب نفسه أن يخلف قَدَمين قدّمهما النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار ـ أو بعض الأنصار ـ لا نبايع إلاّ علياً)[١].

إذاً بيعة أبي بكر لم تحصل إلاّ من عمر وأبي عبيدة بن الجرّاح، وبعض الناس.

أمّا سعد بن عبادة فلم يبايع[٢].

وأمّا الأنصار فلم يبايعوا.

ثمّ بنو هاشم كذلك لم يبايعوا، وهكذا علّية الصحابة لم يبايعوا، ومنهم: أبو ذرّ، وعمّار، والمقداد، وسلمان الفارسيّ، و...

ثمّ العبّاس وطلحة والزبير كذلك لم يبايعوا.

ثمّ عليّ بن أبي طالب كذلك لم يبايع.

ثمّ بقيّة المسلمين من المهاجرين كذلك لم يبايعوا، والبعض منهم كان مع عليّ بن أبي طالب في تجهيز الرسول وتغسيله[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣.

(٢) مات في خلافة عمر بن الخطاب ولم يبايع أبا بكر ولا عمر، حتّى مات وهو ساخط عليهما. انظر الإمامة والسياسة: ١٧.

(٣) عن عبد الله بن عباس قال: إنّ عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطلّب والفضل بن عبّاس وقُثم بن العبّاس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله هم الذين تولّوا غسله، وإنّ أوس بن خوليّ أحد بني عوف بن الخزرج قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله. وكان أوس من بدر وقال: أدخل فدخل.

وعليه، فإنّ كبار الأمّة كانت في شغلٍ شاغلٍ عن موت الرسول، أمّا بنو هاشم فقد كانوا في عزاء ومصيبة، فهم مشغولون في النبي، في تغسيله وتجهيزه؛ لأنّ الكلّ كان يطمع في الخلافة إلاّ بني هاشم الذين تولّوا شأن الرسول في تجهيزه وتكفينه، بل إنّ البعض كان لا يدري حتّى دُفن النبيّ ﷺ.

عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوت المَسَاحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء[(١)].

فالجميع كان يُمنّي نفسه بالخلافة.

والجميع ـ في بادىء الأمر ـ امتنع عن بيعة أبي بكر إلاّ عصابةً منهم.

والحَجر الذي يقف أمام عمر وأبي بكر هم الأنصار قاطبة.

أقول قاطبةً، وذلك باعتراف من عمر بن الخطاب، كما في تأريخ الطبريّ:

قال عمر: (... وإنّه كان من خيرنا حين توفّى الله نبيّه ﷺ. إنّ عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّف عنا الأنصار بأسرها)[(٢)].

ولا عجب عندما تسمع أنّ أبا بكر وعمر لشدّة تكالبهما على الخلافة أنّهما تركا رسول الله ﷺ ولم يشهدا دفنه[(٣)].

كيف تمت البيعة لأبي بكر؟

دخل عمر بن الخطّاب حلبة الصراع، وأخذ يجول بين أطراف القوم والجهات التي اشرأبّت أعناقها للسلطة، وأوّل شخصيّة تتصدر لمجابهة عمر هو

---

(١) مسند أحمد٦: ٢٧٤. سيرة ابن هشام٤: ٣٤٤. تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧٠. تاريخ الطبري٢: ٤٥٢ و٤٥٥. طبقات ابن سعد٢: ٨٢٤ ط ليدن. القسم الثاني ص ٧٨.

(٢) تاريخ الطبري٢: ٤٤٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، انظر: كنز العمال٣: ١٤٠.

الحُبابُ بن المنذر بن الجموح، حيث أدلى برأيه وقال: منّا أمير ومنهم أمير.

آنذاك قال عمر: هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم ووَلي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلاّ مُدْلٍ بباطلٍ أو مُتجانف لإثم أو متورِّط في هلكة [(١)].

هذا أوّل تهديد... أو متورّطٍ في هلكة.

هذا التهديد ردّه الحُبَابُ بن المنذر، فقال: (يا معشر الأنصار، أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأُمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دانَ لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين، أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ، وعُذَيقُها المُرَجَّب، أما والله لئن شئتم لنعيدنّها جَذعَة) [(٢)].

اتّضح لعمر أنّ الموقف من الأنصار ـ والذي يمثّله الحُبَاب ـ شديد، وربّما ينفجر بالاشتباك الصارخ، ومع هذا الاعتقاد أجاب عمر فقال: إذاً يقتلك الله.

قال الحُبَابُ: بل إيّاك يقتل [(٣)].

عرفت التهديد الأوّل من قبل عمر وكان لعامّة الأنصار.

والتهديد الثاني كان للحُبَاب بن المنذر.

وأمّا التهديد الثالث من عمر فكان لسعد بن عبادة. قال عبد الله بن عبد الرحمن:

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٧..

(٢) تاريخ الطبري٤: ٤٥٨. البيان والتبيين٣: ١٨١. الإمامة والسياسة: ٩. مسند أحمد١: ٥٦، السيرة الحلبيّة ٣: ٣٨٧. شرح النهج١: ١٢٨ و٢: ٤.

(٣) تاريخ الطبري٢: ٤٥٧.

فأقبل الناس من كلّ جانبٍ يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تُنْدَر عَضُدك، فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصتَ منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرفق هاهنا أبلغ. فأعرض عنه عمر[(١)].

هذا التهديد أوجع قلب أبي بكر ممّا عاتب عليه، فقال لعمر: الرّفق هاهنا أبلغ؛ لأنّ الأمر أخذ بالقوّة، والناس اتّقت الفتنة. وأمّا الهمج الرعاع فاتّجهوا نحو أبي بكر. إذاً لا داعي لهذا التهديد الجديد وفي سقيفة بني ساعدة!

التهديد الرابع: هذا التهديد استعمله عمر لبعض المهاجرين، وبالخصوص للزبير.

عن المغيرة، عن زياد بن كليب، قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرُجُنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مُصلتا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[(٢)].

وفي روايةٍ أخرى: أنّهم أخذوا سيفه فضربوا به الجدار.

ورواية ثالثة: أنّهم ضربوا به صخرة.

وكيفما كان أرادوا إبطال سيفه عن الضرب حتّى لا ينهض بوجوههم، ولا يقوى على مجابهتهم، وقد حصل لهم ذلك.

التهديد الخامس: استعمله عمر لإجبار عليّ بن أبي طالب، ولم يبقَ من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ بني هاشم، وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٩. مسند أحمد ١: ٥٦. العقد الفريد ٢: ٢٤٩. سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣. الإمامة والسياسة: ١١. الرياض النضرة ١: ١٦٧. شرح النهج ١: ٥٨ و٢: ١٩٥.

وإلـيك تفاصـيل الحادث برواية ابن قتيبة، قال: (وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عـن بيعـته عـند عليٍّ (كرّم الله وجهه)، فبعث إليه عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علـيّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحـرقنّها علـى مَـن فـيها، فقـيل لـه: يـا أبـا حفـص، إنّ فـيها فاطمـة؟ فقال: وإن، فخـرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت ألاّ أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقـي حتّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمةعليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حـضروا أسـوأ محـضر مـنكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً.

فأتـى عمـر أبـا بكـر فقـال لـه: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقـنفذ وهو مولىً لـه: اذهب فادعُ لي علياً. قال: فذهب إلى عليٍّ فقال لـه: ما حاجتك؟ فقـال: يدعـوك خلـيفة رسـول الله، فقـال علـيّ: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسـالة. قـال: فبكـى أبـو بكـر طـويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عـنك بالبـيعة، فقـال أبـو بكـر لقـنفذ: عُد إليه فقل لـه: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله! لقد ادّعى ما ليس لـه.

فـرجع قـنفذ فأبلـغ الرسـالة، فبكـى أبـو بكـر طـويلاً، ثـمّ قـام عمر، فمشى معه جماعـة حتّـى أتـوا بـاب فاطمـة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة.

فلمّـا سـمع القـوم صـوتها وبكاءهـا انـصرفوا باكـين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكـبادهم تنفطـر، وبقـي عمـر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا لـه: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟

قالـوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك، قال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا

رسوله، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه.

فلحق عليّ بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي، وينادي: يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم تردّ عليهما السلام.

فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورّث، ما تركنا[(١)] فهو صدقة.

فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم

فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: «**رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟**».

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ.

---

(١) في بعض النسخ: ما تركناهُ.

قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؛ ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها، ثُمّ خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.

قالوا: يا خليفة رسول الله، إنّ هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنّه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بتّ ليلة ولي في عنق مسلمٍ بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة.

قال: فلم يبايع عليّ (كرم الله وجهه) حتّى ماتت فاطمة عليها السلام، ولم تمكث بعد أبيها إلاّ خمساً وسبعين ليلة)[(١)].

هكذا تمّ الأمر لأبي بكر، وكان بطل المسرح عمر بن الخطاب، الذي استخدم سيفه وسيلةً لأخذ البيعة من المسلمين، فمرةً يهدّد بالسيف، وثانيةً ينذر الأنصار والحُبَاب بن المنذر بالهلاك، وثالثةً يأمر بقتل سعد بن عبادة، ورابعةً يضع الحطب على باب فاطمة بنت الرسول ليحرقها ومَن فيها، وخامسةً يهدّد الإمام عليّ بالقتل إن لم يبايع.

فلا نجد موقفاً من مواقف عمر بن الخطاب يوافق الشريعة الغرّاء؛ فجميع مواقفه خلاف القرآن والسنّة. وقد عرفت في ما ذكرناه من نصوص كيف تحرّك عمر لحسم النزاع بين المهاجرين والأنصار.

---

(١) الإمامة والسياسة١٩ ـ ٢٠. والعقد الفريد٢: ٢٥٠. ومروج الذهب ١: ٤١٤. وتأريخ اليعقوبي ٢: ١٠٥. وشرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٤ و٢: ١٩. وتأريخ ابن شحنة في هامش الكامل ٧: ١٦٤.

فبُورك من خليفةٍ يضع السيف على عاتقه والحطب إلى جنبه ليأخذ البيعة لغيره، ومن ثمّ لنفسه! بأسلوبٍ صارخ قلّ نظيره في تاريخ الأديان، ممّا أعقب هذا الأسلوب الفجائع والويلات، ولا زالت الأمّة الإسلاميّة مثقلة بالفجائع إلى يومنا هذا بسبب انحراف رجالها المتنفّذين وعدم لياقتهم للسلطة، ممّا قاله أبو بكر بعدما استتبّ له الأمر: (... ولقد قلّدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولوددت أنّي وجدت أقوى الناس عليه مكاني، فأطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم، ثمّ بكى.

وقال: اعلموا أيّها الناس، إنّي لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيّركم، ولوددت أنّ بعضكم كفانيه، ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي، وما أنا إلاّ كأحدكم، فإذا رأيتموني قد استقمت فاتّبعوني، وإن زغت فقوّموني، واعلموا: أنّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني. لا أُؤثر في أشعاركم وأبشاركم...)[(١)].

هذا هو الواقع، والتأريخ هو الشاهد، فما عسى أن نقول...!

إنّها حلقة من سلسلة طويلة ابتدأت ببيعة أبي بكر، والذي قال عنها عمر بن الخطّاب: (... فلا يَغُرّنّ امرءاً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتَةً، فقد كانت كذلك، غير أنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تُقَطَّعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر...)[(٢)].

خليفة يصرّح بأنّ له شيطاناً يعتريه، فإذا غضب فعليهم أن يجتنبوه، وإذا... ثمّ

---

(١) الإمامة والسياسة: ٢٢. طبقات ابن سعد٣: ١٥١. كنز العمال٣: ١٢٦. وشرح النهج ٣: ٨ و٤: ١٦٧. سيرة ابن هشام٤: ٣٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٦. وشرح النهج ١: ١٢٣. والصواعق المحرقة: ٢١. والتمهيد للباقلاني: ١٩٦.

يأتـي الخلـيفة الثانـي فـيقول: إنّ بـيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها... إذاً علامَ ذاك التهديد أيّها المنصفون؟ فهل يبقى لمقياس الصحبة أثر؟! وهل لا زلتم تقولون بعدالة كلّ الصحابة؟! إنّها مكابرة وضلال.

نلفت القارئ إلى النقاط التالية

أوّلاً: مجيء القوم بالحطب على باب دار فاطمةعليها السلام لحرقه.

ثانياً: جُرأة عمر بن الخطّاب وإقدامه لحرق الباب وإن كانت فيه فاطمة.

ثالـثاً: ادّعاء أبي بكر منصب الخلافة وعليّ يردّ عليهم: (لسريع ما كذبتم على رسول الله).

رابعاً: ادّعائه إمرة المؤمنين، وعليعليه السلام يؤنّبه: (لقد ادّعى ما ليس لـه).

خامـساً: مجـيء عمـر وقـنفذ وخالد بن الوليد وجماعة وهجومهم على الدار و... و... واستخراج عليّعليه السلام من بيته قهراً.

سادساً: تهديد الإمام عليّ بالقتل إن لم يبايع.

نتائج ما تقدم

١ـ أنّ القـوم جمـيعاً ـ الـسنّة ـ والخلفاء الثلاثة في مقدّمتهم يزعمون أنّ رسول الله مات ولـم يستخلف أحداً، وهُم في تنصيب أبي بكر يضفون عليه لقب (خليفة رسول الله)، فكيف يصبح خليفة والرسول ـ كما تزعمون ـ لم يخلّف؟!

ثمّ بعدها صيّر نفسه (أمير المؤمنين)، وهذا ادّعاء كبير ليس لـه أبداً.

٢ـ علامَ هذا البكاء الطويل من الخليفة أبي بكر؟! إنّه بكى مرّتين.

لا شـك أنّ قـول علـيّ بـن أبي طالبعليه السلام هو الحق، وأنّ اعتراضه على مدّعي الخلافـة كـان فـي محلّـه، وأنّ الـرجل قـد زُيّـنت لـه الحياة الدنيا وافتتن بها، قال تعالـى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا

الَّذينَ من قَبْلهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذبينَ﴾[١].

٣ـ ما المسوّغ في هجوم القوم على دار الزهراء عليها السلام ؟ ألم يوصي النبي صلى الله عليه وآله المسلمين؟ إذ أنّ المرء يحفظ في ولده، فهل رعوا حرمة النبي؟

وهل حفظوا ذريته من بعده وهو القائل صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «**إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك؟**»[٢].

قال الحاكم في (المستدرك على الصحيحين): هذا حديث صحيح الإسناد[٣].

والنصّ المتقدم يكشف عن منزلة فاطمة عند الله وعند رسوله، وهناك أحاديث كثيرة تفصح عن مقام الزهراء عليها السلام وقد سمعها جميع الصحابة، منها:

قال صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني**»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**»[٥].

أقول: استدل السهيلي من حديث: «**إنّ الله يغضب لغضب فاطمة**» على أنّ من سبّها كفر ؛ لأنّه يغضبه، وأنّها أفضل من الشيخين[٦].

أمّا الأخبار فقد تواترت في أنّ أبا بكر وعمر قد أغضبا فاطمة عليها السلام فهجرتهما

---

(١) العنكبوت: ١ ـ ٣.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٣.

(٣) انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٥: ٥٢٢. الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ٨: ١٥٩. تهذيب التهذيب ١٢: ٤٤١. كنز العمال للمتقي الهندي ٧: ١١١. ميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق في باب مناقب قرابة رسول الله، رواه البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة. وكنز العمال ٦: ٢٢٠، أخرجه ابن أبي شيبة، وفيض القدير ٤: ٤٢١. وخصائص النسائي: ٣٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح في باب ذب الرجل عن ابنته، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، والترمذي في صحيحه، والحنبلي في مسنده والحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه.

(٦) انظر: فيض القدير ٤: ٤٢١.

حتّى توفيت، وإليك بعض تلك الأخبار من كتب الصحاح:

روى البخاري في كتاب الخمس بسنده عن عروة بن الزبير: أنّ عائشة أم المؤمنين أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورّث، ما تركناهُ صدقة.

فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر، فلم تزل هاجرة له حتّى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر.

قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر وفدك وصدقة بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك[(١)].

ومثله رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب غزوة خيبر، بسنده عن عروه عن عائشة.

وفي كتاب الفرائض من (صحيح البخاري) روى بسنده عن عروة، عن عائشة: أنّ فاطمة عليها السلام والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورّث ما تركناهُ صدقة... إلى أن قال: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت[(٢)].

ربما تسأل عن سبب غضب فاطمة على أبي بكر وعمر.

والجواب كما مرّ عليك قبل قليل، هو أنّ الخليفة منع فاطمة من إرثها من خيبر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الخمس، الحديث الثاني. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٦. ورواه البيهقي في سننه ٦: ٣٠٠. ورواه ابن سعد في طبقاته ٨: ١٨.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٩.

وفدك وما أفاء الله على نبيّه، وقد جاء أبو بكر وعمر لعيادة فاطمة فلم تأذن لهما، ثمّ دخلا بإذن من عليعليه السلام فحوّلت فاطمة وجهها إلى الحائط، ثمّ سَمِعتَ مناشدتها إيّاهما فاعترفا بأنّهما أغضبا فاطمة، لذا هجرتهما ولم تكلّمهما حتّى ماتت.

وقد أوصت أن تدفن ليلاً وألاّ يحضر تشييع جنازتها كلّ من أغضبها؛ وذلك لشدة تأذّيها.

ثمّ ماذا تفسّر أنّ فاطمة لم تردّ السلام على أبي بكر وعمر، أليس صريح القرآن يوجب ردّ السلام على المسلم؟!

إنّها عملت بتكليفها الشرعي وهي ابنت الرسول الصادع بالرسالة من السماء.

ثمّ ماذا تفسّر قولها لأبي بكر وعمر: لئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه، ولأدعونّ الله عليكما في كلّ صلاة أصلّيها؟!

كيف كانت بيعة عمر بن الخطاب؟

إنّ كلّ الويلات التي أصابت الأمّة الإسلاميّة وجرّعتها مرارة الحياة وغصصها كان سببها النزاع الدائر بين شيوخ المهاجرين والأنصار، كما أنّ الذي مهّد السبيل لغصب الخلافة، وأمات كبرياء العرب، وأطاح بهيبة قريش، وأذلّ كبار المؤمنين من الصحابة إنّما هو موقف عمر بن الخطّاب من وفاة النبيّصلى الله عليه وآله وتهديده للمسلمين، وإكراه الناس على مبايعة أبي بكر.

أمّا حلبة الصراع ـ فكما تقدّم ـ كانت في سقيفة بني ساعدة، ثمّ توالت الأحداث بسرعة فائقة؛ ولم ينفضّ القوم عن اجتماعهم ذاك إلاّ وسيف الإكراه فوق رؤوسهم يلاحقهم حتّى بايعوا.

كما أنّ حمل الحطب وإضرام النار في باب فاطمة[1] كان أشدّ المواقف

---

(١) انظر: أعلام النساء ٣: ١٢٠٧. العقد الفريد ٢: ٢٥٠. تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦.

خزياً وأجرأها، وهي وصمة عارٍ في جبين التاريخ، ومن أبرز العورات في مسيرة أبي بكر وعمر.

عن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه؛ أنّه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفّي فيه، فأصابه مهتّماً، فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارئاً.

فقال أبو بكر: أتراه ؟

قال: نعم

قال: إنّي ولّيت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم وَرِم أنفُه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت.

ثُمّ قال أبو بكر: أجَلْ، إنّي لا آسى على شيءٍ من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتُهنّ وددّت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددّت أنّي فعلتهن، وثلاث وددّت أنّي سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله. فأمّا الثلاث اللاتي وددّت أنّي تركتهنّ: فوددّت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء...)[1].

لقد ندِمَ ابن أبي قحافة لمّا أمرهم على أن يحملوا الحطب ويضرموا النار على الزهراء فاطمة وبعلها عليّ بن أبي طالب.

إنّها الدنيا، الرئاسة، المُلك العضوض، لقد ندِمَ، ولات ساعة مندم.

بضعة المصطفى، إنّها روح النبيّ التي بين جنبيه، يغضب لغضبها، ويفرح لفرحها، ومع كلّ الذي جرى، واعتراف أبي بكر بما جنته يداه، فيأتي بمؤامرة أخرى حين وفاته فيقدم على تنصيب عمر بن الخطّاب دون مشورة المسلمين في ذلك.

عن يونس بن عمرو، عن أبي السَّفَر، قال: أشرف أبو بكر على الناس من

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦١٩. وأخرجه أبو عبيدة في الأموال: ١٣١. والعقد الفريد٢: ٢٥٤، ومروج الذهب١: ٤١٤.

كنيفه وأسماءُ ابنة عميس ممسكته موشومة اليدين، وهو يقول: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإنّي والله ما ألوت من جهد الرأي ولا ولّيت ذا قرابة، وإنّي قد استخلفت عمر بن الخطّاب فاسمعوا لـه وأطيعوا.

فقالوا: سمعنا وأطعنا[١].

ما هو المقياس الشرعيّ الذي اعتمده أبو بكر في تعيين عمر واستخلافه؟!

ألم يقل أبو بكر: ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني؟!

ألم يقل أبو بكر: وددّت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء[٢]؟!

ألم يقل: وددّت أنّي لم أكن حرقت الفُجاءَة السَّلَمي، وأنّي كنت قتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً؟!

ألم يقل: وددّت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً ؟!

ألم يكن هو وصاحبه ممّن نزلت فيهما وفي تسعة آخرين آية تحريم الخمر؟! حيث شربها القوم إلى سنة ثمان للهجرة وهي عام فتح مكّة، وقد شربوها في الجاهلية، وآخر شراب لهم في الإسلام كان عام ثمان للهجرة في دار أبي طلحة زيد بن سهل، وكان ساقيهم أنس بن مالك كما في (صحيح البخاري)، كتاب التفسير، آية الخمر في سورة المائدة.

كما أورد الخبر مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر.

والسيوطيّ في تفسيره (الدرّ المنثور ٢: ٣٢١) أخرجه عن عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، عن أنس.

---

(١) تاريخ الطبري٢: ٦١٨.

(٢) الإمامة والسياسة: ٢٤.

وأخرجه الطبري في تفسيره ٧: ٢٤، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣: ١٨١ و٢٢٧، والبيهقي في سننه ٨: ٢٨٦ و ٢٩٠.

لقد ذكر ابن حَجَر في (فتح الباري)[١] عشرة أشخاص ممَن كانوا في بيت أبي طلحة زيد بن سهل، وهم:

١ـ أبو بكر ابن أبي قحافة، وكان عمره آنذاك ٥٨ سنة.

٢ـ عمر بن الخطّاب، وكان عمره آنذاك ٤٥ سنة.

٣ـ أبو عبيدة بن الجرّاح، وكان عمره ٤٨ سنة.

٤ـ أبو طلحة زيد بن سهل، صاحب الدار.

الذي اجتمع فيه القوم المدرجة أسماؤهم، وبيته نادي شرابهم، وكان له من العمر ٤٤ سنة.

٥ـ سهيل بن بيضاء، توفي عام ٩ للهجرة وهو طاعن في السنّ.

٦ـ أبي بن كعب.

٧ـ أبو دجانة، سماك بن خراشة.

٨ـ أبو بكر بن شغوب.

٩ـ أنس بن مالك، حيث قال كما في (سنن البيهقي): إنّي لقائم أسقيهم وأنا أصغر القوم[٢]

١٠ـ معاذ بن جبل[٣]، وكان له من العمر ٢٣ سنة، وتوفّي في خلافة عمر سنة (١٨هـ)، عن عمرٍ ناهز الثلاثين.

---

(١) فتح الباري ١٠: ٣٧ وما بعدها، ط بيروت، دار المعرفة.

(٢) سنن البيهقي ٨: ٢٩.

(٣) مجمع الزوائد ٥: ٥٢. تفسير الطبري ٧: ٢٤. شرح النوويّ على هامش إرشاد الساري للقسطلاني ٨: ٢٣٢.

هل يصلح أحد هؤلاء القوم للخلافة وبين ظهراني المسلمين والصحابة مَن لم يعرفها ـ الخمر ـ ولم يشربها طيلة عمره؟!

هل يصلح أحد هؤلاء ومن بين المسلمين من هو أعلم منهم، ومن هو بالزهد والورع والتقوى والإيمان أشهر من أن يُذكر؟!

فأوّل من آمن بالله وبالرسول وأسلم وجهه للدين الحنيف هو عليّ بن أبي طالب، وقد أجمعت المصادر على أنّه لم يسجد لصنم ولم يشرك بالله طرفة عين!

إذاً لِمَ أقصوه عن الخلافة؟ ولِمَ تركوا النبيّ مسجّىً في بيته وبعدُ لم يباشر بتجهيزه ومَن حوله بنو هاشم في عزاءٍ وثكل؟

ولِمَ حملوا الحطب إلى دار فاطمة ليحرقوه على من فيه من أهل البيت؟

عشرات الأسئلة تختلج في الصدر، وإنّ قلوب المؤمنين لتعتصر ألماً وحزناً لما قام به الشيخان، حيث أوقعا الأُمّة في صراع دمويّ إلى يومنا هذا..

لقد عرفت مما سبق أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها، وقد حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة[١].

وهو الذي قال في يوم السقيفة: (مَن بايع أميراً عن غير مشورة فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتلا)[٢].

وهو الذي قال لابن عبّاس: يا بن عبّاس، ما أظنُّ صاحبك إلاّ مظلوماً!

وقد أجابه ابن عبّاس: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر[٣].

---

(١) شرح النهج ١: ١٢٣. التمهيد للباقلاني: ١٩٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٦. صحيح البخاري ١٠: ٤٤، باب رجم الحبلى من الزنا. وأنساب البلاذري ٥: ١٥.

(٣) شرح النهج ٢: ١٨.

وهو الذي قال لابن عبّاس: لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر[١].

وهـو القائـل: إنّا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه، وحسبنا ألاّ يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

فـردّ عليه ابن عبّاس إذ قال لعمر: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغرهُ أنت وصاحبك[٢].

وهـو القائل ـ لمّا طعن ـ: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم، يعني: عليّاً.

فقال لـه ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم علياً ؟

قال: أكره أن أحملها حيّاً وميّتاً[٣].

لو تجاوزنا هذه الأقاويل فماذا نصادف في استخلاف أبي بكر؟

فـإنّ لديـنا روايات صحيحة، منها ما في (تاريخ الطبري) بإسناده عن إسماعيل عـن قـيس، قـال: رأيـت عمـر بـن الخطّاب وهو يجلس والناس معه وبيده جريدة وهـو يقول: أيّها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله عليه السلام، إنّه يقول: إنّي لم آلكم نصحاً.

قال ومعه مولىً لأبي بكر يقال لـه: شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر[٤].

لا نعرف متى كتبت الصحيفة؟ ومتى استخلف الأوّلُ الثانيَ ؟

ومن هم الشهود على هذا الاستخلاف؟

وربّما يكون الأمر مدبّراً من الثاني كما عرفت حيال بيعة أبي بكر.

---

(١) شرح النهج ١: ١٣٤.

(٢) كنز العمال ٦:٣٩١.

(٣) أنساب البلاذري ٥: ١٦. الاستيعاب ٢: ٤١٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٦١٨.

وعن الواقدي بسنده قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين: أمّا بعد.

قال: ثُمّ أغمي عليه فذهب عنه.

فكتب عثمان: أمّا بعد، فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم آلُكم خيراً منه.

ثُمّ أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتتْ نفسي في غشيتي؟

قال: نعم

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرّها أبو بكر [1].

هذا مجمل بيعة الخليفة الثاني، ولا يعذر أحد فيها؛ لأنّ الرواية الأخيرة ـ المذكورة آنفاً ـ إنّما اختاره عثمان، ولمّا كتب الكتاب أفاق أبو بكر فلم يجرؤ على تغيير ما كتبه عثمان، بل أقرّه كما هو حتّى ينجو من المشكلة.

وكيفما كان، فلم تكن البيعة وفق المقاييس الشرعيّة، وقبل أسطر قد أثبتنا جملةً من أقوال عمر في شأن الخلافة والمشورة فيها!

فكيف يرضى بصنع عثمان وإقرار أبي بكر دون أن يشاوروا المسلمين فيها؟

يجيب على ذلك الإمام عليّ عليه السلام يوم حمّلوه على مبايعة الأوّل، وإلاّ تضرب عنقه، وهو يقول لهم: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله.

وهو القائل لهم: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي.

فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع.

---

(١) تاريخ ابن جرير ٢/٦١٩.

فقال لـه عليّ: احلب حلباً لك شطره، واشدد لـه اليوم أمره يردده عليك غداً[١].

وإلى هذا وذاك أشار عليه السلام في خطبته الشقشقيّة، فقال:

«أما والله لقد تقمّصها فلان ـ ابن أبي قحافة ـ وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه.

فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده... فياعجباً ! بيناهو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ـ لشدّما تشطّرا ضرعيها ـ ! فصيّرها في حوزةٍ خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن اشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس ـ لعمر الله ـ بخبطٍ وشماس، وتلوّنٍ واعتراض، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعةٍ زعم أنّي أحدهم. فيا لله وللشورى!...»[٢].

تُنبئكَ هذه الخطبة عن خلاصة الأحداث وسير الخلافة والأسلوب الذي اتّبعه القوم، فيتقمّصها الأول بالقوّة والقهر والغلبة ويدلي بها إلى الثاني فيستخلفه رغم أنف المسلمين، ويُصيّرها الثاني شورى في ستّةٍ منهم عليّ بن أبي طالب.

---

(١) أي: افعل فعلاً يكون لك منه نصيب، فأنت تبايعه اليوم وغداً يحوّلها لك، فبنصرتك اليوم له يردّها إليك غداً مضمونة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقيّة.

وعليه، يشكو الإمام عليّ من هذا التصرف ويستاء منه، فيقول: «**متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر؟**».

أراد ابن أبي الحديد أن يعتذر عن القوم في شأن غصب الخلافة، فأورد مثالاً لا طعم فيه، مع اعترافه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل والأحق، وعدل عنه إلى مَن لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، قال: ألا ترى أنّ البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة فيجعل السلطان الأنقص علماً منهما قاضياً فيتوجّد الأعظم ويتألّم وينفث أحياناً بالشكوى ولا يكون ذلك طعناً في القاضي وتفسيقه، ولا حكماً منه بأنّه غير صالح، بل العدول عن الأحق والأولى.

يقول: هذا أمر مركوز في طباع البشر، ومجعول في أصل الغريزة والفطرة.

أقول: والرد على ابن أبي الحديد من عدّة وجوه:

أوّلاً: كيف قاس بين السلطان وما يأمره، وبين الخالق الواحد الذي أمره الصواب، وطاعته فرض، والمخالف له هالك لا محال؟!

ثانياً: من أين جاء الارتكاز في طباع البشر على تقديم المفضول على الفاضل؟!

ثالثاً: لو جاءنا بمثال يُؤيّد أنّ تقديم المفضول من أصل الفطرة. على أنّ الأمر على العكس تماماً.

رابعاً: أنّ ابن أبي الحديد أشار إلى قول الإمامية في النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام من قبل النبيّ ولم يأتِ بما يخالفهم، وهذا اعتراف ضمني بأحقيّة الإمام بالخلافة، فهو المنصوص بها ولا مبرّر لغيره أن يتصدّى.

خامساً: ادعى أنّ مصلحة الإسلام اقتضت تنصيب الأول. عجباً ! من الذي يعيّن هذه المصلحة، إجماع الأمة، أم نفر هم بمعزل عن كبار الصحابة وأسرة النبيّ؟

سادساً: وأية فتنة بعد تلك التي كانت في السقيفة وما تلاها من ويلات ومحن؟!

قوله عليه السلام: «حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان آبن الخطاب بَعده»، مضى الأوّل أي أبي بكر كما عرفت، لسبيله أي على سبيله. فادلى بها من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾[1]، أي تدفعوها إليهم رشوة. وأصله من أدليت الدلو في البئر أرسلتها، وأراد عليه السلام بالإدلاء أي دفع الخلافة وتسليمها إلى من لا يستحقّها، كمن يدفع ماله إلى الحاكم فإنّه إخراج للمال إلى غير وجهٍ، فكان ذلك من باب الاستعارة.

بوادر الشورى والبيعة لعثمان

أدرك الخليفة الثاني أنّ بيعة أبي بكر لم تنل رضا المسلمين، ولم يجتمعوا إليه إلاّ بالقهر والغلبة، وقد بان التحزّب، وظهرت الأضغان، وكادت الجاهلية تحلّ بين القوم.

ثمّ إنّ استخلاف أبي بكر لعمر كان واضحاً في أذهان المسلمين، إنّها المغامرة الثانية التي أثارت حفيظة المسلمين، وبالخصوص بلاد الشام[2]، إذ ـ مسبقاً ـ كانوا على اطلاع من غلظة الخليفة وقسوته وخشونته مع المسلمين، لا لشيءٍ وإنّما هكذا كان فظّاً غليظاً.

ومهما يكن من أمرٍ فإنّ الخليفة الثاني لم يرغب في أن يصرّح بالذي يضمره في قلبه، وهو محاباته لعثمان بن عفّان الذي له أيادٍ بيضاء في صنع المعروف، حيث ذكرنا آنفاً كيف تمّت وصيّة أبي بكر، وكيفَ أدلى عثمان برأيه في الخلافة،

---

(١) البقرة: ٨٨.

(١) الإمامة والسياسة: ٢٥.

وباقتراح منه دون أن يُملي عليه الأوّل. إنّه معروف وجميل كبير لابدّ أن يُشكر عليه، فهل تُرى يغفل الثاني ترك الحبل على الغارب دون أن يجعل لعثمان فيه نصيباً ؟

ومع ذلك فهو أمر دبّر في ليل، فاتّفقوا أن يجعلوها ـ أي الخلافة ـ شورىً حتّى يُغيّب الأمر على الناس، ويظهر الخليفة أمامهم بوجه مرضيٍّ جميل. علماً بأنّ في بادئ ذي بدء أظهر الخليفة تردّده في الاستخلاف، ممّا استكشف ابن عمر أن أباه غير مستخلف.

روى البيهقي وابن كثير وأحمد بن حنبل: أنّ عمر لمّا طُعِن قيل له: لو استخلفت؟

فقال: أتحمَّل أمركم حيّاً وميّتاً؟ إنْ أستخلف فقد استخلف مَن هو خيرٌ منّي أبو بكر، وإن أترك فقد ترك مَن هو خير منّي رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عبد الله: فعلمت أنّه غير مستخلف[1].

وفي موقف آخر يتمنّى عمر بن الخطّاب لو أنّ أبا عبيدة بن الجرّاح كان حيّاً حتّى يقلّده الخلافة، بل أكثر من هذا تمنّى سالماً مولى أبي حذيفة حيّاً حتّى يستخلفه، هكذا وصل به أن يقلّد الخلافة العبيد وحفّاري القبور في المدينة، متنكّراً لكبار الصحابة كالمقداد وعمّار وسلمان وأبي ذرّ والعبّاس ومعاذ وأبي أيّوب وعلي بن أبي طالب الذي يُعدّ على رأس هؤلاء الصحابة!

نقل ابن جرير بسنده عن عمرو بن ميمون الأوديّ: أنّ عمر بن الخطّاب لمّا طعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت؟

قال: مَن أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيّاً استخلفته، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمّة. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً

---

(١) سنن البيهقي ٨: ١٤٨. وتاريخ ابن كثير ٥: ٥٠. مسند أحمد ١: ٤٣ و ٤٦. كما أخرجه البخاريّ ومسلم.

استخلفته، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله.

فقال لـه رجل: أدلّك عليه؟ عبدالله بن عمر.

فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا. ويحك، كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟! لا أرَبَ لنا في أموركم ما حمدتها، فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شرّاً فشرعنا إلى عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمّة محمد.

أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إنّي لسعيد، وأنظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي، ولن يضيّع الله دينه.

فخرجوا، ثمّ راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً؟

فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمركم، هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى عليّ ـ ورهقتني غَشية، فرأيت رجلاً دخل جنّةً قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضمّه إليه ويصيّره تحته، فعلمت أنّ الله غالب أمره، ومتوف عمر، فما أريد أن اتحمّلها حيّاً وميّتاً. عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّهم من أهل الجنّة: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست مدخله، ولكن الستّة: عليّ وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وآله، والزبير بن العوّام حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّته، وطلحة الخير بن عبيدالله (١).

أقول: عجباً لعمر بن الخطّاب أن يتمنّى حياة حفّار القبور أبي عبيدة ابن الجرّاح ليقلّدهُ الخلافة؛ لأنّه سمع فيه حديثاً واحداً من الرسول صلى الله عليه وآله ! بل

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٢. العقد الفريد ٢: ٢٥٦.

أعجب من ذلك أنّه يتمنّى حياة سالم مولى أبي حذيفة ليقلّده الخلافة؛ لأنّه سمع فيه ـ أيضاً ـ حديثاً واحداً من الرسول ﷺ!

عجباً للخليفة أن يتمنّى وجود هذين حيّين لأنّه سمع فيهما حديثاً واحداً، وقد سمع في عليّ بن أبي طالب عشرات، بل مئات الأحاديث قد خصّها الرسول به، وكلّها تنصّ على فضائل الإمام ومنزلته عند الله !

ألم تكن تلك الأحاديث الصادرة من الرسول ﷺ كافيةً كي تؤهّل الإمام للخلافة؟ فعلامَ يتمنّى عمر حياة أمثال سالم وأبي عبيدة الجرّاح؟!

فهل غاب عن ذهن عمر منزلة عليّ بن أبي طالب وقربه من الرسول، أو أنّه لم يسمع تلك الأحاديث من صاحب الرسالة؟

أما الشورى التي حصرها الخليفة الثاني في ستّة، فهم:

١ـ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابن عمّ الرسول وأخوه وصهره على ابنته فاطمة عليها السلام، ويمثّل ثقل بني هاشم.

٢ ـ عثمان بن عفان، ويمثّل بني أمية.

٣ـ عبد الرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

٤ـ سعد بن أبي وقّاص، وهو ابن عمّ عبد الرحمن.

٥ـ الزبير بن العوّام، وهو ابن صفية بنت عبد المطّلب عمّة الرسول ﷺ.

٦ـ طلحة بن عبيدالله، أحد الصحابة.

ولو ألقينا نظرةً فاحصةً على هؤلاء فنجدهم في ميولهم السياسي يشكّلون فريقين:

الفريق الأول: يضم عثمان بن عفّان، وصهره عبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقّاص الذي هو وعبد الرحمن من فرع واحد. وهؤلاء الثلاثة قد اجتمعت كلمتهم على مبايعة عثمان.

الفـريق الثاني: وتكـاد الألفة تنعدم بينهم، بل إنّ ميول طلحة لا غبار عليه فهو إلـى عـثمان وإن لـم يكن حاضراً، لذا جعل الخليفة الثاني غاية التشاور إلى ثلاثة أيّام، وكأنّما اطمأنّوا في عدم حضور طلحة في الشورى، لذا رجّحت كفّة الفريق الأوّل بغياب طلحة.

وعليه، فلم يبقَ من الفريق الثاني إلاّ عليّ والزبير، فكيفما دارت المشورة فهي مـن صـالح عـثمان وجماعـته؛ لأنّ عبد الرحمن خلع نفسه وتركها لصاحبيه، وأمّا عـثمان فقـبلها، ثمّ تنازل سعد لعثمان لمّا وجد ابن عمّه ـ عبد الرحمن ـ قد خلعها من نفسه وأدلى بها لعثمان.

فمـن الطبيعـيّ أن يـتمّ الأمـر قهـراً لابـن عفّـان، فلو فارق عليّ والزبير الجماعة مع فـرض أنّهمـا يـشكّـلان جـبهة معارضـة، فـإنّ الغلـــبة للـــثلاثة دون الاثنين. كما أنّ سيف صهيب المسلول مأذون بإطاحة رؤوس المعارضة بإيعاز من عمر بن الخطّاب.

وقد تنبّأ الخليفة الثاني للنتيجة الحتميّة، إن لم نقل إنّ الأمر دبّر ليلاً.

ثمّ إنّ تقييمه للستّة يكشف عن خيوط المؤامرة.

قـال: وما أظنّ أن يلي إلاّ أحد هذين الرجلين؛ عليّ أو عثمان، فإن ولي عثمان فـرجل فـيه لـين، وإن ولـي علـيّ ففيه دعابة(١) وأحرى به أن يحملهم على طريق الحقّ. وإن ولّوا سعداً فأهلها هو، وإلاّ فليستعن به الوالي، فإنّي لم أعزله عن خيانة ولا ضـعف(٢). ونعـم ذو الـرأي عـبد الـرحمن بـن عـوف، مـدد رشيد، لـه من الله حافظ، فاسمعوا منه(٣).

---

(١) وفي الأنساب للبلاذري ٥: ١٦. فيه بطالة وفكاهة.

(٢) وفي رواية ابن عبّاس: ذلك صاحب مقنب وقتال لا يقوم بقرية لو حُمل أمرها. الأنساب٥: ١٦.

(٣) تاريخ الطبري٣: ٢٩٤. وفي الأنساب ٥: ١٦ قال: هو رجل صالح على ضعف.

وفي رواية البلاذري كما عن ابن عبّاس، وقد أشار إلى طلحة، قال: فأين الزهو والنخوة؟

قلت: فالزبير؟

قال: لَقيس مؤمن الرضا، كافر الغضب، شحيحٌ. إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويٍّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف.

قلت: فأين أنت عن عثمان؟

قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه[1].

وعليه ـ بعد هذا التقييم ـ فلابدّ من تنفيذ الأمر.

فما هي الأدوار في الشورى؟ ومن هم أبطالها؟

الشاهد على مسيرة القوم في المشاورة هو عبد الرحمن بن عمر.

السيّاف الذي يتولّى قتل من يخالف هو صهيب مولى عمر.

المشورة تتمّ صورتها النهائيّة بطرف ثالث، وهو عبدالله بن عمر الذي لا يحسن طلاق امرأته كما صرّح به والده عمر.

مكان الشورى دار المسوّر بن مخرمة، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف.

بطل الموقف في التحرّك السياسيّ والمنسّق بين هؤلاء عبد الرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني

قال عمر للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتّى يختاروا رجلاً منهم.

---

(٤) الأنساب ٥: ١٦.

وقال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثة أيّام، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إنْ قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف.

وإنْ اتّفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما.

فإنْ رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكّموا عبدالله بن عمر، فأيّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم.

فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس[1].

لم يتأخّر صهيب في تنفيذ قرارات سيّده، كما أنّ عبد الرحمن بن عوف قام بالمهمّة في أحسن دور، فأوّل عملٍ قام به هو خلع نفسه من هذه الخلافة وأدلى برأيه إلى عثمان، وبعد هذا أخذ يلعب دور السفير بين الأطراف، فاتصل أوّلاً بالزبير، ثمّ بسعد، ثمّ بعلي، ثمّ بعثمان، وأخيراً اتّصل بجميع الأنصار والمهاجرين وخطب فيهم، وحاول أن يكشف عن رغبات كبار الصحابة، فاستشارهم، فأشاروا عليه.

فهذا عمّار يصرّح أنّ عليّاً أولى القوم بالخلافة، ويقوم المقداد ليؤكّد ذلك، ثمّ ينهض ابن أبي سرح فيشير إلى عثمان، ويقوم عبدالله بن أبي ربيعة ليقف إلى صف ابن أبي سرح. ثمّ ينفجر الموقف بتشاجر بين شيوخ بني هاشم وكبار بني أميّة، ويحسم الموقف سعد بن أبي وقّاص، فيشير إلى عبد الرحمن بقوله: أفرغ قبل أن يفتتن الناس.

---

(١) تاريخ الطبري ٣:٢٩٤.

فما هي إلاّ دقائق حتّى يرقى ابن عفّان، وسيف صهيب يبرق على رؤوس الآخرين من أعضاء الشورى، وكادت أن تقع الفتنة لولا أن بايع الإمام، وكانت بيعته هنا كبيعته للأوّل[1].

هكذا تمّت البيعة لعثمان بسيف عمر بن الخطّاب الذي سلّه مولاه صهيب على رؤوس الخمسة من أهل الشورى، والمعني في التهديد هو علي لا غير.

وهذه هي البيعة الثالثة التي تؤخذ بالقوة والغلبة، وكما اتّضح كسوابقها لم تكن بنصّ من القرآن ولا من سنّة النبيّ، إذاً هي خلاف الموازين الشرعيّة.

ثمّ لا يخفى عليك وأنت جدّ عليم أنّ الموازين الشرعيّة عندما تغيب عن الساحة السياسية، وتلعب الأهواء والميولات في عقول أهل الحلّ والعقد، وينطق السيف في كلّ وادٍ وناد، فلا عجب أن تخلق تلك الأجواء الموبوءة رجال سوءٍ وساسة لهم في السلطة أطماع ومصالح، والذي حصل أن يتصدى لإدارة شؤون المسلمين جملة من الولاة والأمراء الفسقة المنحرفين، الذين عرفوا بظلمهم وجحودهم وفسقهم وتجرّئهم على الله والرسول والمؤمنين.

ونحن لا نريد التعرّض لمساوئ وأفعال الخلفاء والقادة السياسيّين والقضاة وجباة الأموال، لكن يكفي أن نذكر سيّئةً واحدةً في المقام، وهي تولية معاوية قيادة فلسطين والأردن ثمّ الشام منذ عهد عمر بن الخطّاب سنة (١٣ هجرية) إلى وفاة معاوية سنة (٦٠ للهجرة).

وجرائم معاوية كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى، وعلى رأسها:

---

(٢) لم ترد في مصادرنا الخاصة كيفية هذه البيعة، بل أجمعت مصادر الشيعة على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع لأبي بكر وعمر وعثمان طوعاً، بل حاججهم ونصحهم زمناً طويلا ثمّ بايعهم وهو مكره حفاظاً على وحدة الأمة وتلافياً للفتنة، وما ورد إنما هو من مصادر أهل السنّة.

١ـ مواجهته للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وامتناعه من بيعته، وعصيانه في إمارة الشام، ثمّ إشعاله الفتنة، وحربه للإمام في صفّين والخدعة التي استعملها في رفع المصاحف.

٢ـ سبّه لأمير المؤمنين على منابر المسلمين في الشام ومصر والحجاز وبقيّة الأمصار.

٣ـ سمّه للإمام الحسن السبط عليه السلام.

٤ـ قتله لحواريّ رسول الله وأمير المؤمنين، أمثال: الصحابي عمّار بن ياسر، ورشيد الهجري، وميثم التمّار، وحجر بن عديّ الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصيفي بن غسيل، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وعبدالله بن خليفة الطائي، والأرقم بن عبدالله، وشريك بن شدّاد، وكريم بن عفيف، وعاصم بن عوف، وورقاء بن سمّي، وكدام بن حيّان، وعبد الرحمن بن حسّان، ومحرز بن شهاب، وعبدالله بن حويّة، ومالك الأشتر النخعي، ومحمّد بن أبي بكر، وغيرهم.

٥ـ بعثه بسر بن أرطاة في جيش إلى المدينة واليمن وأمره بأن يقتل من يوالي عليّاً، ويروّع النساء ويُخيفهم، حتّى قتل ابني عبيدالله بن عبّاس، وهما عبد الرحمن وقثم، وكانا طفلين صغيرين، فذهلت أُمّهما لمّا خبّروها بقتلهما حتّى أخذت تطوف بين الناس في الحجيج وهي تقول:

يا مَن أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... كالدرّتين تشظّى عنهما الصدفُ

يا من أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهفُ

يا من أحسّ بابنيَّ اللذين هما ... مخّ العظام فمخّي اليوم مختطف

نبّئت بُسراً وما صدّقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحى على ودجي ابنيّ مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإفك يقترفُ

حتّى لقيت رجالاً من أرومته ... شمّ الأنوف لهم في قومهم شرف

فـالآن ألعـن بُـسراً حـقّ لعنـته　　　هـذا لعمـر أبـي بـسر هـو الـسَرَفُ

مـن دلّ والهـةً حـرّى مـولَهةً　　　على صبيّين ضلاّ إذ غدا السلفُ [1]

(١) انظر هـذه الحادثـة فـي: الأغاني لأبي الفرج ١٥: ٤٤. النزاع والتخاصم: ١٣. الكامل لابن الأثير٣: ١٦٢. تاريخ ابن كثير ٧: ٣١٩. الاستيعاب ١: ٦٥. تاريخ ابن عساكر٣: ٢٢٠.

الفصل الخامس

قوله عليه السلام: «يستقيلها في حياته...»

مشيراً إلى أبي بكر

قوله عليه السلام في خطبته: «يستقيلها في حياته...» مشيراً إلى أبي بكر

إنّ استقالة أبي بكر عن الخلافة كادت تحصل لولا التثبيط من أحدهم، ولتوضيح ذلك نورد الخبر الذي جاء في كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق، بسنده عن أبي سعيد الورّاق، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال:

لمّا كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعلي بن أبي طالب عليه السلام ما كان، لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط ويرى منه انقباضاً، فَكَبُرَ ذلك على أبي بكر فأحبّ لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه لما اجتمع الناس عليه وتقليدهم إيّاه أمر الأمّة وقلة رغبته في ذلك وزهده فيه، أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة، وقال له: والله يا أبا الحسن، ما كان هذا الأمر مواطاة منّي، ولا رغبة فيما وقعت فيه، ولا حرصاً عليه، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمّة، ولا قوّة لي بمال، ولا كثرة العشيرة، ولا ابتزازاً له دون غيري، فما لك تضمر عليَّ ما لم استحقّه منك، وتظهر لي الكراهة في ما صرت إليه، وتنظر إليّ بعين السأمة منّي؟

قال: فقال له عليه السلام: فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه، ولا حرصت عليه، ولا وثقت بنفسك في القيام به وبما يحتاج منك فيه؟

فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله لا يجمع امّتي على

ضـلال»، ولمّا رأيت اجتماعهم اتبعت حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وأحلت أن يكون اجتماعهم على خلاف الهدى، فأعطيتهم قود الإجابة، ولو علمت أن أحداً يتخلّف لامتنعت.

قال: فقال عليّ عليه السلام: أمّا ما ذكرت من حديث النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنّ الله لا يجمع أمّتي على ضلال**» أفكنتُ ـ [أنا] ـ من الأمّة أو لم أكن؟

قال: بلى.

قال: وكذلك العصابة الممتنعة عليك من سلمان وعمّار وأبي ذر والمقداد وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟

قال: كلّ من الأمة.

فقال عليّ عليه السلام: فكيف تحتج بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وأمثال هؤلاء قد تخلّفوا عنك، وليس للأمة فيهم طعن ولا في صحبة الرسول ونصيحته منهم تقصير؟

قال: ما علمت بتخلّفهم إلاّ من بعد إبرام الأمر، وخفت إن دفعت عنّي الأمر أن يتفاقم إلى أن يرجع الناس مرتدّين عن الدين، وكان ممارستكم إليّ إن أُجبتم أهون مؤونة على الدين وأبقى له من حرب الناس بعضم ببعض فيرجعوا كفّاراً، وعلمت أنّك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم.

قال عليّ عليه السلام: أجل، ولكن أخبرني عن الذي يستحق هذا الأمر بما يستحقه.

فقال أبو بكر: بالنصيحة، والوفاء، ودفع المداهنة، والمحاباة، وحسن السيرة، وإظهار العدل، والعلم بالكتاب والسنة، وفصل الخطاب، مع الزهد في الدنيا، وقلة الرغبة فيها، وإنصاف المظلوم من الظالم للقريب والبعيد. ثمّ سكت.

فقال عليّ عليه السلام: والسابقة والقرابة؟ [١].

(١ و ٢) ينظر البحار ٢٩: ٥.

فقال أبو بكر: والسابقة والقرابة.

قال: فقال علي عليه السلام: أنشدك بالله يا أبا بكر، أفي نفسك تجد هذه الخصال أو فيّ؟

قال: بل فيك يا أبا الحسن.

قال: أنشدك بالله، أنا المجيب لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذكرانِ المسلمين أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الأذن لأهل الموسم ولجميع الأمّة بسورة براءة أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا وقيت رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسي يوم الغار أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، ألي الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم أم لك؟

قال: بل لك.

قال: فأنشدك بالله، أنا المولى لك ولكل مسلم بحديث النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، ألي الوزارة من رسول الله صلى الله عليه وآله والمثل من هارون من موسى أم لك؟

قال: بل لك.

قال: فأنشدك بالله، أبي برز رسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيتي وولدَي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك وبأهلك وولدك؟

قال: بكم[1].

---

(١) آل عمران:٦١. قوله تعالى: ﴿...فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

قال: فأنشدك بالله، ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس[1] أم لك ولأهل بيتك؟

قال: بل لك ولأهل بيتك.

قال: فأنشدك بالله، أنا صاحب الآية ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[2] أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الفتى الذي نودي من السماء «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي»، أم أنا ؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي ردّت له الشمس لوقت صلاته فصلاّها ثمّ توارت أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حباك رسول الله ﷺ برايته يوم خيبر ففتح الله له أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي نفّست عن رسول الله ﷺ كربته وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبد ودّ أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي ائتمنك رسول الله ﷺ على رسالته إلى الجن فأجابت أم أنا؟

---

(١) الأحزاب: ٣٣. قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

(٢) الإنسان: ٧.

قال: بل أنت.

قال: فأُنشدك بالله أنت الذي طهّرك رسول الله صلى الله عليه وآله من السفاح من آدم إلى أبيك بقوله صلى الله عليه وآله: «**أنا وأنت من نكاح لا من سفاح من آدم إلى عبد المطلب**»، أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي اختارني رسول الله صلى الله عليه وآله وزوّجني ابنته فاطمة، وقال: «**الله زوّجك**»، أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا والد الحسن والحسين ريحانتيه اللذين قال فيهما: «**هذان سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما**»، أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أخوك المزيّن بجناحين في الجنّة يطير بهما مع الملائكة أم أخي؟

قال: بل أخوك.

قال: فأنشدك بالله، أنا ضمنت دين رسول الله صلى الله عليه وآله وناديت في الموسم بإنجاز موعده أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله لطير عنده يريد أكله فقال: «**اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك بعدي**»، أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي بشّرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي دلّ عليه رسول الله بعلم القضاء بقوله: «**عليّ أقضاكم**»، أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا الذي أمر لي رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بالسلام عليّ بالإمرة في حياته أم أنت؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي سبقت لـه القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حباك الله عزّ وجل بدينار عند حاجته إليه، وباعك جبرئيل عليه السلام وأضفت محمداً صلى الله عليه وآله وأطعمت ولده؟

قال: فبكى أبو بكر، وقال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حملك رسول الله صلى الله عليه وآله على كتفه في طرح صنم الكعبة وكسره حتّى لو شاء أن ينال أفق السماء لنالها أم أنا؟

قال: بل أنت

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال لـه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة**»، أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح بابه في مسجده حين أمر بسدّ أبواب أصحابه وأهل بيته وأحلّ لـه فيه ما أحلّه الله لـه أم أنا ؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله يقدّم بين يدي نجواه لرسول

الله صلى الله عليه وآله صدقة فناجاه أم أنا، إذ عاتب الله عز وجل قوماً، فقال: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾[1] ؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «**زوجتك أول الناس إيماناً وأرجحهم إسلاماً**» في كلام له أم أنا ؟

قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحق مع عليّ وعليّ مع الحق لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض**»، أم أنا؟

قال: بل أنت.

قال: فلم يزل يعدّ عليه مناقبه التي جعل الله عز وجل دونه ودون غيره، ويقول له أبو بكر: بل أنت.

قال: فبهذا وشبهه يستحق القيام بأمور أمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال له عليّ عليه السلام: فما الذي غرّك عن الله وعن رسوله وعن دينه وأنت خلو ممّا يحتاج إليه أهل دينه؟

قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن، انظرني يومي هذا فأدبّر ما أنا فيه، وما سمعت منك.

قال: فقال له عليّ عليه السلام لك ذلك يا أبا بكر، فرجع من عنده وخلا بنفسه يومه ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردّد في الناس لمّا بلغه من خلوته بعلي عليه السلام، فبات في ليلته فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه متمثّلا له في مجلسه.

فقام إليه أبو بكر ليسلّم عليه، فولّى وجهه، فصار مقابل وجهه فسلّم عليه فولّى

---

(١) المجادلة: ١٣.

عنه وجهه، فقال أبو بكر: يا رسول الله،هل أمرت بأمر فلم أفعل؟

فقال رسول الله ﷺ: أردّ السلام عليك وقد عاديت الله ورسوله، وعاديت مَن والاه الله ورسوله؟! ردّ الحق إلى أهله.

قال: فقلت: مَن أهله؟

قال: مَن عاتبك عليه، وهو عليّ.

قال: فقد رددت عليه يا رسول الله بأمرك.

قال: فأصبح وبكى وقال لعليعليه السلام: ابسط يدك، فبايعه وسلّم إليه الأمر.

وقال لـه: اخرج إلى مسجد رسول الله ﷺ فاخبر الناس بما رأيت في ليلتي، وما جرى بيني وبينك، فأخرج نفسي من هذا الأمر، وأسلّم عليك بالإمرة؟

قال: فقال لـه عليّعليه السلام: نعم، فخرج من عنده متغيّراً لونه فصادفه عمر وهو في طلبه، فقال لـه: ما حالك يا خليفة رسول الله؟

فأخبره بما كان منه وما رأى وما جرى بينه وبين عليّعليه السلام.

فقال عمر: أنشدك بالله يا خليفة رسول الله أن تغترّ بسحر بني هاشم، فليس هذا بأوّل سحر منهم، فما زال به حتّى ردّه عن رأيه وصرفه عن عزمه، ورغّبه في ما هو فيه، وأمره بالثبات عليه والقيام به.

قال: فأتى عليّعليه السلام المسجد للميعاد، فلم يَرَ فيه منهم أحدا، فأحسّ بالشرّ منهم، فقعد إلى قبر رسول الله ﷺ فمرّ به عمر فقال: يا عليّ، دون ما تروم خرط القتاد، فعلم بالأمر وقام ورجع إلى بيته[1].

أقول: وذكر هذه المناشدة جمع غفير مع العلماء وأرباب السير في كتبهم ومجالسهم، نذكر من تلك الكتب:

(١) الخصال: ٥٤٨ ـ ٥٥٣، طبعة مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

إرشاد القلوب، للحسن بن محمّد الديلمي في كتابه المار الذكر، ص ١٦٤ـ ١٦٨.

الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن عليّ الطبرسي من علماء القرن السادس، ج١، ص١١٥ ـ ١٣٠، ط الأعلمي، بيروت.

بصائر الدرجات، ص٢٧٤ و ٢٧٧ و ٢٧٨.

الخرائج للراوندي، ص٢٤٩.

الاختصاص، ص ٢٧٤.

البصائر ٦: ٧.

البحار ٢٩: ٤.

نتابع قوله عليه السلام: «وهو يستقيلها...».

روى عباد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه سليمان، عن عثيم بن أسلم، عن معاوية الدهني، قال: دخل أبو بكر على عليّ عليه السلام فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما تحدّث إلينا في أمرك حديثاً بعد يوم الولاية، وأنا أشهد أنّك مولاي مقرّ لك بذلك، وقد سلّمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين. وأخبرنا رسول الله أنّك وصيّه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه ولم يحل بينك وبين ذلك، وصار ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله إليك، وأمر نسائه، ولم يخبرنا بأنّك خليفته من بعده، ولا جرم لنا في ذلك في ما بيننا وبينك، ولا ذنب بيننا وبينك وبين الله تعالى.

قال: فقال عليّ عليه السلام: إن أريتك رسول الله حتّى يخبرك أنّي أولى بالأمر الذي أنت فيه منك ومن غيرك، وإن لم ترجع عمّا أنت فيه فتكون كافراً، فما تقول؟

قال أبو بكر: إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يخبرني ببعض هذا لاكتفيت به.

قال عليه السلام: فوافني إذا صلّيت المغرب.

قال: فرجع إليه بعد المغرب فأخذ بيده وخرج به إلى مسجد قبا، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في القبلة.

فقال: يا عتيق، وثبت على عليّ وجلست مجلس النبوّة؟ وقد تقدمت إليك في ذلك، فانزع هذا السربال الذي تسربلته، فخلّه لعلي، وإلاّ فموعدك النار.

قال: ثمّ أخذ بيديه فأخرجه، فقام النبي صلى الله عليه وآله ومشى عنهما.

قال: فانطلق أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان فقال: يا سلمان، أما علمت أنّه كان من الأمر كذا وكذا؟

فقال: ليشهرنّ بك وليأتينّ صاحبه وليخبرنّه بالخير.

قال: فضحك أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أمّا أن يخبر صاحبه فسيفعل، ثمّ لا والله لا يذكران ذلك إلى يوم القيامة، هما انظر لأنفسهما من ذلك.

قال: فلقي أبو بكر عمراً فقال له: إنّ علياً أتى كذا وكذا وصنع كذا وكذا.

فقال له عمر: ويلك، ما أقلّ عقلك! فوالله ما أنت فيه الساعة ليس إلاّ من بعض سحر ابن أبي كبشة، قد نسيت سحر بني هاشم؟

ومن أين يرجع محمّد ولا يرجع من مات، إنّ ما أنت فيه أعظم من سحر بني هاشم، فتقلّد هذا السربال ومرّ فيه[1].

أبعاد الخطبة (الشقشقية) سياسياً

في ما أخبر به أبو بكر عن نفسه

خير ما نستدل به على سيرة الخليفة أبي بكر هو كلامه الصادر في مناسبات عديدة، من ذلك:

(١) الاختصاص: ٢٧٣. بصائر الدرجات: ٢٧٨. الخرائج: ٢٤٩.

١ـ نقل ابن سعد بسنده عن الحسن، قال: لمّا بويع أبو بكر قام خطيباً فقال: (.. أمّا بعد، فإنّي ولّيت هذا الأمر وأنا له كاره... وإنّما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم، فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني، وإن رأيتموني زغت فقوّموني، واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني)[١].

٢ـ روى المتقي الهندي بسنده عن الحسن: أنّ أبا بكر خطب فقال: (... افتظنّون أنّي أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ ؟ إذاً لا أقوم بها، إنّ رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني)[٢].

وفي خطبة أبي بكر عدّة أمور:

أوّلاً: أنّه كان كارهاً للخلافة (ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً).

ثانياً: أنّه يتنكّب عن النهج النبوي (أفتظنون أنّي اعمل فيكم بسنة رسول الله؛ إذاً لا أقوم بها...).

ثالثاً: أنّ الرسول كان مسدّداً من الله وأنّه معصوم بالوحي والملك.

رابعاً: أنّ لأبي بكر شيطاناً يعتريه (وإنّ لي شيطاناً يعتريني).

خامساً: أنّ الخليفة تعتريه حالات من الغضب، فعلى المسلمين أن يتجنّبونه.

إنّها أمور مهمة جداً، حيث إنّه اعتراف من الخليفة بعصمة النبيّ ﷺ، أمّا هو فغير معصوم، أي يخطأ ويعصي ويرتكب المحرّم ويظلم وإلى ما شابه ذلك.

ثمّ إنّ له شيطاناً، وهذا ما لا يمكن ستره أو التغاضي عنه، والقرآن فيه تصريح، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً﴾[٣]، وقال تعالى:

---

(١) طبقات ابن سعد ج٣، القسم١، ص١٢٩. الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٦. مجمع الزوائد للهيثمي ٥: ١٨٣.

(٢) كنز العمال٣: ١٣٦.

(٣) النساء : ٣٨.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[(١)].

ثمّ الشياطين على قسمين، قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[(٢)]. وقال تعالى في وصف شياطين الإنس: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾[(٣)].

فماذا يعني كلّ ذلك؟ فهل نطق الخليفة بما هو الواقع؟

إذاً لا بدّ من التسليم بما يصفه القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[(٤)]، وإلاّ فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[(٦)].

أبو قحافة يرد خلافة ولده أبي بكر

كتب أبو بكر إلى أبيه (أبي قحافة) يدعوه لأن يبايعه:

(من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة، أمّا بعد، فإنّ الناس قد تراضوا بي، فأنا اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا لكان أحسن بك).

لمّا ورد الكتاب على أبي قحافة كتب في جوابه: من أبي قحافة إلى أبي بكر، أمّا بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق، ينقض بعضه بعضاً؛ مرة تقول: خليفة الله، ومرة تقول: خليفة رسول الله، ومرة تقول: تراضوا بي الناس! وهو أمر

(١) الأنعام: ١٢١.
(٢) الأنعام: ١١٢.
(٣) الأنعام: ١١٢.
(٤) الزخرف: ٣٦.
(٥) الحجر: ٤٢.
(٦) النحل: ٩٩.

ملتبس، فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه، ويكون عقباك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة، فإنّ للأمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف مَن هو أولى منك بها، فراقب الله فإنّك تراه وتدعنّ صاحبها، فإنّ تركها اليوم أحق عليك وأسلم لك[(١)].

الفرار من الزحف

عن عائشة، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد بكى، وكان يقول: (أنا أوّل مَن فرّ من الحرب)، ثمّ كان يحدّث فيقول: (أنا أوّل من فاء يوم أحد)[(٢)].

والفيء: الرجوع من بعد فرار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾[(٣)].

أخرج الحديث بألفاظ متشابة أو متقاربة كلّ من: الطيالسي، وابن سعد، وابن حبّان، والدارقطني، والبزار، والطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في المعرفة، وابن عساكر.

أقول: ذكر المناوي في (فيض القدير): أنّ الفرار من الزحف هو من الذنوب التي لا كفّارة لها كالشرك[(٤)].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ٤١. منهاج البراعة ٣: ٣٦ ـ ٤٠.

(٢) كنز العمال، الحديث: ٣٠٠٢٥.

(٣) الأنفال:١٥.

(٤) فيض القدير ٣: ٤٥٨.

وفي (شرح الجامع الصغير) للسيوطي جاء في المتن: خمس ليس لهنّ كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق... إلى أن قال: والفرار من الزحف.

الفصل السادس

قوله عليه السلام: «يغلظ كلمها ويخشن مسّها...»

قوله عليه السلام: «يغلظ كلمها ويخشن مسّها...»

في عبارة الإمام علي عليه السلام كناية عن سيرة عمر بن الخطّاب، وما في سلوكه من خشونة وغلظة، لذا ارتأينا أن نذكر طرفاً من سيرته وصفاته الخاصة.

أخلاق عمر بن الخطاب

تحدّثت لنا المصادر ـ وبشكل مسهب ـ عن أخلاق الخليفة عمر بن الخطّاب، سواء كان ذلك قبل خلافته أو بعدها.

قال الدميري: قال عمر: إنّ الناس قد هابوا شدّتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، ثمّ اشتد علينا وأبو بكر رضي الله عنه والينا دونه، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه؟! ولعمري: مَن قال ذلك فقد صدق[1].

وقال أبو عمرو: وروي عن عمر رضي الله عنه أنّه قال في انصرافه من حجّته التي لم يحجّ بعدها: الحمد لله، ولا إله إلا الله، يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادي ـ وادي ضنجان[2] ـ أرعى إبلاً للخطاب، وكان فظّاً غليظاً يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وأصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه[3].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١: ٤٩.

(٢) ضنجان: جبل على بريد من مكة. وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ضنجان بناحية مكة على طريق المدينة.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة ٢: ٤٧٢. وتاريخ الخميس للديار بكري ٢: ٢٤٨، ومثله في نور الأبصار للشبلنجي: ٧٤. تاريخ الأمم والملوك ٥: ٩٥.

وقال ابن أبي الحديد: كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس....

وقال أيضاً: كان سريعاً إلى المساءة، كثير الجَبْه والشتم والسب[(١)].

وقال محمّد يوسف الكاندهلوي: وأخرج ابن أبي شيبة، عن زيد بن الحارث: أنّ أبا بكر رضي الله عنه حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه الناس، فقال: تستخلف علينا فظّاً غليظاً، فلو قد ولّينا لكان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟

فقال أبو بكر: أبربي تخوّفونني؟

أقول له: استخلفت عليهم خير أهلك[(٢)].

أخرج المتقي الهندي عن أنس بن مالك أنّه قال: إنّ أعرابياً جاء بإبل له يبيعها، فجعل عمر ينخس بعيراً بعيراً يضربه برجله ليبعث البعير لينظر كيف قواده.

فجعل الأعرابي يقول: خلِّ إبلي لا أباً لك، فجعل عمر لا ينهاه قول الأعرابي أن يفعل ذلك ببعير بعير.

فقال الأعرابي لعمر: إني لأظنك رجل سوء، فلمّا فرغ منها اشتراها، فقال: سُقها وخذ أثمانها.

فقال الأعرابي: حتّى أضع عنها أحلاسها وأقتابها.

فقال عمر: اشتريتها وهي عليها، فهي لي كما اشتريتها.

فقال الأعرابي: إنّك رجل سوء.

فبينما هما يتنازعان إذ أقبل عليّ، فقال عمر: ترضى بهذا الرجل بيني وبينك؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٤٥٧ و ١: ٦١.

(٢) كنز العمال ٣: ١٤٦. تاريخ المدينة المنورة ٢: ٦٧٨.

فقال الأعرابي: نعم.

فقصّا على عليّ قصّتهما، فقال عليه السلام: يا أمير المؤمنين، إن كنت اشترطت عليه أحلاسها وأقتابها فهي لك كما اشترطت، وإلاّ فالرجل يُزين سلعته بأكثر من ثمنها.

فوضع عنها أحلاسها وأقتابها، فساقها الأعرابي فدفع إليه عمر الثمن[١].

قال ابن الأثير الجزري: وخطب ـ عمر ـ أُم كلثوم ابنة أبي بكر إلى عائشة، فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه، إنّه خشن العيش، شديد على النساء.

وقال: خطب أم أبان بنت عُتبة بن ربيعة، فكرهته وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً، ويخرج عابساً[٢].

قوله عليه السلام: «ويكثر العثار فيها و...»

كَشَف الإمام عليه السلام القناع عن سير خلافتي أبي بكر وعمر وما صاحب خلافتهما من عثرات وأخطاء وفتيا لا تنسجم مع أصول الشريعة، فقد مُنيت الأمّة بآراء ومواقف لا يمكن السكوت عليها.

بل هناك من المسائل العويصة ما لا سبيل إلى حلّها إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام، من ذلك: قدوم الجاثليق مع مائة من النصارى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها، فجاؤوا علياً فأجابهم.

ومنها: ما أخبر خالد بن الوليد أبا بكر أنّه قد وجد رجلاً في بعض نواحي العرب ينكح كما تُنكح المرأة، فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال

---

(١) كنز العمال ٢: ٢٢١ ط ١ حيدر آباد، الحديث ٤٧٨١.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٥٤ و٥٥. تاريخ الطبري ٥: ١٧. عيون الأخبار لابن قتيبه ٤: ١٧.

عليّ: إنّ هذا ذنب لم يعصِ الله به أمّة من الأمم إلا امّة واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار.

ومنها: قضية شارب الخمر الذي ادّعى أنّه أسلم ومنزله كان بين قوم يستحلّونها ولم يعلم أنّها حرام فيجتنبها، فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة وأبو الحسن لها. فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فأشار إلى أبي بكر أن ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار، فإن قُرأت عليه آية التحريم فليشهد عليه وإلاّ فلا شيء عليه.

ومنها: أراد قوم على عهد أبي بكر أن يبنوا مسجداً بساحل عدن، فكان كلّما فرغوا من بنائه سقط، فعادوا إلى أبي بكر فسألوه فلم يحرِ جواباً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: احتفروا في ميمنته وميسرته في القبلة فإنّه يظهر لكم قبران مكتوب عليهما أنا (رضوى) وأختي (حبا) متنا لا نشرك بالله العزيز الجبار، وهما مجردتان فاغسلوهما وكفّنوهما.

ومنها: ما سأل رسول ملك الروم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة والدم، وشهد بما لم يرَ، يحبّ الفتنة ويبغض الحق، فلم يجبه أبو بكر، فقال عمر لرسول ملك الروم ازددت كفراً إلى كفرك، فاخبر بذلك عليّ عليه السلام فقال: هذا رجل من أولياء الله....

ومنها: ما سئل عنه أبو بكر عن الكلالة. فقال: أقول فيها برأي، فإنْ أصبت فمن الله، وإنْ أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما أغناه عن الرأي في هذا المكان؟! أما علم أنّ الكلالة هم الأخوة والأخوات من قبل الأب والأم، ومن قبل الأب على الانفراد، ومن قبل الأم على انفرادها، فإنّ الله عز وجل يقول ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ...﴾[1].

---

(١) النساء: ١٧٥.

ومنها: خبر اليهودي الذي جاء إلى أبي بكر يسأله أين الله؟ فقال: هو في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان. فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، اعزب عنّي وإلا قتلتك. فولّى الحبر اليهودي متعجّباً يستهزىء بالإسلام، فاستقبله عليّ عليه السلام فقال: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به، وإنّا نقول: إنّ الله عز وجل أيّن الأين فلا أين له، جلّ أن يحويه مكان، فهو في كلّ مكان، بغير مماسة ولا مجاورة...

ومنها: أنّ رجلاً على عهد أبي بكر جاء يشكوه في رجل زعم أنّه احتلم بأمّه، فلم يعرف حكم هذه المسألة ودهش لها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام اذهب به فأقمه بالشمس وحد ظلّه، فإنّ الحلم مثل الظل، ولكنّا سنضربه حتّى لا يعود يؤذي المسلمين.

ومنها: ما جرى بعد موت عقبة بن أبي عقبة إذ حضر جنازته جمع من الصحابة فيهم الإمام عليّ عليه السلام وعمر وآخرون، فقال عليّ لرجل كان حاضراً: إنّ عقبة لمّا توفّي حرمت امرأتك فاحذر أن تقربها.

فقال عمر: كلّ قضاياك يا أبا الحسن عجيبة، وهذه من أعجبها! بموت إنسان تحرم على آخر امرأته؟!

فقال: نعم، إن هذا عبد كان لعقبة، تزوّج امرأة حرّة، وهي اليوم ترث بعض ميراث عقبة، فقد صار بعض زوجها رقّاً لها، وبضع المرأة حرام على عبدها حتّى تعتقه ويتزوّجها.

فقال عمر: لمثل هذا نسألك عمّا اختلفنا فيه.

ومنها: أنّ رجلين من قريش أودعا امرأة مائة دينار وقالا لها: لا تدفعيها إلى أحدنا حتّى يحضر الآخر، وغابا مدة، ثمّ جاء أحدهما فقال: إنّ صاحبي قد هلك وأريد المال، فدفعته إليه، ثمّ جاء الآخر فطلبه، فقالت: أخذه

صاحبك. فقال: أما كان الشرط كذا، فارتفعا إلى عمر، فقال للرجل: ألك بينة؟

قال: هي.

فقال عمر: ما أراكِ إلاّ ضامنة.

فقالت: أنشدك الله، ارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعهما إليه، فقصّت المرأة القصة عليه، فقال للرجل: ألست القائل لا تسلّميها إلى أحدنا دون صاحبه؟

فقال: بلى.

فقال: مالك عندنا، أحضر صاحبك وخذ المال، فانقطع الرجل، وكان محتالاً، فبلغ ذلك عمر، فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب.

وفي هذا يقول الصاحب بن عبّاد:

هل مثل قولك إذْ قالوا مجاهرة لو لا عليّ هلكنا في فتاوينا

والشواهد على فتاوى القوم كثيرة جداً تنبؤك على قلة علمهم وبعدهم عن الفهم، في الوقت نفسه تكشف مراجعتهم للإمام عليّ عليه السلام مدى غزارة علم الإمام وكونه أقضاهم وأعلمهم، لذا وجدت من المناسب أن أعقد باباً خاصاً في علم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام متوخيّاً فيه الاختصار.

علم الإمام عليه السلام

روى ابن عبد البر بسنده عن عبد الملك بن سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم من عليّ؟

قال: لا والله لا أعلمه[1].

وروى الخطيب موفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي عن سلمان رضي الله عنه، عن

(١) انظر: أسد الغابة ٤: ٢٢، ومثله في ذخائر العقبى: ٧٨.

النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال: «أعلم أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب»[(١)].

وروى ابن الأثير بسنده عن ابن عبّاس، قال: لقد أعطي عليّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله، لقد شاركهم في العشر العاشر.

وعن ابن مسعود، قال: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي عليّ[(٢)] تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وعلي أعلم بالواحد منهم[(٣)].

وفي علم عليّ عليه السلام يقول عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة: إنّ العلم عشرة أجزاء، لعلي تسعة أجزاء وللناس العشر الباقي، وهو أعلمهم به[(٤)].

وعن ابن عبّاس، قال: كان يشرح لنا عليّ عليه السلام نقطة الباء من (بسم الله الرحمن الرحيم) ليلة، فانفلق عمود الصبح وهو بعده لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالفوارة في جنب البحر[(٥)].

وعن ابن عبّاس قال: عِلْم النبيّ صلى الله عليه وآله من عِلْم الله، وعِلْم عليّ من عِلْم النبيّ صلى الله عليه وآله، وعِلْمي من عِلْم عليّ، وما عِلْمي وعلم الصحابة في عِلْم عليّ إلاّ كقطرة في سبعة أبحر[(٦)].

وقال ابن طلحة الشافعي: اعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما

(١) كتاب المناقب: ٤٩ من الفصل السابع، ومثله في كنز العمال ٦: ١٥٦ وأخرج نحوه عن سلمان عن فردوس الديلمي في٦: ٤٠١. ومقتل الحسين للخوارزمي ١: ٤٣. كفاية الطالب: ١٩٠.

(٢) أسد الغابة ٤: ٢٢. الاستيعاب ٣: ٤٠. الرياض النضرة ٢: ١٩٤: مطالب السؤول: ٣.

(٣) حلية الأولياء ١: ٦٥. أسنى المطالب: ١٤. كفاية الطالب: ٨٤

(٤) ينابيع المودة: ٧٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق، ومثله في شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٦ مع تغيير بسيط.

في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، قال الإمام عليّ كرم الله وجهه: أنا النقطة التي تحت الباء[1].

وقد نظم ذلك عبد الباقي العمري في قصيدته التي مدح بها علياًعليه السلام فقال:

هي باء مقلوبة فوق تلك　　　　النقطة المستحيلة التأويل

وفي علم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام أحاديث جمّة منقولة عن النبيّصلى الله عليه وآله، وبأسانيد صحيحة معتبرة، منها قولهصلى الله عليه وآله: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»، قاله ابن حجر في (الصواعق المحرقة: ٧٥).

أقول: روى هذا الحديث الشريف جمع غفير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وقد ألّفت فيه كتب عديدة، أهمّها ما ألّفه العلاّمة المجاهد السيد مير حامد حسين الهندي تغمّده الله بواسع رحمته، وهو مجلد كبير من مجلّدات (عبقات الأنوار)، وجلّ منابع هذا الكتاب من مصادر علماء الجمهور، وإليك طرفاً من تلك المصادر:

أسد الغابة ٤: ٢٢، رواه ابن الأثير الجزري بسنده عن ابن عبّاس.

كفاية الطالب: ٩٩، رواه الحافظ الكنجي الشافعي بإسناده عن جابر.

البداية والنهاية ٧: ٣٥٨،رواه ابن كثير بأسانيد عديدة.

كنز العمال ٩: ١٥٢، نقلاً عن مصادر عديدة منها (المستدرك) للحاكم بسنده عن ابن عبّاس. ومنها عن (المعجم الكبير) للطبراني. فرائد السمطين ١، الباب ١٨.

وحديث الأشباه يؤكّد حديث باب مدينة العلم، نقل الخوارزمي وعشرات من المصادر: أنّ الرسولصلى الله عليه وآله قال: «**من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب**».

---

(١) الدر النظيم، وهكذا في ينابيع المودة: ٦٩.

رواه الخوارزمي في (المناقب: ٤٩)، والمحب الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى: ٩٣)، والحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب: ٤٥)، وللمزيد من المصادر والنصوص فليراجع كتابنا: (ملامح شخصية الإمام عليّ عليه السلام).

وبهذا ثبت أنّ علم أمير المؤمنين عليه السلام من علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلم النبيّ صلى الله عليه وآله من علم الله، إذاً لا ينافسه أحد من الصحابة بالنصوص المتواترة.

وهناك أدلة عديدة أخرى تثبت أعلميّته على سائر الناس من بعد الرسول صلى الله عليه وآله، نذكر من تلك الأدلة:

أوّلاً:قول النبيّ صلى الله عليه وآله: **«عليّ أقضاكم»**.

والبحث في هذا الحديث الشريف يكون من جانبين:

الجانب الأوّل: صحة صدوره عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

والجانب الثاني: دلالة الحديث على أعلميّة الإمام عليه السلام وتفضيله على سائر الصحابة.

أمّا الجانب الأوّل ـ وهو صحة الصدور ـ فذلك ما تظافرت المصادر على نقله، فهناك فريق كبير من علماء المسلمين ذكروا هذا النص ـ على اختلاف ألفاظه وعباراته ـ حتّى كاد أن يبلغ حدّ التواتر بمدلوله ومعناه، وقد أخرجه جماعة من أهل السنة، منهم:

١ ـ ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة: ٧٨).

٢ ـ ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٧)، وفيه قال عمر: عليّ أقضانا وأُبي أقرأنا.

٣ ـ أبو نعيم في (حلية الأولياء ١: ٦٥ و ٦٦).

٤ ـ البخاري في (صحيحه ١٨: ٤٨٥).

٥ ـ ابن عبد البر في (الاستيعاب ٢: ٤٧٤ و ٣: ١١٠٢).

٦ ـ البغوي في (مصابيح السنة٢: ٢٠٣)، و(المصابيح الحسان٢: ٢٧٧).

٧ ـ ابن كثير في (البداية والنهاية ٧: ٣٥٩).

٨ ـ محمّد الصبّان الشافعي في (إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ١٤٢).

٩ـ محبّ الدين الطبري في (ذخائر العقبى: ٨٣)، وفيه: روى محب الدين بسنده عن أنس: أنّ النبيّ ﷺ قال: **«أقضى أمّتي عليّ»**.

١٠ ـ محبّ الدين الطبري في (الرياض النضره٢: ١٩٨).

١١ ـ ابن سعد في طبقاته (٢: ٣٣٩، و ٣٤٠) كما نقله ابن حجر في (الصواعق: ٧٨).

١٢ ـ الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة: ٢١١)، ولفظه ﷺ: **«يا عليّ، أنت أعلمهم بالقضية»**، وفي مورد آخر: **«أنت أبصرهم بالقضية»**.

١٣ـ الحافظ محمّد بن يوسف الكنجي في (كفاية الطالب: ١٨٩ و٣٣٢) مطبعة الغري.

١٤ ـ محمّد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول: ٢٢).

١٥ ـ الشنقيطي في (كفايته: ٤٦).

١٦ ـ الحاكم النيسابوري في (المستدرك٣: ١٣٥ و٣٠٥).

١٧ ـ ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، مجلد تاريخ الإمام عليّ.

١٨ ـ (فتح الباري ٧:٦٠).

١٩ ـ المتقي الهندي في (كنز العمال ٦: ١٥٣ و١٥٦).

٢٠ ـ (أخبار القضاة ١: ٨٨).

وهناك عشرات المصادر لعلماء الجمهور أوردت الحديث المذكور وبألفاظ متعددة وعبارات متشابهة.

وأمّا الجانب الثاني ـ دلالة الحديث الشريف ومفهوم قوله ﷺ: «أقضاكم

علـيّ» ـ الكـلّ يعلـم أنّ القاضي محتاج إلى جميع أنواع العلوم، فلمّا رجّحه صلى الله عليه وآله على الكلّ في القضاء لزم ترجيحه عليهم في جميع العلوم.

أمّا سائر الصحابة فإنّك لا تجد أحداً منهم قد خُصّ بهذه الفضيلة وبهذا العلم. نعم، إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد رجّح بعضهم على غيره، لكن في علم واحد، كقوله صلى الله عليه وآله: «أفرضكم زيد». وقوله صلى الله عليه وآله: «أبو ذر أصدقكم لهجة»، وقوله صلى الله عليه وآله: «أقرأكم أُبي»، وقوله صلى الله عليه وآله: «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل».

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله أفصح العرب، وقد أُوتي جوامع الكلم وخواتمه، فلمّا ذكر لكل واحد فضيلة، أراد أن يجمع تلك الفضائل كلها لابن عمّه بلفظ واحد يتضمّن جميع ما ذكره في حقّهم، فالإمام عليّ عليه السلام لمّا كان أقضى الصحابة، يلزم من ذلك أنّه أعلمهم في الفقه والحلال والحرام والفرائض والسنن والقراءة والكتاب و... و... لأنّ الفقيه لا يصلح لمرتبة القضاء حتّى يكون عالماً بعلم الفرائض والكتاب والسنة والحلال والحرام والقراءة والكتابة، ويكون مع ذلك صادق اللهجة، فلو قال: (قاضيكم عليّ) كان متضمّناً لجميع ما ذكره في حقّهم، فما ظنّك بصيغة أفعل التفضيل، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «عليّ أقضاكم»؟!

وفي هذا الاستدلال أورد محمّد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول) توجيهاً لكلام النبيّ صلى الله عليه وآله ـ عليّ أقضاكم ـ قال: ومن ذلك ما نقله القاضي الإمام أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خصّص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة، خصّص علياً بعلم القضاء فقال: «وأقضاهم عليّ»، وقد صدع الحديث بمنطوقه وصرّح بمفهومه بأنّ أنواع العلم وأقسامه قد جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله بفضيلة خاصة لم يتوقّف حصول تلك الفضيلة على غيرها من الفضائل والعلوم، فإنّه صلى الله عليه وآله قال: «أفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أُبي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»، ولا يخفى أنّ علم الفرائض لا يفتقر إلى علم

آخر، ومعرفة القراءة لا تتوقف على سواها، وكذلك العلم بالحلال والحرام، بخلاف علم القضاء، فالنبيّ صلى الله عليه وآله قد أخبر بثبوت هذه الصفة العالية لعلي عليه السلام مع زيادة فيها، فإنّ صيغة (أفعل) تقتضي وجود أصل ذلك الوصف والزيادة فيه على غيره، وإذا كانت هذه الصفة العالية قد أثبتها له فتكون حاصلة له، ومن ضرورة حصولها له أن يكون عليه السلام متّصفاً بها ولا يتصف بها إلاّ بعد ان يكون كامل العقل، صحيح التمييز، بعيداً عن السهو والغفلة، يتوصّل بتفطّنه إلى وضوح ما أشكل، وفصل ما أعضل، ذا عدالة تحجزه أن يحوم حول حمى المحارم، ومروءة تحمله على محاسن الشيم، ومجانبة الدنايا، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً من المحضورات، مأموناً في السخط والرضا، عارفاً في الكتاب والسنة، والاتفاق والاختلاف والقياس ولغة العرب، بحيث يقدّم المحكم على المتشابه، والخاص على العام، والمبيّن على المجمل، والناسخ على المنسوخ، ويبني المطلق على المقيّد، ويقضي بالتواتر دون الآحاد، وبالمسند دون المرسل، وبالمتصل دون المنقطع، وبالاتفاق دون الاختلاف، ويعرف أنواع الأقيسة من الجلي، والواضح والخفي، ليتوصل بها إلى الأحكام من الواجب والمحضور والمندوب والمكروه، فهذه أمور لا يصح اتصاف الإنسان به.

ثمّ قال: فظهر لك ـ أيدك الله تعالى ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث وصف علياً بهذه الصفة العالية بمنطوق لفظه المثبت له فضلاً، فقد وصفه بمفهومه بهذه العلوم المشروحة المتنوعة الأقسام فرعاً وأصلاً، وكفى بذلك دلالة لمن خصّ بهذه الهداية قولاً وفعلاً على ارتقاء علي عليه السلام في مناهج معارج العلوم إلى المقام الأعلى وضربه في أعشار الفضائل المجزات بالتساهم بالقدح المعلى[1].

---

(١) مطالب السؤول: ٢٢.

أقـول: لقـد أجـاد ابن طلحة وأفاد، فلله درّه وعلى الله أجره، إنّه قول متين واستدلال ناصع وإن كـان فـي بعـض فقـراته أنّـه سـاوى بين الإمام علي عليه السلام وسائر العلماء الذين يستنبطون الأحكام، كقوله: يقضي بالتواتر دون الآحاد، وبالمسند دون المرسل...

إنّهـا مقاييس لمن كان علمه صنعة مكتسبة بالدرس والبحث، أمّا أمير المؤمنين علي عليه السلام فإنّ علمه من النبيّ صلى الله عليه وآله، وعلم النبيّ من الله سبحانه وتعالى.

ممّا تقدّم ثبت إنّ علياً أعلم الصحابة، وهذا هو الدليل الأوّل.

ثانياً: ومن الأدلة في كون عليّ أعلم الصحابة قوله صلى الله عليه وآله لعلي وقد ضرب بين كتفيه: **«يـا عليّ، لك سبع خصال لا يحاجك فيهنّ أحد يوم القيامة: أنت أوّل المؤمنـين بـالله إيمانـاً، وأوفـاهم بعهد الله، وأقولهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية يوم القيامة»**[(١)].

ثالثاً: ممّـا نستدل به على أعلميّة عليّ ومنزلته عند الله وعند الرسول ما لديه من فضائل كثيرة يعجز الباحث عن حصرها.

روى الحـافظ الكنجي الشافعي بسنده عن ابن التيمي عن أبيه، قال: فضل عليّ ابن أبي طالب على سائر الصحابة بمائة منقبة، وشاركهم في مناقبهم[(٢)].

وفـي ابـن التيمـي يقـول الكنجـي: هو موسى بن محمّد بن إبراهيم بن الحرث التيمي، ثقة وابن ثقة، أسند عنه العلماء والأثبات.

رابعـاً: وممّـا نستدلّ على أنّ علياً أعلم الصحابة: الآيات النازلة فيه عليه السلام، روى الحـافظ محمّـد بـن يوسف الكنجي الشافعي بسنده عن ابن عبّاس قال: نزلت في

---

(١) حلية الأولياء ١: ٢٦. ذخائر العقبى: ٨٣ الصواعق المحرقة: ٧٨. ينابيع المودّة: ٢١١. كنز العمال ٦: ١٥٣ و ١٥٦.

(٢) كفاية الطالب: ١٩٨.

عليّ بن أبي طالب ثلاثمائة آية[1].

أخرجه المدايني في تاريخه، ومحمّد الصبّان في (إسعاف الراغبين) المطبوع بهامش (نور الأبصار: ١٤٩). وأخرجه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عبّاس في مجلد تاريخ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

خامساً: وممّا يُستدل به على أنّ علياً أعلم الصحابة: هو احتياج جميع الصحابة ـ في منهم الخلفاء الثلاثة ـ إلى علمه، واستغناؤه هو عن الجميع.

سادساً: اعتراف جلّ الصحابة بفقاهة أمير المؤمنين عليه السلام وأنّه لولاه لهلك مَن هلك، مَن هو متلبسٌ بالخلافة، متصدٍ لها بغير استحقاق، ومن أجلى مظاهر هذا الاعتراف، قول عمر بن الخطّاب ـ وفي مناسبات عديدة ـ لولا عليّ لهلك عمر.

في هذا المعنى أذكّر القارئ الكريم بأنّ المناسبات التي دعت الخليفة عمر ابن الخطاب أن يعترف بمكانة أمير المؤمنين وعلمه وإيمانه وفقاهته هي عديدة، لذا كانت تصريحاته ـ أيضاً ـ عديدة، فهي وإن اختلفت في اللفظ إلاّ أنّها تشابهت في المعنى، وإليك عزيزي القارئ، جملة من تصريحات الخليفة الثاني بحق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

منها قوله:

١ـ أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. (مستدرك الحاكم النيسابوري ١: ٤٥٧، كنز العمال ٣: ٣٥، ذخائر العقبى: ٧٢).

٢ـ لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن. (الجامع اللطيف، ط مصر).

٣ـ لا أحياني الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبي طالب حياً. (الجامع اللطيف).

---

(١) المصدر السابق: ١٠٨.

٤ـ لا أبقاني الله بأرضٍ لست بها يا أبا الحسن. (شرح نهج البلاغة ٣: ١٢٢).

٥ـ كاد يهلك ابن الخطاب لولا عليّ بن أبي طالب. (كفاية الطالب: ٩٦).

٦ـ أعوذ بالله من معظلة لا عليّ لها، أو ليس لها أبو الحسن. (فرائد السمطين ١، الباب ٦٤ و ٦٥).

٧ـ اللّهم لا تبقني لمعظلة ليس فيها أبو الحسن، أو ليس لها ابن أبي طالب (ينابيع المودّة ١: ٧٥، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٨٧).

٨ ـ لا أبقاني الله بعدك يا عليّ. (كما في ذخائر العقبى: ٨٢، فرائد السمطين ١، الباب ٦٥. ومناقب الخوارزمي: ٦١، الرياض النضرة ٢: ١٩٧).

٩ـ أعوذ بالله أن أعيش في يومٍ لست فيه يا أبا الحسن. (ذخائر العقبى لمحب الدين: ٨٢).

١٠ـ عجزت النساء أن تلدن مثل عليّ بن أبي طالب. (فرائد السمطين للحمويني، ينابيع المودّة: ٧٥).

١١ـ يا بن أبي طالب، فمازلت كاشف كلّ شبهة وموضع كلّ حكم. (كنز العمال ٣: ١٧٩).

١٢ـ بأبي أنت وأمي، بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور. (مناقب الخوارزمي: ٥٨ من الفصل ١٤).

١٣ـ في مسألة الرجل أنه يحب الفتنة ويكره الحق، بيّن الإمام عليه السلام ما قصده الرجل، فقال عمر بن الخطّاب لعلي: الله يعلم حيث يجعل رسالته. (الطرق الحكمية لابن القيم الجوزية: ٤٥).

١٤ـ وفي حادثة أنّ علياً لطم وجه رجل كان ينظر إلى نساء المؤمنين في الطواف، فاستعدي الرجل عند عمر، فقال له: ضربك بحق، أصابته عين من عيون الله، أراد خاصة من خواص الله ووليًا من أوليائه. (نهاية ابن الاثير ٣: ١٦٣).

١٥ـ لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب، أو بعدك يا عليّ. (ذخائر العقبى: ٨٢).

١٦ـ لا عشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن. (أمالي الطوسي: ٣٠٣، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٤٩٣).

١٧ـ اللّهم لا تنزلن بي شدة الا وأبو الحسن إلى جنبي. (كنز العمال ٣: ٥٣، ذخائر العقبى: ٨٢).

وأصرح عبارة قالها عمر بن الخطّاب قوله:

١٨ـ لو لا عليّ لهلك عمر.

عزيزي القارئ، كان بودّي أن أضع بين يديك مصادر علماء أخواننا السنّة التي روت النص المذكور آنفاً، لكن وجدتها كثيرة جداً قد لا يسع الباحث أن يستقرأها جميعاً، لذا سوف اكتفي ببعضها تاركاً التفصيل إلى مناسبة أخرى.

أهم مصادر علماء الجمهور التي صرحت بهلاك عمر لولا علي

مصادر (لولا علي لهلك عمر) من كتب الجمهور

أوّلاً: تفسير الفخر الرازي ٧: ٤٨٤.

ثانياً: تفسير الدر المنثور للسيوطي ١: ٢٨٨.

ثالثاً: تفسير النيسابوري ٣: سورة الأحقاف.

رابعاً: تذكرة سبط بن الجوزي: ٨٧

خامساً: مناقب الخوارزمي: ٤٧ و٥٧ و٦٠.

سادساً: أُسد الغابة لابن الأثير ٤: ٢٢.

سابعاً: الصواعق المحرقة لابن حجر: ٧٨.

ثامناً: الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٧٤.

تاسعاً: تهذيب التهذيب لابن حجر ٧: ٣٣٧ و٢: ٥٠٩، ط حيدر آباد.

عاشراً: السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٤٤٢.

الحادي عشر: كنز العمال للمتقي الهندي ٣: ٩٦ و ٢٢٨.

الثاني عشر: الإصابة لابن حجر ٢: ٥٠٩، ط مصر.

الثالث عشر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري: ٢٠١ و ٢٠٢.

الرابع عشر: هداية المرتاب للحاج أحمد أفندي: ١٤٦-١٥٢.

الخامس عشر: تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي: ٦٦.

السادس عشر: نور الأبصار للسيد مؤمن الشبلنجي: ٧٣.

السابع عشر: ذخيرة المآل لشهاب الدين أحمد بن عبد القادر العجيلي.

الثامن عشر: إسعاف الراغبين لمحمّد بن عليّ الصبّان: ١٥٢.

التاسع عشر: جواهر العقدين لنور الدين عليّ بن عبد الله السمهودي المتوفّى (٩١١ هـ).

العشرون: شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي، المتوفّى (٦٥٥ هـ)، ١: ٦.

الحادي والعشرون: شرح التجريد للعلامة القوشجي: ٤٠٧.

الثاني والعشرون: حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم.

الثالث والعشرون: شرح الفتح المبين لمحمّد بن عليّ الترمذي.

الرابع والعشرون: تفسير كشف البيان للإمام الثعالبي.

الخامس والعشرون: إبطال الباطل للقاضي فضل الله بن روزبهان.

السادس والعشرون: ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي القندوزي: ٧٠ و ٧٥.

السابع والعشرون: كفاية الطالب للكنجي: ١٠٥.

الثامن والعشرون: مختصر جامع العلم: ١٠٥.

التاسع والعشرون: ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري: ٨٢

الثلاثون: الرياض النضرة لمحب الدين الطبري: ٢: ١٩٤.

الحادي والثلاثون: مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ١٣ و ٢٩ من الفصل السادس.

الثاني والثلاثون: أربعين الرازي: ٤٦٦.

الثالث والثلاثون: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، الفصل ١،ص ١٨.

الرابع والثلاثون: الطرق الحكمية لابن القيم الجوزية: ٤٧ و٥٣.

الخامس والثلاثون: الفاتحة السابعة من شرح الميبدي.

أقول: وهناك عبارات مدح وشكر وثناء صدرت من عمر بن الخطاب لعلي لمّا فرّج الله عنه في مواقف عديدة، وكان الفرج والخلاص على يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من ذلك:

أوّلاً: قوله: بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور. (نزهة المجالس ٢: ٨٨ و ١٧١).

ثانياً: قوله: منكم أخذنا العلم وإليكم يعود. (البحار ٤٩٢:٩).

ثالثاً: قوله: كاد أن يهلك ابن الخطاب لولا عليّ بن أبي طالب.

رابعاً: قوله: الحمد لله، أنتم أهل بيت الرحمة يا أبا الحسن. (البحار ٩: ٤٧٩ و٥٠٦).

خامساً: قوله: أنت والله نصحتني من بينهم. (البحار ٥٦٠:٩).

سادساً: قوله: [يا عليّ] يدٌ لك مع الأيادي لم أجزك بها. (البحار ٩: ٤٧٨).

سابعاً: قوله: فرّج الله عنك، لقد كدت أن أهلك. (مناقب ابن شهر آشوب ١: ٤٩٧).

ثامناً: قوله: فرّج الله عنك، قد تصدّع قلبي. (البحار: ٤٩٢:٦).

تاسعاً: قوله: ـ إذا لم يكن الإمام عليّ موجوداً ـ أين أبو الحسن مفرّج الكرب. (البحار ٩: ٤٩٢).

عاشراً: قوله: شعرة من آل أبي طالب أفقه من عديّ. (البحار ٩: ٤٧٨).

الحادي عشر: قوله: يا عليّ، كلّ قضاياك عجيبة وهذه أعجبها. (البحار ٩: ٤٧٧).

الثاني عشر: قوله: ما زلت كاشف كلّ كرب، وموضح كلّ حكم. (كنز العمال).

الثالث عشر: قوله لأصحابه: لا تعصوا لعليّ أمراً. (البحار ٩: ٤٩٦).

الرابع عشر: قوله إذا اشتد به الأمر وضاقت عليه المسالك التجأ إلى علي عليه السلام، وإذا حلّها أمير المؤمنين عليه السلام قال عمر: لهذا أمرنا أن نسألك. (البحار ٩: ٤٧٩).

هذا شيء يسير من الأدلة ذكرناها بما يناسب هذا المقام، وقد تركنا التفصيل إلى مناسبة أخرى إن شاء الله. ولا يخفى على القارئ اللبيب أنّ جميع الموارد المذكورة آنفاً هي مبثوثة في أمهات كتب القضاء عند الفريقين، وقد ذكر العلاّمة نجم الدين العسكري في كتابه (عليّ والخلفاء) قصصاً وشواهد من مراجعات الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام في المسائل المشكلة حسب ما أورده علماء السنة في مؤلّفاتهم.

الفصل السابع

نتابع قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته

«...والاعتذار منها»

نتابع قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته «... والاعتذار منها»

بعد ما عرفت أيّها القارئ الكريم طرفاً من أخبار القوم والأخطاء التي مارسوها على مرأىً ومسمعٍ من المسلمين في شتّى الميادين، الفقهية، والسياسية... أنّها كانت عثرات صارخة لا تصدر من أدنى مسلم، وإذا بها تصدر من أعلى قيادة في الحكومة، وإنّ أبرز عمل إجرامي قاموا به هو هتك حرمة ابنة الرسول فاطمة عليها السلام، إذ هجموا على دارها، وروّعها بحرق بابها، وكسر ضلعها، ولطم خدّها، وعصرها بين الحائط والباب، وإسقاط جنينها، وقود بعلها بحمائل سيفه إلى المسجد، وتهديده بالقتل إِن لم يبايع، وإلى ما هنالك من مصائب ومحن وجرأة في مخالفة النصوص الصريحة من القرآن والسنّة.

أقول: في هذه وفي غيرها من المواقف تجد عشرات المصادر قد روت لك تلك الأحداث ونقلتها نقلاً أميناً، ورواتها هُم كبار الصحابة الثقات، ومنابعها كتب الجمهور الصحاح.

إذاً صدق أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: «**يكثر العثار فيها**».

ثمّ اردف قوله ذاك: «**والاعتذار منها**»، أي ويكثر الاعتذار من تلك الممارسات الخاطئة التي أوّل ما صدرت من أبي بكر، إذْ أسّس قاعدة سار عليها القوم من بعده، فأصبحت مقياساً ومسلكاً للأجيال المتعاقبة.

إنّها قاعدة الاجتهاد، (تأوّل فأخطأ)، يا لها من قاعدة كمّت الأفواه، وأغمدت

فـيها السيوف! وبسببها أسدلت الستائر على المجرمين الطامعين،فتعطّلت الحدود، وغـصبت الحقـوق! إنّهـا القاعـدة التـي شـاء صانعوها أن يغلقوا الأبواب أمام كلّ غيور على دينه وعرضه وشرفه...

تفصيل يوم البطاح

لمّـا توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله عقد الأنصار اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة وحصل الذي حصل من بيعة أبي بكر وانقسام المسلمين إلى معارِض ـ ومن بينهم بني هاشم ـ ومؤيّد، وقد سرى هذا النزاع بين القبائل والصحابة في أرجاء الجزيرة العـربية، فـتوقف جلّ الصحابة في بادىء الأمر من البيعة، كما هو مذكور في كتب التاريخ والسير، وإنّ ما حصل للإمام علي عليه السلام من مصائب ومحن، ومن حمـل الحطـب إلـى باب داره وإضرام النار فيها، واقتحام القوم الدار هو غني عن التعريف.

كـان مالـك بـن نويـرة رئيـساً فـي قومه، وهو صاحب الشرف والمجد في بني يربوع من علّية العرب، وهو ممّن تضرب الأمثال بفتوته، نجدة، وكرماً، وشجاعة، وبطـولة. أسـلم وأسـلم بـنو يـربوع بإسـلامه، وولاّه رسـول الله صلى الله عليه وآله على صدقات قـومه ثقـة بـه واعـتماداً علـيه، فلمّـا كـان أمـر البـيعة بعـدُ لـم تستبن، وإنّ أحداث المديـنة لـم تـزل، لـذا جـنح إلـى التـريّث فـي النزول على حكم أبي بكر في أمر الـزكاة وغيرها باحثاً عن تكليفه الشرعي في ذلك، فإنّ توقفه عن بيعة أبي بكر لم يكـن عـن ارتياب، ولا عن شق عصاً، ولا ابتغاء فتنة، ولا إرادة قتال. في هذا الجو يُفاجأ بغارة عليه في مستهل خلافة أبي بكر، وقائد الجيش فيها خالد بن الوليد.

وقبائل بني تميم لم تكن في جهل عمّا جرى على عليّ وفاطمة عليهما السلام ومواجهة عمـر بـن الخطّـاب الزبيـر وقـوده مع عليّ قهـراً إلـى المـسجد ليـبايعا، ولم ينسَ

المسلمون ما جرى على الزهراء من إضرام النار ببابها، وكسر ضلعها، وغصبها حقّها من الإرث والنحلة و... فكان من الطبيعي لمثل مالك في رجاحة عقله ونبله وسؤدده ومكانته في قومه أن يتريّث في النزول على حكم من يظهر في المدينة، ويقهر خصومه على الخلافة.

من هنا توقّف عن دفع الزكاة باحثاً عمّن تبرأ ذمّته بدفعها إليه، فكان على خالد ومن قبله أبو بكر أن يمهلا مالكاً وقتاً مناسباً يكون فيه متّسع للبحث عن الحاكم الشرعي الذي أجمعت الأمة على تقليده الخلافة، لا أن يعاجلوه بتلك المحن والنكبات المريرة، طالما كان يشهد الشهادتين، ويصلّي بصلاتهم، فإنّه لم يكن ممّن أنكر الزكاة، ولا ممّن أراد الفتنة، ولا ممّن فرّق بين تلك الواجبات من العبادة، ولا ممّن استحلّ قتال أبي بكر، بل أكثر من هذا، إنّه كان ناصحاً لقومه في تثبيته إياهم على الإسلام وعدم المناوأة لخالد، وفي ذلك عقد الأستاذ محمّد حسين هيكل في كتابه (الصدّيق أبو بكر) عنواناً: (مالك ينصح لقومه) ص١٤٤، وفي مثل ذلك يقول الأستاذ عبّاس محمود العقاد في كتابه (عبقرية خالد) وهو يتحدّث عن موقف مالك: (إنّه ليس موقف عناد وتحفّز لقتال) ص١٣١.

لمّا فرغ خالد بن الوليد من أسد وغطفان أزمع على المسير إلى البطاح يلقى فيها مالك بن نويرة وقومه، وكان مالك أخلى له البطاح، وفرّق قومه لمّا عزم عليه من الحيطة والسلام حفاظاً على الدين الحنيف.

فلمّا عرف الأنصار عزم خالد على المسير إلى مالك توقّفوا عن المسير معه، وقالوا: (ما هذا بعهد الخليفة إلينا، إنّما عهده إنْ نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتّى يكتب إلينا).

فأجابهم خالد: إنّه إن لم يكن عهد إليكم بهذا فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير، وإليّ تنتهي الأخبار، ولو أنّه لم يأتني كتاب ولا أمر، ثمّ رأيت فرصة إن

أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتّى أنتهزها، وكذلك إذا ابتلينا بأمر لم يعهد لنا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ثمّ نعمل به، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وأنا قاصد له بمن معي.

ثمّ سار ومن معه يقصد البطاح، فلمّا بلغوها لم يجدوا فيها أحداً، فلمّا لم يجدوا فيها أحداً أرسل خالد سراياه في أثرهم، فجاءته بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع فحبسهم.

وفي ذلك روى الطبري بسنده إلى أبي قتادة الأنصاري وكان من رؤساء تلك السرايا أنّه كان يحدث: أنهم لمّا غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح، قال قتادة: فقلنا: إنّا المسلمون.

قال: فقالوا: ونحن المسلمون.

قلنا: ما بال السلاح معكم؟

قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟

فقلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. ثمّ صلّينا وصلّوا.

قلت: وبعد الصلاة خفوا إلى الاستيلاء على أسلحتهم وشدّ وثاقهم وسوقهم أسرى إلى خالد، وفيهم زوجة مالك ليلى بنت المنهال أم تميم وكانت من أشهر نساء العرب بالجمال، ولا سيما جمال العينين والساقين، ففتنت خالداً وقد تجاول في الكلام مع مالك وهي إلى جنبه، فكان مما قاله خالد: إنّي قاتلك، قال له مالك: أو بذلك أمرك صاحبك؟ يعني أبا بكر.

قال: والله لأقتلك.

وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري إذ ذاك حاضرين، فكلّما خالداً في أمره، فكره كلامهما.

فقال مالك: يا خالد، ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت

إلـيه غيرنا ممّن جرمه أكبر من جرمنا. وألحّ عبد الله بن عمر وأبو قتادة على خالد بأن يبعثهم إلى الخليفة فأبى عليهم ذلك، وقال خالد: لا أقالني الله إن لم أقتله.

وتقـدّم إلـى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته، وقال لخالد: هذه التي قتلتني.

فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام.

فقال لـه مالك: إني على الإسلام.

فقـال خالـد: يـا ضـرار، اضـرب عـنقه، فـضرب عـنقه، وجعل رأسه أثفية لقدر[1].

وقبض خالد على زوجته فبنى بها في تلك الليلة، وفي ذلك يقول أبو زهير السعدي:

ألا قل لحـي أوطئوا بالسنابك — تطـاول هـذا اللـيل من بعد مالك

قـضى خالـدٌ بغياً عليـه لعرسه — وكـان لـه فـيها هـوىً قـبل ذلك

فأمـضى هـواه خالـد غيـر عاطـف — عـنان الهـوى عـنها ولا مـتمالك

وأصـبح ذا أهـل وأصبح مالك — على غير شيء هالكاً في الهوالك

فمـن لليتـامـى والارامـل بعـده — ومـن للرجال المعدمين الصعالك؟

أصيبـت تميـم غثهـا وسمينها — بفارسـها المرجو سحب الحوالك

وكـان خالـد قـد أمـر بحـبس تلك السراة الأسرى من قوم مالك، فحبسوا والبـرد شـديد، فـنادى مناديه في ليلة مظلمة: أن ادفئوا أسراكم، وهي في لغة (كنانة) كناية عن القتل، فقتلوهـم بأجمعهم، وكان قد عهد إلى الجلاّدين من جنده أن يقتلوهم عند سماعهم هذا النداء. وتلك حيلة منه توصّل بها إلى ألاّ يكـون مـسؤولاً عـن هـذه الجـناية، لكنّها لم تخفَ على أبي قتادة وأمثاله من

(١) انظر: ترجمة وثيمة بن الفرات من وفيات الأعيان.

أهل البصائر، وإنّما خفيت على رعاع الناس وسوادهم.

قال الأستاذ محمّد حسين هيكل: إنّ أبا قتادة الأنصاري غضب لفعلة خالد إذ قتل مالكاً وتزوّج امرأته، فتركه منصرفاً إلى المدينة ومقسماً ألا يكون أبداً في لواء عليه خالد، وإنّ متمم بن نويرة أخا مالك ذهب معه، فلمّا بلغا المدينة ذهب أبو قتادة ولا يزال الغضب آخذاً منه مأخذه، فلقي أبا بكر فقصّ عليه أمر خالد وقتله مالكاً وزواجه من ليلى، وأضاف أنّه أقسم ألا يكون أبداً في لواء عليه خالد.

قال: لكن أبا بكر كان معجباً بخالد وانتصاراته، ولم يعجبه أبو قتادة بل أنكر منه أن يقول في سيف الإسلام ما يقوله.

قال هيكل: أترى الأنصاري ـ أبا قتادة ـ هاله غضب الخليفة فأسكته؟ ثمّ قال: كلا، فقد كانت ثورته على خالد عنيفة كلّ العنف، لذلك ذهب إلى عمر بن الخطّاب فقصّ عليه القصّة وصوّر له خالداً صورة الرجل الذي يغلب هواه على واجبه، ويستهين بأمر الله إرضاءً لنفسه.

قال: وأقرّه عمر على رأيه وشاركه في الطعن على خالد والنيل منه، وذهب عمر إلى أبي بكر وقد أثارته فعلة خالد أيّما ثورة، وطلب إليه أن يعزله، وقال: إنّ في سيف خالد رهقاً[1]، وحق عليه أن يقيده. ولم يكن أبو بكر يقيد من عماله، لذلك قال حين ألحّ عمر عليه غير مرة: هَيْه[2] يا عمر، تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد.

ولم يكتفِ عمر بهذا الجواب، ولم يكف عن المطالبة بتنفيذ رأيه، فلمّا ضاق أبو بكر ذرعاً بإلحاح عمر، قال: لا يا عمر، ما كنت لأ شيم[3] سيفاً سلّه الله على الكافرين.

---

(١) الرهق: السفه والخفّة وركوب الشرّ والظلم وغشيان المحارم.

(٢) في بعض النسخ: هبه.

(٣) أشيم: أغمد، والشيم يستعمل في كلّ من السلّ والإغماد.

قال هيكل: لكن عمر كان يرى صنيع خالد إنكاراً، فلم تطب له نفسه ولم يسترح ضميره، (كيف إذاً يسكت وكيف يذر خالداً في طمأنينته يشعر كأنّه لم يأثم ولم يجنِ ذنباً ؟).

قال: لابّد أن يعيد القول على أبي بكر، وأن يذكر له في صراحة أنّ عدو الله عدا على أمرىء مسلم فقتله ونزا على امرأته، فليس من الإنصاف في شيء ألا يؤاخذ بصنيعه.

قال: ولم يسع أبو بكر إزاء ثورة عمر إلاّ أن يستقدم خالداً ليسأله ما صنع.

قال: وأقبل خالد من الميدان إلى المدينة، ودخل المسجد في عدة الحرب مرتدياً قباءً له صدأ الحديد، وقد غرز في عمامته أسهماً، وقام إليه عمر إذ رآه يخطو في المسجد، فنزع الأسهم من رأسه وحطمها وهو يقول: قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بالأحجار.

قال: وأمسك خالد فلم يعتذر، ودخل على أبي بكر فقصّ عليه قصة مالك وتردده، وجعل يلتمس المعاذير، فعذره أبو بكر وتجاوز عمّا كان منه في الحرب، لكنّه عنّفه على الزواج من امرأة لم يجف دم زوجها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وترى الاتصال بهن عاراً أي عار.

قال هيكل: على أنّ عمر لم يتزحزح عن رأيه في ما صنع خالد، فلمّا توفي أبو بكر وبويع عمر خليفة له، كان أوّل ما صنع أن أرسل إلى الشام ينعي أبا بكر، وبعث مع البريد الذي حمل النعي رسالة يعزل بها خالداً عن إمارة الجيش[1].

---

(١) انظر: كتاب الصدّيق أبو بكر، محمّد حسين هيكل، ط٦، ص١٣٧، دار المعارف بمصر.

مخالفة أبي بكر لصريح القرآن

تنبؤك مصادر التاريخ هول الأحداث يوم البطاح التي وقعت في عهد أبي بكر، ويمكن تلخيص ما جرى بما يلي:

أوّلاً: إراقة دماء الأبرياء على يد خالد، وذلك بمرأىً ومسمع من أبي بكر.

ثانياً: هتك الأعراض والنواميس.

ثالثاً: غصب الأموال والحقوق.

رابعاً: استباحة الحرمات.

خامساً: ارتكاب الزنا على رؤوس الأشهاد(١).

سادساً: تعطيل الحدود.

وفي شأن أبي بكر نقل ابن خلكان الحوار الذي جرى بين أبي بكر وعمر، بعد ثورة عمر على خالد، فقال: قال عمر لأبي بكر: إنّ خالداً قد زنى فارجمه.

قال: ما كنت لأرجمه، فإنّه تأوّل فأخطأ.

قال: فإنّه قتل رجلاً مسلماً فاقتله به.

قال: ما كنت لأقتله به، إنّه تأوّل فأخطأ.

قال: فاعزله.

قال: ما كنت لأشيم(٢) سيفاً سلّه الله عليهم أبداً.

انظر إلى الانتهاكات الصادرة من قبل رأس الحكومة آنذاك، وما عذره إلاّ أنّ خالداً قد تأوّل فأخطأ.

---

(١) الزاني هو خالد بن الوليد قائد الجيش، وكان محصناً، والمزني بها زوجة مالك بن نويرة الذي قتله خالد وأعرس بزوجته ليلاً، فهي محصنة كذلك؛ لأنّها ذات عدّة.

(٢) أشيم: أغمد، والشيم يستعمل في كلّ من السل والإغماد.

أقول: أيّ تأويـل هذا والنصّ القرآني صريح، وهو قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾(٣).

فهل خالد تأوّل فأخطأ، أم الخليفة قدّم مصلحته الخاصة على أمر الله سبحانه، ثمّ نقول: إنّ الخليفة تأوّل فأخطأ؟ أيّهما قابل للتوجيه؟

إنّه عطّل حكماً إلهياً، وهو القود، وسبحانه يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾(٤)، فهل تعطيل هذا الحد هو من باب التأويل؟!

ثمّ ما العذر عند أبي بكر في ما أمر به خالد الجلّادين من جنده أن يقتلوا السراة الأسرى من قوم مالك، وهل سمعتم ـ أيّها المسلمون ـ أنّ الأسير يقتل؟!

فهذا خالد استعمل الحيلة والغدر، إذْ نادى مناديه في ليلة مظلمة أنْ أدفئوا أسراكم، وهي كناية عن القتل، فقتلوهم بأجمعهم، فهل عَمَل خالد ذلك يندرج تحت مقولة أبي بكر: إنّه تأوّل فأخطأ؟ فكم هي الأرواح التي أُزهقت لا لشيء إلاّ لامتناع القوم من دفع الزكاة لأبي بكر فحسب، وقد اعترف الخليفتان أبو بكر وعمر أنّ مالكاً وقومه كانوا مسلمين، وهم يشهدون الشهادتين، وقد صلّوا وصلّى

---

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) الفرقان: ٦٨.

(٤) البقرة: ١٧٩.

القوم قبل أن يأسروهم، فهل يجوز بعد كلّ هذه الأمارات أن تستباح دماؤهم؟!

إذا سلّمنا جدلاً ـ أنّ قتل مالك ـ يعذر فيه خالد، فما يقول الخليفة بصنيع خالد إذ قتل مالكاً وبنى بزوجته في تلك الليلة؟

وقول عمر بن الخطّاب صريح، فقال لأبي بكر: إنّ خالداً زنى بزوجة مالك فاقتله.

قال: تأوّل فأخطأ.

عجباً لهذا الحبّ الأعمى الذي صرف الخليفة عن وظيفته الشرعية، وهي معاقبته لخالد على زناه ليلتمس العذر لقائده الأثيم والقرآن الكريم لا يعذر أحداً بل يقول جل اسمه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي...﴾!

ثمّ هلا استبرأ خالد المرأة قبل الدخول بها، حيث هي في عدة الوفاة وان دم زوجها بعد لم يجف؟

علماً أنّ الإسلام يحرّم نكاح المتوفّى عنها زوجها حتّى تعتد، فإن نكحت وبنى بها الناكح وهي في العدة حرمت عليه مؤبداً، ولو سلّمنا جدلاً أنّ خالداً اعتبرها سبيّة، فالسبية لا يحل وطؤها إلا بعد الاستبراء الشرعي، ولا استبراء هنا، وإنّما قتل زوجها ووطأها في تلك الليلة.

والعجب كلّ العجب أنّ (هيكل) يستهين كصاحبه ـ الخليفة ـ بالأرواح والأعراض والنواميس فيستهين قتل الفرد المسلم أو الأسرى المسلمين، وهكذا يبيح وطء الزوجة المقتول زوجها لكون قائد الجند ـ حسب زعم هيكل ـ له ميزة خاصة! اقرأ عبارته: (وما التزويج من امرأة على خلاف تقاليد العرب، بل ما الدخول بها قبل أن يتم استبراؤها إذا وقع ذلك من فاتح غزا فحق له بحكم الغزو أن تكون له سبايا يصبحن ملك يمينه)[1]!

---

(١) الصديق أبو بكر (هيكل): ١٤٧.

عجيب جداً لمثل نابغة القرن العشرين (هيكل) أن يتفوّه بهذا الكلام اللامسؤول! إنّه نطق بلسان أبي بكر، وهو أنّ الحدود الشرعية لا يجب أن تتناول النوابغ من أمثال خالد! وما عشت أراك الدهر عجباً !

فأية حكومة هذه التي تستخف بالفروج والأنفس؟!

ألا يعلم (هيكل) أنّ نساء المسلمين لا تستباح في الحرب؟ ألا تصفّح التاريخ ليقرأ أحداث حرب الجمل (البصرة) وأنّ جند الكوفة أرادوا نهب أموال الناكثين من قوم طلحة والزبير فنهاهم الإمام علي عليه السلام،ثمّ أرادوا سبي نساءهم فنهاهم أيضاً؛ لأنّها لا يمكن جعلها من السبي. وعليه إنّما قد يباح للغازي المسلم إذا فتح بلاد المحاربين الكافرين، فالكافر الحربي هو الذي يستباح دمه وماله ونساؤه.

وفي صدد مالك يقول الأستاذ العقاد: إنّ وجوب القتل لم يكن صريحاً قاطعاً في أمر مالك بن نويرة، وإنّ مالكاً كان أحق بإرساله إلى الخليفة من زعماء فزارة وغيرهم الذين أرسلهم خالد بعد وقعة البزاخة، وإنّ خالداً تزوّج امرأة مالك وتعلّق بها وأخذها معه إلى اليمامة بعد لقاء الخليفة.

وقال أيضاً: وأوجب ما يوجبه الحق علينا، بعد ثبوت هذا كله أن نقول: إنّ وقعة البطاح صفحة في تاريخ خالد كان خيراً له وأجمل لو أنّها حذفت ولم تكتب على قول من جميع تلك الأقوال(١).

أقول: بل إنّ صفحة مالك هي عار كذلك على جبين من ولّى خالداً قيادة الجيش واعتذر عنه وأبقاه إلى أن مات.

وقبل أن نُسدل الستار على ما جرى لمالك وقومه من بني يربوع نشير إلى مَنْ

---

(١) عبقرية خالد (العقاد): ١٣٤.

كتب عن مالك من حيث مكانته في الإسلام وسؤدده وعلو مقامه وما مُني به وقومه (يوم البطاح)، وحسبنا من ذلك: (جمهرة النسب) لابن الكلبي، وكتاب (الموفّقيات) للزبير بن بكار، وكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، و(المختصر) لأبي الفداء، وما هو في أحوال عمر من المجلد الأوّل من (شرح النهج) لابن أبي الحديد، و(الكامل) لابن الأثير، وكتاب (الدلائل) لثابت بن قاسم، و(نزهة المناظر) لابن شحنة، و(تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبري، وكتاب (الدرة والفتوح) لسيف بن عمر.

اجتهادات عمر بن الخطاب

لا يسع المقام أن نذكر اجتهادات الخليفة عمر التي تعددت في جميع الأبواب، أنّها اجتهادات خالفت نصوص القرآن في أكثر من أربعين مورداً، نذكر منها بعض الموارد:

المورد الأول: قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَان فَإمْسَاكٌ بمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بإحْسَان... فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حتّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾[1]. وهذا يعني أنّ التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة.

وإذا كان الطلاق رجعياً فيعني الرجوع مرتين؛ مرة بعد مرة؛ لأنّه لا رجعة بعد الثلاثة.

عن ابن عبّاس ـ من عدة طرق كلها صحيحة ـ قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطّاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كان لهم أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم[2].

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) صحيح مسلم، ج١، باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق، ومسند أحمد ١: ٣١٤.

في ذلك قال الأستاذ خالد محمّد خالد المصري: ترك عمر بن الخطّاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعته المصلحة لذلك، فبينا يقسم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظاً من الزكاة ويؤديه الرسول وأبو بكر يأتي عمر فيقول: لا نعطي على الإسلام شيئاً، وبينا يجيز الرسول وأبو بكر بيع أمهات الأولاد يأتي عمر فيحرم بيعهن، وبينا الطلاق الثلاث في مجلس واحد يقع واحداً بحكم السنة والإجماع جاء عمر فترك السنة وحطّم الإجماع[١].

المورد الثاني: سأل عمر بن الخطّاب النبي صلى الله عليه وآله عن ميراث الجدّ مع الأخوة فقال له: ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ إنيّ أظنّك تموت قبل أن تعلمه.

قال راوي هذا الحديث ـ سعيد بن المسيب ـ فمات عمر قبل أن يعلمه[٢].

قال عبيدة السلماني: لقد حفظت لعمر بن الخطاب في الجدّ مائة قضية مختلفة[٣].

وعن عمر قال: إنّي قضيت في الجدّ قضيات لم آلِ فيها عن الحق[٤].

قال طارق بن شهاب الزهري: كان عمر بن الخطّاب قضى في ميراث الجدّ مع الأخوة قضايا مختلفة[٥].

المورد الثالث: وجوب التيمّم للصلاة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

---

(١) الديمقراطية للأستاد خالد محمّد خالد: ١٥٠.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه وفي شعب الإيمان، ونقله المتقي الهندي في الكنز ٦: ١٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي في سننهما،ونقله المتقي في الكنز ٦: ١٥.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ونقله المتقي في الكنز ٦: ١٥.

(٥) انظر: حياة الحيوان للدميري في مادة الحيّة.

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِط أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنهُ﴾[1].

وقوله سبحانه في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِط أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[2].

أجمعت الأمة على أنّ فاقد الماء يتيمّم للفريضة، وهكذا المريض الذي يضره الماء أو المسافر الذي لم يجد ماءً. ولم يخالف في هذا الحكم إلاّ عمر بن الخطّاب، فإنّ المشهور عنه سقوط الفريضة عمّن فقد الماء حتّى يجده.

نقل هذه الشهرة القسطلاني في مباحث التيمّم من (إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ٢: ١٣١).

أخرج البخاري ومسلم في التيمّم من صحيحهما عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبْزَى، عن أبيه: أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماءً. فقال: لا تصلّ.

وكان عمّار بن ياسر إذ ذاك حاضراً، فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً، فأمّا أنت فلم تصلّ، وأمّا أنا فتمعكت في التراب وصلّيت، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثمّ تنفخ ثمّ تمسح بهما وجهك وكفيك. فقال عمر: اتّقِ الله يا عمّار، قال: إذاً لم أحدّث به!

(١) المائدة: ٦.

(٢) سورة النساء: ٤٣.

فقال عمر: نوليك ما تولّيت.

المورد الرابع: قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[2].

إنّ المواريث والفرائض كما سنّها الله سبحانه، فلا فرق بين أعجمي وعربي، غير أنّ مالكاً روى في (الموطأ) عن سعيد بن المسيب أنّه قال: أبى عمر بن الخطّاب أن يورّث أحداً من الأعاجم، إلاّ أحداً ولد في العرب. قال مالك: وإنْ جاءت امرأة حامل من أرض العدو فوضعته في أرض العرب فهو ولدها يرثها إن ماتت وترثه إن مات، ميراثها في كتاب الله[3].

هذه بعض الموارد التي أفتى بها عمر بن الخطّاب والحديث يطول، تاركين التفصيل في مناسبة أخرى إن شاء الله.

وعليه إنّ قوله عليه السلام: «**ويكثر العثار فيها والاعتذار منها**»، إنّ أبا بكر وعمر كانا كثيراً ما يحكمان بالأمر ثمّ ينقضانه، وبالخصوص أنّ ذلك كان بارزاً في فتاوى عمر بن الخطاب، حيث كان يفتي بالفُتيا ثمّ يرجع عنها ويعتذر مما أفتى به أولاً.

أقول: هل يوجد مسوّغ للاجتهاد مع وجود النصّ؟

ثمّ ماذا نفهم من كلمة اجتهاد؟ وماذا تعني كلمة نصّ؟

أسئلة تتبادر إلى الأذهان في كلّ حين وعند كلّ باحث، فما علينا إلاّ أن

---

(١) النساء: ٧.

(٢) النساء: ١١.

(٣) انظر: كتاب الفرائض من الموطأ ٢: ١١.

نفهم ـ ولو بصورة مجملة ـ معاني المصطلحات المذكورة آنفا.

الكل منّا يعلم أنّ الإسلام هو خاتم الأديان، وأنّ القرآن الكريم خاتم الشرائع السماوية، وهذا يعني أنّ الله سبحانه وتعالى أودع في كتابه العزيز ما يحتاجه البشر من أحكام في العبادات والمعاملات والسلوك والسنن وما يصلح دنياهم وآخرتهم، فكان من الميسور على المسلم أن يبحث عن الحكم الشرعي في النصّ القرآني، ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب فإنّ ظهور القرآن حجّة لا محالة من ذلك.

ثمّ إنّ العرب بكل شرائحهم قد عرفوا أساليب الخطاب والبيان، فما كان يحمل على الحقيقة واضح بيّن، وما كان يحمل على المجاز كذلك يفهمه الجميع.

وإذا لم يتطرق القرآن الكريم إلى حكم شرعيّ ما التجأ المسلمون إلى البحث عنه في قول المعصوم عليه السلام، فكانت سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام هي المنبع الثاني للأحكام الشرعية، وبهذا يتضح معنى الكتاب والعترة وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.

إذاً المراد من النص هو ما صّرح فيه بالحكم الشرعي، سواء كان الحكم في الأمور العبادية أو في الأمور الحياتية أي المعاملات والعقود، أمّا الاجتهاد هنا فهو مأخوذ في مقابل النصّ، أي الحكم بالرأي، وقد عرّفوه بالذوق الشخصي والنظر، وعرّفه ابن القيّم: (ما يراه القلب بعد فكر وتأمّل وطلب لمعرفة وجه الصواب)[1]. وهذا يعني أنّ المفتي يجنح إلى مذاقه الخاص ليصدر فتوى في المسألة الكذائية دون أن يعمد إلى النصّ الصريح من القرآن والسنّة.

وهذا اتجاه جديد حصل بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة على يد الخليفة أبي بكر.

---

(١) إعلام الموقعين ١: ٦٦. دار الجبل ـ بيروت ١٩٧٣ تحقيق طه عبد الرزاق سعد.

إنّه اتجاه جديد في الحكم والقضاء بين المسلمين، وكان له الأثر السيّء في تاريخ الحياة العقلية الإسلامية.

والحكم بالرأي على قسمين:

الأول: هو الذي عرضناه آنفاً.

والثاني: هو ما يصطلح عليه بالاجتهاد الشخصي أو العملي، وهو استفراغ وسع الفقيه الجامع للشرائط لاستنباط المسائل الشرعية من الكتاب والسنة بعد الجمع والترجيح بالطرق الواردة بعد العرض على القرآن والأصول الإجماعية.

وفي هذا يقول ثقة الإسلام الشيخ الكليني: والشرط من الله في ما استعبد به خلقه أن يؤدّوا جميع فرائضه بعلم ويقين وبصيرة.

إلى أن قال: ومن أراد الله خذلانه وأن يكون إيمانه معاراً مستودعاً سبّب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل بغير علم وبصيرة[1].

وقال النعماني في كتاب (الغيبة): القرآن مع العترة والعترة مع القرآن، ومن التمس علم القرآن والتأويل والتنزيل والحلال والحرام والخاص والعام من عند غير مَن فرض الله طاعتهم وجعلهم ولاة الأمر بعد نبيه فقد تاه وضل وهلك وأهلك... إلى أن قال: وأعجب من هذا، ادّعى هؤلاء أن ليس في القرآن علم كلّ شيء وأنّهم لمّا لم يجدوا فيه احتاجوا إلى القياس والاجتهاد والرأي، وافتروا على النبيّ صلى الله عليه وآله الكذب والزور بأنّه أباح لهم الاجتهاد وأطلقه لهم، وغفلوا أمر الله في قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُول وَإِلَى أُوْلِي الأمر مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2]، وفي قوله: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3]

---

(١) الكافي: المقدمة.

(٢) النساء: ٨٣

(٣) الأنبياء: ٧.

نعم، لو ردّوا الأمر إلى أهل الذِكر وهم أهل البيتعليهم السلام لأوصلهم الله إلى نور الهدى، وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون، وأغناهم عن القياس والاجتهاد والرأي...

هذا الاجتهاد الذي لم يتخذ من القرآن والسنة منبعاً للتفكير والاستنباط فهو باطل، وصاحبه يعتمد رأيه الشخصي الذي يورده الهلاك كما ورد في الحديث.

نعم، يبقى المعنى الأخصّ، وذلك هو عمل الفقيه في النصوص الشرعية من القرآن والسنة وأخبار أهل البيتعليهم السلام،فيجمع بين النصوص والأخبار ليستنبط منها حكماً شرعياً في مسألة ما بعد أن يرجّح ضمن مرجحات علمية.

وربما اعترضنا قائل فقال: ماذا تصنع بحديث معاذ بن جبل لمّا بعثه النبيّصلى الله عليه وآله إلى اليمن، قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟

قال: أقضي بكتاب الله.

قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟

قال: فبسنة رسول اللهصلى الله عليه وآله.

قال: فإن لم تجد في سنّة رسول الله ولا في كتاب الله؟

قال: اجتهد رأيي ولا آلو.

قال: فضرب رسول الله صدره، وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول الله لما يرضاه رسول الله.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي[(١)].

أقول: هذا الحديث لم يصح عن النبيّصلى الله عليه وآله بطريق معتبر، وقد أورده الجوزقاني في الموضوعات، ولم يجد له طريقاً معتبراً[(٢)].

---

(١) انظر: إرشاد الفحول.

(٢) للاطلاع انظر: الأصول العامة للفقه المقارن (العلاّمة السيد محمّد تقي الحكيم): ٣٣٩.

وشكّ باحثون آخرون في صحة إسناد هذا الحديث إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من حيث المتن، حيث اشتملت الرواية على اصطلاحات دقيقة تعتبر وليدة عصر ما بعد الصحابة، وهذا ما دعاهم إلى التشكيك في قيمة إسناد هذه الرواية إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

وكيف كان، إنّ مدرسة الرأي تميّزت منذ أول يوم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بشيء كثير من الجرأة في إعطاء الحكم والفتوى. واستمر الحال طيلة فترة الخلفاء الثلاثة حتّى تبلورت مدرسة الرأي على يد أبي حنيفة النعمان، والباحث يجد في تأريخ صاحب هذا المذهب أنّه قليل العناية بالحديث، فلم يصحّ لديه أكثر من سبعة عشر حديثاً كما صرّح به ابن خلدون في مقدّمته، علماً أنّ أبا حنيفة كان كثير الاعتداد برأيه في قبال الحديث.

إذا عرفنا هذا المجمل من تعريف النصّ والاجتهاد بالرأي سوف تتضح لك ـ عزيزي القارئ ـ جميع فتاوى الخلفاء الثلاثة، إذ إنّها لم تعتمد النص القرآني، بل اعرضوا عن ذكر الله واتخذوا الاجتهاد بالرأي مسلكاً جديداً، وإليك واحدة من تلك المواقف التي اجتهد فيها الخليفة فأصبحت عاراً في جبين التاريخ.

من اجتهادات الخليفة أبي بكر ما حصل (يوم البطاح) أو قل عنه: يوم مالك ابن نويرة وقومه من بني تميم، حيث تجاوز عن جرائم خالد بن الوليد التي لا تُعدّ، ومنها: إنّه قتل جمعاً غفيراً من المسلمين منهم مالك بن نويرة، ثُمّ بنى بزوجة مالك من ليلته... إلى آخره. وقد مرّ الكلام في الصفحات المتقدمة فراجع، وما عذر أبي بكر في خالد إلاّ عبارته المشهورة: إنّه اجتهد فأخطأ.

الفصل الثامن

الإمام والشورى وحديث المناشدة

الإمام والشورى وحديث المناشدة

روى العلاّمة السيد هاشم البحراني بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه: أنّ علياً عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص أمرهم عمر بن الخطّاب أن يدخلوا بيتاً ويغلقوا عليهم بابه ويتشاوروا في أمرهم، وأجّلهم ثلاثة أيام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قُتل ذلك الرجل، وإن توافق أربعة وأبى اثنان قُتل الاثنان، فلمّا توافقوا جميعاً على رأي واحد قال لهم عليّ بن أبي طالب: **«إنّي أحبّ أن تسمعوا منّي ما أقول لكم، فإن يكن حقاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فانكروه»**.

قالوا: قل.

قال: **«أنشدكم بالله ـ أو قال: أسألكم بالله ـ الذي يعلم سرائركم ويعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد من قبلي آمن بالله ورسوله وصلّى القبلتين قبلي؟»**.

قالوا: اللّهم لا.

قال: **«فهل فيكم من يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأمر مِنكُمْ﴾ سواي؟»**.

قالوا: اللّهم لا.

قال: **«فهل فيكم أحد نصر أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وكفاه غيري؟»**.

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد زيّن أخوه بالجناحين في الجنة غيري؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد وحّد الله قبلي ولم يشرك بالله شيئاً؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد عمّه حمزة سيد الشهداء غيري؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد زوجته سيدة نساء أهل الجنة غيري؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد ابناه سيّدا شباب أهل الجنة غيري؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد اعلم بناسخ القرآن ومنسوخه والسنّة مني؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد سمّاه الله عز وجل في عشر آيات مؤمناً غيري؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات يقدّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟».

قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم والِ مَن والاه وعاد من عاداه، ليبلّغ الشاهد هذا الغائب ذلك»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم رجل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «لاعطينّ الراية رجلاً غداً

يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرار، لا يولّي الدبر، يفتح الله على يديه»، وذلك حيث رجع أبو بكر وعمر منهزمَين، فدعاني وأنا أرمد فتفل في عيني، وقال: «اللّهم أذهب عنه الحرّ والبرد»، فما وجدت بعدها حرّاً ولا برداً يؤذياني، ثمّ أعطاني الراية فخرجت بها ففتح الله على يدي خيبر، فقتلت مقاتليهم وفيهم مرحب، وسبيت ذراريهم، فهل كان ذلك غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ، وأشدّهم حباً لي ولك، يأكل معي من هذا الطائر»، فأتيت فأكلت معه، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثن عليكم رجلاً كنفسي، طاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يعصاكم ـ أو يقصعكم ـ بالسيف»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم من سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من الملائكة ـ وفيهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ـ ليلة القليب لمّا جئت بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له جبرئيل عليه السلام:هذه هي المواساة، وذلك يوم أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّه مني وأنا منه»، فقال جبرئيل: «وأنا منكما» غيري؟».

قالوا: لا.

قـال: «فهل فيكم أحد نودي من السماء: «لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ»، غيري؟».

قالوا: لا.

قـال: «فهـل فيكم من يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبيّ غيري؟».

قالوا: لا.

قـال: «فهـل فـيكم أحد غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله مع الملائكة المقرّبين بالروح والريحان، تقلّبه لي الملائكة وأنا أسمع قولهم وهم يقولون: «استروا عورة نبيكم ستركم الله»، غيري؟».

قالوا: لا.

قـال: «فهـل فـيكم أحـد بعث الله عزّ وجل إليه بالتعزية حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمـة عليها السلام تبكـيه، إذ سـمعنا حـسّاً على الباب، وقائلاً يقول نسمع صـوته ولا نـرى شخـصه، وهـو يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبـركاته، ربّكـم عز وجل يقرئكم السلام ويقول لكم: إنّ في الله خلفاً من كلّ مـصيبة، وعـزاءً من كلّ هالك، ودركاً من كلّ فوت، فتعزّوا بعزاء الله، واعلموا أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، والسلام عليكم ورحمة الله وبـركاته»، وأنـا في البيت والحسن والحسين أربعة لا خامس لنا إلا رسول الله مسجّىً بيننا، غيرنا؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ردّت عليه الشمس بعد ما غربت أو كادت حتّى صلّى العصر في وقتها، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أمره رسول الله ﷺ أن يأخذ براءة من أبي بكر بعد ما انطلق أبو بكر بها فقبضها منه، فقال أبو بكر بعد ما رجع: يا رسول الله، أَنَزَل فيّ شيء؟ فقال: «لا، إلاّ أنّه لا يؤدّي عني إلاّ عليّ »، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم مَن قال له رسول الله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي، ولو كان نبيّ بعدي لكُنْتَهُ يا عليّ»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «إنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ كافر»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «أتعلمون أنّه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله ﷺ:ما أنا سددت أبوابكم، ولا أنا فتحت بابه، بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه؟».

قالوا: نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ ناجاني يوم الطائف دون الناس، فأطال ذلك، فقال بعضكم: يا رسول الله، إنّك أنتجيت علياً دوننا، فقال رسول الله ﷺ:ما أنا أنتجيته، بل الله عز وجل أنتجاه؟».

قالوا: نعم

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: الحق بعدي مع عليّ وعلي مع الحق يزول الحق معه حيث زال؟».

قالوا: نعم.

قال: «فهل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله

وعترتـي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وإنّكم لن تضلّوا ما اتّبعتموهما واستمسكتم بهما؟».

قالوا: نعم.

قال: «فهل فيكم أحد وقى رسول الله ﷺ بنفسه، وردّ به مكر المشركين واضطجع مضجعه، وشرى بذلك من الله نفسه غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم حيث آخا رسول الله ﷺ بين أصحابه أحد كان لـه أخاً غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ذكره الله عز وجل بما ذكرني إذ قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَـئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1]، غيري؟ فهل سبقني فيكم أحدٌ إلى الله ورسوله؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد آتى الزكاة وهو راكع فنزلت فيه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2]، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد برز لعمرو بن عبد ودّ حيث عبر خندقكم وحده ودعا جمعكم إلى البراز فنكصتم عنه، وخرجت إليه فقتلته وفتّ الله بذلك في أعضاد المشركين والأحزاب، غيري؟».

---

(١) الواقعة : ١٠ ـ ١١.

(٢) المائدة: ٥٥.

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ترك رسول اللهﷺ بابه مفتوحاً في المسجد، يحلّ له ما يحلّ لرسول اللهﷺويحرم له ما يحرم على رسول اللهﷺفيه غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] غيري وزوجتي وابنيَّ؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ:ما سألت الله عزّ وجل لي شيئاً إلاّ سألت لك مثله»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد كان صاحب رسول اللهﷺفي المواطن كلها غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ناول رسول اللهﷺقبضة من تراب من تحت قدميه فرمى بها في وجوه الكفّار فانهزموا، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قضى دين رسول اللهﷺوانجز عداته، غيري؟».

قالوا: لا.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

قال: «فهل فيكم أحد اشتاقت الملائكة إلى رؤيته فاستأذَنتِ الله تعالى في زيارته، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ وأداته غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد استخلفه رسول الله ﷺ في أهله، وجعل أمر أزواجه إليه من بعده غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد حمله رسول الله ﷺ على كتفه حتّى كسّر الأصنام التي كانت على الكعبة غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد اضطجع هو ورسول الله ﷺ في لحاف واحدٍ إذ كفلني غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت صاحب رايتي ولوائي في الدنيا والآخرة»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد كان أوّل داخل على رسول الله ﷺ وآخر خارج من عنده لا يحجب عنه، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد نزلت فيه وفي زوجته وولده: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[١]، إلى سائر ما اقتص الله تعالى من ذكرنا في هذه السورة، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد نزلت عليه هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[٢]، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى من خبر المؤمنين[٣] غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أنزل الله عز وجل فيه وفي زوجته وولديه آية المباهلة، وجعل الله عز وجل نفسه نفس رسول الله، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾[٤] لمّا وقيت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الفراش، غيري؟».

قالوا: لا.

---

(١) الإنسان: ٨

(٢) التوبة: ١٩.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُون﴾. السجدة:١٨.

(٤) البقرة: ٢٠٧.

قال: «فهل فيكم أحد سقى رسول الله صلى الله عليه وآله من المهراس[(١)] لمّا اشتدّ ظمأه وأحجم عن ذلك اصحابه، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «اللّهم إنّي أقول كما قال عبدك موسى»: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أمري * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[(٢)]، إلى آخر دعوة موسى عليه السلام إلاّ النبوة، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أدنى الخلائق لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة، وأقرب إليه منّي كما أخبركم بذلك صلى الله عليه وآله، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم مَن قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت وشيعتك هم الفائزون، تردون يوم القيامة رواء مرويّين، ويرد عدوّك ظماءً مقبحين»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ هذه الشعرات فقد أحبّني، ومَن أحبّني فقد أحبّ الله تعالى، ومن أبغضها وآذاها فقد أبغضني وآذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى الله لعنه الله وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً».

---

(١) المهراس: ماء بجبل أحد، لمّا عطش النبي صلى الله عليه وآله جاءه عليّ وفي درقته ماء من المهراس، معجم البلدان ٥: ٢٣٢.

(٢) سورة طه: ٢٥ ـ ٣١.

فقال أصحابه: وما شعراتك هذه يا رسول الله قال: «عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الأعظم الذي يفرق بين الحق والباطل»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد طرح عليه رسول الله ﷺ ثوبه وأنا تحت الثوب وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ قال: «اللّهم أنا وأهل بيتي هؤلاء، إليك لا إلى النار»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ بالجحفة بالشجيرات من خمّ: «من أطاعك فقد أطاعني، ومَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاك فقد عصاني، ومَن عصاني فقد عصى الله تعالى»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد كان رسول الله ﷺ بينه وبين زوجته، وجلس بين رسول الله وزوجته، وقال رسول الله ﷺ: «لا ستر دونك يا عليّ»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد احتمل باب خيبر يوم فتح حصنها، ثمّ مشى به ساعة، ثمّ ألقاه، فعالجه بعد ذلك أربعون رجلاً فلم يقلّوه من الأرض، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم مَن قال له رسول الله ﷺ: «أنت معي في قصري ومنزلك تجاه منزلي في الجنة»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت أولى الناس بأمّتي من بعدي، وَالَى الله مَن والاك، وعادى من عاداك، وقاتل من قاتلك بعدي»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس سبعَ سنين وأشهراً غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّك عن يمين العرش يا عليّ يوم القيامة، يكسوك الله عز وجل بُردَين أحدهما الأحمر والآخر الأخضر»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله من فاكهة الجنة لمّا هبط بها جبرئيل وقال: لا ينبغي أن يأكلها في الدنيا الاّ نبيّ أو وصيّ، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت اقومهم بأمر الله، وأوفاهم بعهد الله، وأعلمهم بالقضية، وأقسمهم بالسوية، وأفقههم بالرعيّة»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت قسيم النار تخرج منها مَن آمن وأقرّ، وتدع فيها مَن كفر»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال للعين وقد غاضت: (انفجري)، فانفجرت فشرب منها القوم، وأقبل رسول الله ﷺ والمسلمين معه فشرب وشربوا وشربت خيلهم وملأوا رواياهم، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله ﷺ حنوطاً من حنوط الجنة، فقال: «اقسم هذا أثلاثاً: ثلثاً حنّطني به، وثلثاً لابنتي، وثلثاً لك»، غيري؟».

قالوا: لا.

قال: فما زال يناشدهم ويذكر لهم ما أكرمه الله تعالى وأنعم عليه به، حتّى قام قائم الظهيرة ودنت الصلاة، ثمّ أقبل عليهم فقال: «أمّا إذا أقررتم على أنفسكم، وبان لكم من سببي الذي ذكرت فعليكم بتقوى الله وحده، وأنهاكم عن سخط الله،فلا تُعرضوا ولا تضيّعوا أمري، وردّوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيكم ﷺ وسنّتي من بعده، فإنّكم إن خالفتموني خالفتم نبيكم ﷺ، فقد سمع ذلك منه جميعكم، وسلّموها إلى مَن هو لها أهل وهي له أهل. أما والله ما أنا بالرّاغب في دنياكم، ولا قلت ما قلت لكم افتخاراً ولا تزكية لنفسي، ولكن حدّثت بنعمة ربّي، وأخذت عليكم بالحجة»، ثمّ نهض إلى الصلاة.

قال: فتآمر القوم فيما بينهم وتشاوروا، فقالوا: قد فضّل الله عليّ بن أبي طالب بما ذكر لكم، ولكنّه رجل لا يفضّل أحداً على أحد، ويجعلكم ومواليكم سواءً، وإن ولّيتموه إيّاها ساوى بين أسودكم وأبيضكم ولو وضع السيف على عنقه، ولكن ولّوها عثمان، فهو أقدمكم ميلاداً، وألينكم عريكةً، وأجدر أن يتبع مسرّتكم، والله غفور رحيم[1].

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٤٥ ـ ٥٥٤، المجلس ٢٠، الحديث٤. التحفة البهية في إثبات الوصية ١: ٢٨٤ ـ ٢٩٥، الحديث ٢، ط ١، قم، ٢٠٠٤م.

أقـول: هـذه المناشـدة غير التي ذكرهاعليه السلام لأبي بكر بعد حادثة السقيفة. وقد ذكـرعليه السلام لأصحاب الـشورى مـن فضائله وما نزل في حقّه من آيات وما قال فيه الرسـولصلى الله عليه وآله مـن الأحاديـث الـشيء الكثير خلال الأيام الثلاثة التي كانوا يجتمعون فـيها، إلاّ أنّ الشيخ الطوسي لم يعدّد تلك المآثر والفضائل إلاّ (٧٢) منقبة وفضيلة، وكل هذه التي ذُكرت قد روتها كتب علماء الجمهور وبأسانيد صحيحة معتبرة قد بلغت من التواتر والشهرة ما لا يخفى على أدنى باحث.

قولهعليه السلام: «فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن»

عـرفت أنّ أعـضاء الـشورى الـذين عيّـنهم عمر بن الخطّاب هم ستة: عليّ بن أبـي طالـبعليه السلام، وعـثمان، وطلحـة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وكـان سـعد مـن بني عم عبد الرحمن ؛ كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شـيء مـن علـيعليه السلام مـن قـبل أخـواله؛ لأن أمّه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعليعليه السلام في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

أمّـا عـبد الـرحمن بـن عـوف كـان صهراً لعثمان؛ لأن زوجته (أم كلثوم) بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمّه.

أمّـا طلحـة بـن عبـيد الله فكان ميّالاً لعثمان لصلات بينهما، وقد يكفي في ميله إلـى عـثمان انحـرافه عـن علـيعليه السلام؛ لأنّـه تيمـيٌ، وقـد كـان بـين تيم وبني هاشم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر.

بعـد موت عمر بن الخطّاب اجتمع الستة وتشاوروا فاختلفوا، فانضمّ طلحة في الـرأي إلـى عـثمان، والزبيـر إلـى علـيّ، وسـعد إلـى عبد الرحمن، وكان عمر قد أوصى بألا تطول مدة الشورى على ثلاثة أيام، وقال: إذا كان الخلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن.

فأقبل عبد الرحمن على عليعليه السلام وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده. قال عليّ: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي.

ثمّ دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجابه بنعم.

فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة، وقال: اللّهم اسمع واشهد، اللّهم إنّي جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وصفق بيده في يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وبايعه.

قالوا: وخرج الإمام عليّعليه السلام واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت علياً وأنّه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

فقال: يا مقداد، لقد تقصيت الجهد للمسلمين.

فقال المقداد: والله إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه.

فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إنّي أخشى عليك الفتنة، فاتقِ الله.

ثمّ لمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأنصار ووجد عليه كبار الصحابة، قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك.

فقال: ما كنت أظن هذا به، ولكن لله عَلَيّ ألاّ اكلّمه أبداً. ثمّ مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان.

أعضاء الشورى

تزداد أواصر المحبّة والولاء بين عمر وعثمان منذ كتابة العهد لعمر، وذلك يوم أُغمي على أبي بكر وقبل أن يدلي بأمر الخلافة إلى آخر من بعده، فهذا عثمان كاتب عهد أبي بكر كتب بعد البسملة: هذا ما أوصى به أبو بكر، أما بعد...

ثـمّ أُغمـي عليه، فكـتب عثمان ـ من عند نفسه ـ عمر بن الخطّاب. فأفاق أبو بكر فقـال: اقـرأ، فقـرأه فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إِن متّ في غـشيتي؟ قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثمّ أتم العهد وأمره أن يقرأه على الناس[١] ، ووفاءً لهذا الموقف واعترافاً لذاك الجميل الذي لولا عثمان وما كتبه في الصحيفة من تولية عمر الخلافة لما نالها ابن الخطاب أبداً.

اَقـول: وفـاءً لكـل ذلـك صيّر عمر أمر الخلافة من بعده في شورى تتألّف من ستة أشـخاص مـن كـبار الـصحابة، ولكـن الهـدف ـ كلّ الهدف ـ هو عثمان بن عفـان وذوو لحمـته من بني أميّة، وقد حذّر عمر بن الخطّاب هذه الزمرة من مغبّة الاخـتلاف فـي الـشورى بعـد أن ربـط عثمان بعبد الرحمن بن عوف فهو صهره، كمـا لا يخفـى مـيل سـعد بـن أبـي وقـاص إلـى صـهره عـبد الرحمن، وفي ذلك أوصاهم عمر بن الخطاب بكلمتين:

أوّلهما: قال: لا تختلفوا، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص لكم بالمرصاد.

والثانـية: قوله: إذا تساوت الآراء في الشورى فمن معه عبد الرحمن هو الفائز، ومن خالف فاضربوا عنقه.

وبديهي أنّ الفائز مع عبد الرحمن هو عثمان، وأنّ المخالف لا يشك في كونه أمير المؤمنين عليعليه السلام، لذا أمرهم بقتله.

من هم أعضاء الشورى؟

أجمعت المصادر على أنّ الأعضاء هم:

١ـ طلحة بن عبد الله التيمي.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٥ ط، دار إحياء التراث العربي، وفي ص ١٦٣ ورد عهد أبي بكر بصيغة أخرى، فراجع.

٢ـ سعد بن أبي وقاص.

٣ـ عبد الرحمن بن عوف.

٤ـ الزبير بن العوام.

٥ـ عثمان بن عفان.

٦ـ عليّ بن أبي طالب.

آراء الخليفة عمر بن الخطاب فيهم

قال عمر بن الخطاب في طلحة وكان مبغضاً له منذ أن أشار على ابن عمّه أبي بكر أن يعرض عن عمر في عهده له، حيث قال: (ماذا تقول إذا سألك الله كيف خلّفت على أمة محمّد هذا الفظّ الغليظ؟).

فتوجّه إليه أبو بكر فقال: أقول أم أسكت؟

أجابه طلحة: قل، فإنّك لا تقول من الخير شيئاً.

قال أبو بكر: أمّا إنّي أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أُحد والبأو[1] الذي حدث لك، ولقد مات رسول اللهﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.

وقال فيه عمر: (أنّ طلحة رجل متكبر جشع).

قال الجاحظ: الكلمة المذكورة: إنّ طلحة لمّا نزلت آية الحجاب، قال بمحضر ممّن نقل عنه إلى رسول اللهﷺ: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ.

وقال الجاحظ: لو قال لعمر قائل: أنت قلت إنّ رسول الله مات وهو راضٍ عن

---

(١) البأو: أي بَأواً عليهم: فخر، تكبّر.

الستة، فكيف تقول الآن لطلحة إنّه مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه.

ولكن من الذي يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا؟

ولا يخفى على اللبيب أنّ عمر صاغ الشورى بشكل أن تؤدي الآراء إلى انتخاب عثمان بدون تردّد، وما الشورى إلا مكيدة للإيقاع بعلي وبني هاشم، وقد نقلت لك كيف هدّد عمر أعضاء الشورى بمعاوية وعمرو بن العاص، وهو الذي قال في عثمان:

(وعثمان تقلّده قريش هذا الأمر فيحمل بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ويؤثرهم بالفيء، فيسير إليه عصابة من ذؤبان العرب فيذبحونه على فراشه ذبحاً).

وفي عبارة أخرى قال: (إن وليها سلّط بني معيط على رقاب المسلمين، فيتخذون عباد الله خولاً، ومال الله دولاً...).

وأكّد قوله هذا بقوله الأخير: كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك، ثمّ اعطف، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثمّ أخذ بناصية عثمان وقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنّه كائن.

هذا تصريح واضح من الخليفة الراحل وهو على فراش الموت، فهل تعتقد أنّها فراسة منه أم تدبير محكم في إقصاء الإمام عليّ من الخلافة وتقليدها لعثمان ابن عفان؟!

وفي سعد بن أبي وقاص قال عمر: (إنّه رجل لا يصلح إلا للقوس والنشاب ـ يقصد بذلك الحرب ـ ولا رأي له في الإدارة).

وفي عبد الرحمن بن عوف قال: (لا يصلح إلاّ للعبادة).

وفي الزبير بن العوام قال: (إنّه يوم شيطان رجيم ويوم برّ رحيم).

وفي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: (لله أنت، لولا دعابة فيك، أما والله لئن

ولّيتهم لتحملنّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء).

هـذه تـصريحات دقـيقة أدلى بها عمر بن الخطّاب وهو في سياق الموت. وقد عرفت عزيزي القارئ أنّ كلّ واحد من أصحاب الشورى متلبّس بخطايا وسلوك غيـر مُرضٍ إلاّ عليّ بن أبي طالب، وقد فتّش فيه أعداؤه ومبغضوه فلم يجدوا فيه إلاّ خلـة حـسنة وهـي الدعابـة. تـرى هـل ذلـك نقص في عليّ أو جميل وحُسْنٌ؟ وهـل يجـب علـى المؤمن أن يكون فظاً غليظاً أو يكون هشاً بشاً رؤوفاً بالمؤمنين عطوفاً عليهم؟

إذاً عليّ لا يقاس بأحد سواء من أعضاء الشورى الستة أم من غيرهم من الصحابة.

الفصل التاسع

قوله عليه السلام: «إلى أن قام ثالث القوم...»

وأراد به عثمان

قولعليه السلام: «إلى أن قام ثالث القوم...» وأراد به عثمان

سيرة عثمان بن عفان

عثمان هو أحد الستة من أصحاب الشورى الذين عيّنهم عمر بعد أن طعن، ورشّحه عبد الرحمن بن عوف للخلافة، ثمّ ندم على ذلك، وأوصمه عثمان بالنفاق واعتزله عبد الرحمن؛ لأنّه لم يوفِ بالعهد من اتباع حدود الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر.

بويع بالخلافة يوم السبت أول محرم سنة (٢٤هـ)، وقتل في المدينة يوم الجمعة في ذي الحجة سنة (٣٥هـ) عن عمر ناهز التسعين[(١)]، ودفن في (حش كوكب) وهو ملك لبعض اليهود.

لم يبلغ عثمان درجة أبي بكر ولا عمر ولا جميعاً في الحزم والعمل، ولم يعرف عنه إلا دون أبي بكر في سبقته، ولم يعرف عنه شيء يذكر في الحروب والغزوات سوى هجرته للحبشة والمدينة.

وسوف نتطرق إلى شيء من أعماله وسلوكه واجتهاداته، وكيف كان يعامل الصحابة معاملة خارجة عن المنطق السليم، وكيف كان يقرّب عشيرته وأبناء جلدته من بني أميّة حتّى صيّر الخلافة ملكاً عضوضاً لهم...

---

(١) وقيل: ناهز الثمانين، على اختلاف في الروايات.

اجتهادات عثمان وما فيها من مخالفات للنص القرآني

روى الطبري، عن الواقدي، عن عمر بن صالح بن نافع، عن صالح مولى الثوامة، عن ابن عبّاس، قال: أوّل ما تكلّم الناس في عثمان ظاهراً أنّه صلّى بالناس بمنى في ولايته ركعتين طبق الآية الكريمة، وعَمَلَ بما كان يعمله رسول الله والشيخان بها، وعمله نفسه لستّ سنوات، والآية هي: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ﴾[1] [2].

غير أنّ عثمان اتمّها بعد السنة السادسة في خلافته، فعابه على ذلك صحابة الرسولﷺ، وتكلّم في ذلك مَن يريد أن يكثر عليه حتّى جاءه عليّ في من جاءه فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيّكَ يصلّي ركعتين، ثمّ أبا بكر، ثمّ عمر، وأنت صدراً في ولايتك، فما أدري ما رجعك إليه؟

قال عثمان: رأي رأيته.

كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافر وقصرها ١: ٢٥٨، عن يعلى بن أمية جاء فيه تأكيد للقصر.

وفي (صحيح مسلم) ايضاً عن ابن عمر جاء فيه التأكيد على قصر الصلاة في السفر زمن النبيّﷺ وأبي بكر وعمر.

وفي (صحيح البخاري) عن ابن عبّاس ١: ١٣١: قام النبي (١٩ يوماً) في مكة يقصر.

انظر تفصيل هذا الحدث في: الكامل لابن الاثير ٣: ٤٩. مسند أحمد ٤: ٩٤ و٢: ٤٤. الموطأ لمالك١: ٢٨٢. سنن النسائي ٣: ١٢٠. مسند أحمد بن حنبل١:

---

(١) النساء: ١٠١.

(٢) انظر: حوادث سنة ٢٩ للهجرة من تاريخ الطبري ٣: ٣٢٢.

٣٧٨. كتاب الأم للشافعي ١: ١٥٩ و٧: ١٧٥. سنن البيهقي ٣: ١٤٤ و١٥٣. المحلّى لابن حزم ٤: ٢٧٠.

وهناك عشرات المصادر نقلت هذا التصرف من عثمان، وهو خلاف النصّ القرآني وسيرة النبيّ ﷺ وسيرة أبي بكر وعمر.

وقد أراد البعض أن يدافع عن عثمان فالتمس له عذراً، فذلك ابن قيّم الجوزية ادّعى أنّ لعثمان في ذلك المكان مالاً وأهلاً وقد تزوّج هناك.

غير أنّ أهل العلم والفقه والرواية من السنّة ردّوا هذا الادعاء وابطلوه، وعلى رأسهم ابن حجر في (فتح الباري) عمّا أخرجه أحمد البيهقي، قال: وقد كان عثمان مُحرِماً ولا يجوز للمحرِم أن يخطب أو ينكح.

وهذا ما روي عن عثمان نفسه عن رسول الله ﷺ، وأخرجه مالك في (الموطأ)، والشافعي في (الأم)، وأحمد بن حنبل في (المسند)، ومسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، وأبو داود في سننه، وابن ماجه في سننه، وفي ذلك قال ابن حزم في (المحلّى) ٧: ١٩٧: لا يجوز نكاح المحرِم، إن نكح نزع منه امرأته.

كان هذا التغيير والتلاعب بالنصوص والسنّة الشريفة هو في مقدّمة الطعون التي وجّهت إلى عثمان وعدّوها مهمة جداً.

تعطيل الحدود التي فرضها الله سبحانه

من الملاحظات على عثمان في خلافته تعطيل الحدّ في القصاص، وذلك لمّا وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله لا شيء إلاّ لكونه صديقاً لأبي لؤلؤة.

أخرج البيهقي في (السنن الكبرى) ٨: ٦١ مسنداً لعبيد الله بن عمر: أنّه لمّا طعن عمر بن الخطّاب بيد أبي لؤلؤة وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله،

فقيل لعمر: إنّ عبيد الله ـ ولدك ـ قتل الهرمزان.

قال: وَلِمَ قتله؟

قال: إنّه قتل أبي.

قال: وكيف ذلك؟

قال: رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة، وهو أمره بقتل أبي.

قال عمر: ما أدري ما هذا، انظروا إذا أنا متّ فاسألوا عبيد الله البيّنة على الهرمزان هو قتلني؟ فإنّ أقام البينة فدمي بدمه، وإن لم يقم البينة فأقيدوا عبيد الله بالهرمزان.

فلمّا ولّي عثمان قيل له: ألا تمضي وصية عمر في عبيد الله بن عمر؟

قال: ومَنْ ولي الهرمزان؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين.

فقال: قد عفوت عن عبيد الله بن عمر.

وفي (تاريخ اليعقوبي): إنّ الناس أكثروا اللغط في دم الهرمزان وامساك عثمان عن عبيد الله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثمّ قال: ألا إنّي ولي دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر.

فقام المقداد بن عمرو فقال: إنّ الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله.

قال: فننظر وتنظرون. ثمّ اخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة وأنزله داراً، فنسب الموضع إليه (كويفة ابن عمر)[١].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤١.

وذكر ابن سعد حادثة الهرمزان وأنّ عبيد الله قتله وقتل معه ابنة أبي لؤلؤة وهي مسلمة، وأراد عبيد الله ألاّ يترك سبياً في المدينة إلاّ قتله، وأقسم على ذلك، فزجروه واشتدوا عليه، كما عرض بقتل بعض المهاجرين، فأخذوا سيفه وحبسوه.

وعن أبي وجزة، عن أبيه، قال: رأيت عبيد الله آنذاك وهو يناجي عثمان، وعثمان يقول له: قاتلك الله، قتلت رجلاً يصلّي وصبيّة صغيرة وآخر في ذمة رسول الله، ما في الحق تركك، قال: فعجبت لعثمان حين ولّي كيف تركه. وكان رأي عليّ والصحابة قتله بمن قتل[1].

كان عمل عثمان هذا خلافاً لصريح القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ...﴾[4].

حكم الجنابة عند عثمان

جاء في (صحيح مسلم): أنّ زيد بن خالد الجهني أخبر عطاء بن يسار أنّه سأل عثمان بن عفان: أرأيت إذا جامع الرجل أمرأته ولم يُمنِ؟ قال عثمان: يتوضّأ كما يتوضّأ للصلاة ويغسل ذكره.

قال عثمان: سمعته من رسول الله[5].

---

(١) انظر: تفصيل الحادثة في الطبقات الكبرى لابن سعد٥: ٨، ط ليدن.

(٢) البقرة : ١٧٨.

(٣) البقرة: ١٧٩.

(٤) البقرة: ١٩٤.

(٥) صحيح مسلم ١: ١٤٢.

بينما سئلت عائشة فقالت بوجوب الغسل باعتباره جنابة.

وهذا يعني ما أسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مكذوب عليه.

وفي (صحيح البخاري): سُئل عثمان بن عفان عن الرجل يجامع فلا ينزل؟ فقال: ليس عليه غسل.

ثمّ قال: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله. ونسب القول أيضاً إلى الإمام عليّ وطلحة والزبير وأبي بن كعب[(١)].

وقد وقع عمر بن الخطّاب في نفس المأزق، وقد ردّه الإمام علي عليه السلام ومنعه عن رأيه ذاك.

إذاً ما نسبه عثمان إلى علي عليه السلام فهو مكذوب عليه. وقد شهد الجميع على أنّ الإمام علياً عليه السلام أفقه الصحابة وأقضاهم وأكثرهم علماً وإيماناً.

وصريح الآية الكريمة: ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ﴾[(٢)].

ثمّ إنّ كتب الفقه عند فرق المسلمين تنصّ على الغسل من الجنابة وإنْ لم يكن فيه إنزال، بل يكفي التقاء الختانين[(٣)].

أكله الصيد وهو محرم

تكرّر من عثمان أكل الصيد وهو مُحرم، وهو عمل يخالف صريح القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري ١: ١٠٩.

(٢) النساء:٤٣.

(٣) انظر: كتاب الأم للشافعي ١: ٣١، وهامشه ص٣٤. تفسير القرطبي ٥: ٢٠٤، قال: الجنابة مخالطة الرجل المرأة. وصحيح البخاري ١: ١٠٨. صحيح مسلم ١: ١٤٢. مسند أحمد ٢: ٢٣٤ و ٣٤٧. موطأ مالك ١: ٥١. الترمذي ١: ١٦١.

(٤) المائدة:٩٦.

أخرج سعيد بن منصور ـ كما ذكره ابن حزم من طريق بسر بن سعيد ـ قال: إنّ عثمان بن عفان كان يصاد له الوحش على الجنادل ثمّ يذبح فيأكله وهو محرم سنتين من خلافته. ثمّ إنّ الزبير كلّمه فقال: ما أدري ما هذا يصاد لنا ومن أجلنا، لو تركناه، فتركه.

وهكذا تجد قريباً منه عند الإمام الشافعي والبيهقي والطبري وأحمد بن حنبل، وممّن شهد عثمان يأكل وهو حُرُم الإمام عليّعليه السلام وقد نهاه عن أكله فلم يمتنع، وقد رفض عليّ أن يأكل من ذلك الصيد.

وأغرب من ذلك اعتراض عثمان على الإمامعليه السلام، كان يقول له: إنّك كثير الخلاف علينا.

أمّا حرمة أكل لحم الصيد فهو متفق عليه عند فقهاء أهل السنة. راجع: أحكام القرآن للجصّاص٢: ٥٨٦. تفسير الطبري٧: ٤٨. المحلّى لابن حزم٧: ٢٤٩ و٢٥٠. تفسير القرطبي٦: ٣٢٢. الموطّأ لمالك١: ٢٥٧، وهكذا الصحاح والمسانيد فذكرها يطول.

ما أفتى به عثمان خلافاً للنص

من اجتهادات عثمان بن عفان إنّه أفتى بحلّية الجمع بين الأختين وقد جاء النصّ القرآني صريحاً بالتحريم، قال تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ... وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ...﴾[1].

فالآية تشمل الحرّة والأمة على حدٍّ سواء، والتحريم عليه إجماع الصحابة والمسلمين.

---

(١) النساء: ٢٣.

انظر: تفسير ابن كثير ١: ٤٧٣. تفسير الشوكاني ١: ٤١١. أحكام القرآن للجصّاص ٢: ١٥٨. وتفسير الدر المنثور للسيوطي ٢: ١٣٧. وتفصيل القصة في (الموطأ) لمالك ٢: ١٠.

الفصل العاشر

قـوله عليه السلام : « قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقـام معـه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن أنتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكَبَت به بطنته»

قوله عليه السلام:

«قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكَبَت به بطنته»

أشار عليه السلام إلى عمل عثمان في احتضانه بني أميّة وبني أبي معيط ونهب الأموال والصدقات والتلاعب بأرزاق الناس، حتّى أُثري عدد وافتقر الآخرون، وما ذاك إلاّ للتصريح الذي أولى به عثمان في تقسيم الأموال، حيث قال: (هذا مال الله أعطيه من شئت، وأمنعه عمّن شئت، فأرغم الله انف من رغم).

إنّها الصدقات والأخماس والفيء والزكوات وكافة الأموال من الذهب والفضة التي تجبى من أقصى الشرق والغرب، إنّها أموال المسلمين، وإذا تُقسّم بين صفوة الخليفة وبطانته من آل أميّة وآل أبي معيط ونسائه وخدمه، إنّها أموال المسلمين وهبها عثمان لنفرٍ من أقربائه ليعيشوا بها عيشة الملوك والسلاطين الجبابرة.

حاشية عثمان وبطانته وأركان دولته

من أهم الأمور التي ارتكبها عثمان في خلافته بعد مخالفاته العديدة لصريح القرآن والسنة الشريفة وسيرة أبي بكر وعمر، هي:

أوّلاً: استعمال الفسقة من بني أميّة وبني آل معيط وقد حملهم على رقاب المسلمين.

ثانياً: اقتطاع أموال الصدقات والفيء والخمس من بيت المال وإعطائها إلى شيوخ بني أميّة، كأبي سفيان، ومروان، والحكم، وأمثالهم.

ثالثاً: تعطيل الحدود كما مرّ في قصة عبيد الله بن عمر والهرمزان.

رابعاً: إهانته لجملة من كبار الصحابة كابن مسعود، وعمّار، والإمام علي عليه السلام، وأبي ذر، بل ونفى بعضهم[١] وضرب آخرين.

خامساً: إهانته لزوجات النبيّ ممّا دفع بعائشة أن تحرّض على قتله إذ قالت: اقتلوا نعثلاً فإنّه قد كفر.

وسوف نقتصر على بعض الشواهد لما أجملناه في الأمر الأول والثاني فحسب.

أولاً: استعمال عثمان الفسقة من بني أمية

من الدواعي المهمة في نقمة المسلمين على عثمان هو اتخاذه فسقة بني أمية عمّالاً وجباة وولاة وتسليطهم على رقاب الناس، نذكر منهم نموذجين:

النموذج الأول: الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي

وهو أخو عثمان من أمّه، كان أبوه عقبة ـ وأبو جهل وأبو لهب والحكم بن أبي العاص ـ من أشدّ وألد أعداء رسول الله في الجاهلية وهكذا في الإسلام.

وقد أغرى عقبة صديقه وخليله ألا وهو أُبي بن خلف أن يبصق في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ففعل[٢]، فنزلت فيه الآيات: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ

---

(١) الفتنة الكبرى، عثمان، د. طه حسين ص١٦٤ و١٦٥ و١٩٨، ط٩، دار المعارف بمصر.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١: ٣٦١، ط دار المعرفة بيروت.

أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا﴾[١].

انظر: تفسير الطبري ١٩: ٦. تفسير الزمخشري ٢: ٣٢٦. تفسير الخازن ٣: ٣٦٥. تفسر الرازي ٦: ٣٦٩. تفسير ابن كثير ٣: ٣١٧. تفسير القرطبي ١٣: ٢٥. الدر المنثور ٥: ٦٨.

كان عقبة ـ اللعين ـ وأبو لهب والحكم بن أبي العاص ممّن يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته[٢]، فكان أحدهم يطرح على الرسول صلى الله عليه وآله رَحِمَ الشاة وهو يصلّي.

وفي (طبقات) ابن سعد: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (كنت بين شرّ جارين؛ أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، وإذ كانا يأتيان بالروث فيطرحانه على بابي)[٣].

هذا عقبة بن أبي معيط الذي بصق في وجه النبيّ صلى الله عليه وآله فتوعّده رسول الله صلى الله عليه وآله إن ظفر به، وقد منّ الله على رسوله أن ظفر بعدو الله في أسرى بدر، ولم يكن ممّن قبل منه الفداء، فسلّمه النبيّ إلى عليّ ليضرب عنقه ففعل، ونزلت الآيات المتقدمة في حقّه. هذا شأن عقبة بن أبي معيط.

أمّا الوليد بن عقبة فهو الوليد الفاسق، كان على سرّ أبيه في العداء والفجور والكفر، وأسلم كرهاً، وبطن البغضاء والعداوة للإمام عليّ عليه السلام قاتل أبيه. وفي الوليد نزلت الآية الكريمة[٤]: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[٥]. وفي حق الوليد أيضاً نزلت الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٦].

---

(١) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٤١٦.

(٣) طبقات ابن سعد ١: ١٨٦، ط مصر.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٦٢. أسد الغابة لابن الأثير ٥: ٩٠.

(٥) السجدة: ١٨.

(٦) الحجرات: ٦.

فسق الوليد بن عقبة

روى أبو الفرج الأصبهاني بسنده عن قتادة الدوسي في قوله تعالى: ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ...﴾، قال: هذا ابن أبي مُعيط الوليد بن عُقبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بني المُصطلق مصدّقاً، فلمّا رأوه أقبلوا نحوه فهابهم، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره أنّهم قد ارتدّوا عن الإسلام، فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجل، فانطلق حتّى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلمّا جاؤوه أخبروه بأنّهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعجبه فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره[1].

وبسند عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أحدُّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة طعناً. فقال له عليّ عليه السلام: اسكت فإنّما أنت فاسق، فنزل القرآن: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُون﴾[2] [3].

وروى أبو الفرج بسنده عن أبي مريم الثقفي عن عليّ عليه السلام: إن امرأة الوليد بن عُقبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تشتكي الوليد، وقالت: إنّه يضربها؛ فقال لها: ارجعي وقولي: إنّ رسول الله قد أجارني، فانطلقت فمكثت ساعةً ثمّ رجعت فقالت: ما أقلَعَ عنيّ، فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله هُدبة من ثوبه ثمّ قال: امضي بهذا ثمّ قولي: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أجارني، فانطلقت فمكثت ساعةً ثمّ رجعت فقالت: يا رسول الله، ما زادني إلاّ ضرباً، فرفع يديه صلى الله عليه وآله وقال: اللّهم عليك الوليد، مرّتين أو ثلاثاً[4].

---

(١) الأغاني ٥: ١٤١.

(٢) السجدة: ١٨.

(٣) الأغاني ٥: ١٤٠.

(٤) الأغاني ٥: ١٤١.

وروى أبو الفرج بسنده عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه، قال: لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلاّ العبّاس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عُقبة، فأقبل الوليد يوماً فجلس، ثمّ أقبل الحكم فلمّا رآه عثمان زَحَل له عن مجلسه، فلمّا قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدري بيتان حين رأيتك آثرت عمّك على ابن أمّك.

فقال له عثمان: إنّه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟

قال: قلت:

رأيت لعمّ المرء زُلْفَى قرابة	دُوَين أخيه حادثاً لم يكن قُدْما
فأمّلتُ عَمْراً أن يَشبّ وخالدا	لكي يدعواني يوم نائبة عمَّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان.

قال: فرقّ له عثمان وقال له: قد ولّيتك العراق يعني الكوفة.

ولمّا ولّى عثمان الوليد بن عقبة الكوفة، قدمها وعليها سعد بن أبي وقّاص، فأخبر بقدومه، فقال: وما صنع؟

قال: وقف في السوق فهو يحدّث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذِن له، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه، فقال له سعد ما أقدمك أبا وهب؟

قال: أحببت زيارتك.

قال: وعلى ذلك، أجئتَ بريداً؟

قال: أنا أرزنُ من ذلك، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة، فمكث طويلاً ثمّ قال: لا والله، ما أدري أصَلُحتَ بعدنا أم فَسَدْنا بعدك! ثمّ قال:

خُذيني فجرِّيني جهاراً وأنشدي بلحم أمرىءٍ لم يَشهد اليوم ناصره

فقال: أما والله لأنا أَقْولُ للشعر وأروى له منك، ولو شئت لأجبتك، ولكنّي أدَعُ ذلك لما تعلم. نعم، والله قد أمرتُ بمحاسبتك والنظر في إمر عُمّالك، ثمّ بعث الى عمّاله فحبسهم وضيّق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم.

فقال: له أوَ للمعروف عندك موضع؟

قال: نعم والله. فخلّى سبيلهم.

قال العوّام بن حوشب: إنّه لمّا قدم على سعد قال له سعد: ما أدري أكِسْتَ بعدنا أم حُمقنا بعدك؟

فقال: لا تجزعنّ أبا إسحاق، فإنّما هو الملك يتغذّاه قوم ويتعشاه آخرون.

فقال له سعد: أراكم والله ستجعلونه مُلكاً[1].

هذا هو الوليد الذي نزل فيه قرآن، وقد ولاّه عثمان ابتداءً صدقات بني تغلب، ثمّ يولّيه أكبر مِصر في العالم الإسلامي، ألا وهي الكوفة، فيكون أميراً وحاكماً وإليه تجبى الأموال من شرق البلاد وغربها، وإماماً يقتدى به في الصلاة، وإليه يرجع الناس في فتاواهم وأمورهم الدينية والدنيوية.

جرائم الوليد بن عقبة

وهي كثيرة نذكر منها:

١ـ أنّه سلب بيت مال المسلمين في الكوفة مرّات عديده، أوّلها أخذ منه مائة ألف دينار، فيعترضه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود القائم على بيت مال الكوفة، ويصرخ بالمسلمين ويذهب إلى عثمان في المدينة فيشتكي عنده. ولكن

---

(١) الأغاني ٥: ١٢٤.

ليس لـه إذن صاغية، بل يرى عثمان أنّ هذا تحدّياً وتجاوزاً على شرف بيت آل معيط وآل أمية، وعلى ابن مسعود أن يُؤدّب؛ لأنّه تجاوز حدود السلطة، بل إنّ توبيخه وتعنيفه بات أمراً مسلّماً من الخليفة، فقال لـه: وما أنت والمطالبة؟! وهل أنت إلاّ خازن لنا؟!

فما كان من الصحابي عبد الله بن مسعود إلاّ أن يطرح المفاتيح قائلاً: كنت أظن أنّي خازن للمسلمين، وأمّا أنا خازن لآل أميّة وآل بني معيط فلا حاجة لي إلى ذلك[1].

٢ـ من جرائم الوليد أنّه تجاهر بشرب الخمر بكرة وقبل صلاة الصبح، ثمّ أتى مسجد الكوفة وأمَّ المسلمين وصلّى بهم والخمر تفوح من فمه وتدور برأسه، وقد صلّى بهم الصبح أربعاً، وتلا عليهم في القنوت هذا البيت:

ملك القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

حتّى إذا فرغ من صلاته خاطبهم: هل أزيدكم؟

ثمّ تقيأ في المحراب، ممّا حمل عليه المسلمون يرمونه بالحصا، فلم يجد بدأً من الفرار حتّى هرع فاراً والحصباء تلاحقه إلى بيته.

في ذلك يقول الحطيئة الشاعر جرول بن أوس العبسي:

تكلّم في الصلاةِ وزادَ فيها عَلانيةً وجاهرَ بالنفاقِ

ومجَّ الخمرَ في سننِ المصلّى ونادى والجميعُ إلى افتراق

أزيدكم على أن تحمدوني فما لكم ومالي من خلاقي[2]

(١) العقد الفريد ٢: ٢٧٢. الأنساب للبلاذري ٥: ٣٠.

(٢) الأغاني ٥: ١٢٥.

وذكر بعض المؤرخين أنّه كان يقول الوليد في ركوعه ذاك وسجوده: اشرب واسقني[١].

ونقل بعضهم أنّه قال: أزيدكم؟ بعد أن صلّى صلاة الصبح أربعاً، فقال له ابن مسعود: لا زادك الله خيراً ولا من بعثك إلينا.

وأخذ فردة خفّه وضرب به وجه الوليد، وحصبه الناس فهرب وهو مترنح إلى القصر والحصباء تأخذه.

وفي هذا نقرأ الأبيات الآتية للحطيئة:

شَهِدَ الحطيئةُ يومَ يلقى ربَّهُ   أنّ الوليدَ أحقُّ بالغدرِ

نادى وقَدْ نَفَدَتْ صلاتهُمُ   أأزيدُكم ثَمِلا وَمَا يَدري

ليزيدهم خَيراً وَلَو قبلوا   منهُ لزادَهُم على عشرِ

فَأَبَوا أبا وهبٍ وَلَو فَعَلُوا   لقرِنَت بَينَ الشفع والوتر

حَبَسوا عنانك أن جَرَيت ولو   خلّوا عنانك لَم تَزَل تجري

أمّا المسلمون فيستشيطوا غضباً، فتقدم الوفود إلى المدينة شاكية تطلب من عثمان عزل واليه ابن عقبة، غير أنّ عثمان يضرب الشكاة وينكّل بالشهود، فتعلو الصرخات من كلّ زاوية، بل وحتّى زوجات النبي والصحابة الذين هم إلى عثمان أقرب قد اعترضوا على عثمان أشدّ الاعتراض، فهذا طلحة والزبير وعائشة وغيرهم يواجهون الخليفة بشدّة كي يعاقب الوليد، فيضطر إلى عزله... لكن يحاول أن يصرف عنه الحد، إلاّ أنّ الصحابة ـ وفي مقدّمتهم

---

(١) تاريخ أبي الفداء: ١٧٦.

الإمام علي عليه السلام ـ يصرّون على إقامة الحد على الوليد، ولم يتصدَّ لهذا إلاّ أمير المؤمنين علي عليه السلام[١].

قال أبو الفرج: أخبرني محمّد بن خلف وكيع، قال: قال حمّاد بن إسحاق: حدّثني أبي قال: ذكر أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي، قالوا: كان الوليد ابن عقبة زانياً شرِّيب خمر، فشرب الخمر وقام ليصلّي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثمّ التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟

وتقيّأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته: عَلِقَ القلب الرّبابا.

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان، فأخبروه وشهدوا عليه بشُرِبه الخمر، فأُتي به فأمر رجلاً بضربه الحدّ، فلمّا دنا منه قال له: نشدتُك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه. فخاف عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يعطّل الحدّ، فقام إليه فحدّه، فقال له الوليد: نشدتك بالله وبالقرابة، قال له عليّ: اسكت أبا وهب، فإنّما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود، فضربه وقال: لَتدعُوَنّي قريش بعد هذا جلاّدها[٢].

فهل ينتهي عثمان عن محاباة الوليد؟

كلاّ، فإنّ الرحم والعصبية الجاهلية فوق كلّ شيء عند الخليفة عثمان، فبعد هذا كلّه يستعمله على صدقات كلب وبلقين، وكأنّ الإسلام خلا من الصحابة الغيارى والمؤمنين الأمناء غير هذا الفاجر فيستعمله على الصدقات!

وفي الوليد بن عقبة ـ لمّا تشاجر مع علي عليه السلام نزلت فيه الآيات تصرّح بفسقه وإيمان علي عليه السلام ـ أنشد حسان بن ثابت شعراً قال فيه:

أنــزل الله والكــتاب عزيــز ... فــي علــيّ وفــي الولــيد قــرانا

---

(١) انظر: تفصيل الحادثة في العقد الفريد ٢: ٢٧٣. الأغاني ٥: ١٢٥. فتح الباري ٧: ٤٤. مسند أحمد ١ : ١٤٤. سنن البيهقي ٨: ٣١٨. تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٢.

(٢) الأغاني ٥: ١٢٦.

فتـبوّا الولـيد إذ ذاك فـسقاً وعلـي مـبوّأ إيمانـا

لـيس مـن كـان مؤمناً عمرك الـ ـله كمـن كـان فاسـقاً خـوّانا

سـوف يدعـى الولـيد بعد قليل وعلـي إلـى الحـساب عَـيَانَا

فعلـي يجـزى بـذاك جـناناً ووليد يجـزى بـذاك هـوانا

ورُبّ جَـد لعقـبة بـن أبـان لا بـسّ فـي بلادنـا تـبّانا

النموذج الثاني: من ولاة عثمان أخوه من الرضاعة

ولّى أخاه ابن أبي سرح الفاسق المرتد مصراً، وهو عبد الله بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة، ارضعتهما الأشعرية فكان السبب في قربه إلى عثمان.

نشأ هذا نشأة أموية، فهو في خُلُقه وسلوكه وسيرته وعدائه للنبي وللإسلام ولأهل البيت لا يختلف قيد أنملة عن آل أبي معيط وبني أمية.

سيرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح

١ ـ أسلم قبل الفتح.

٢ ـ هاجر إلى المدينة.

٣ ـ ارتدّ وعاد إلى أحضان الشرك في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ ـ عاد إلى مكة وهو أشد بغضاً وعداءً على الإسلام ونبيه الأكرم.

٥ ـ افترى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى المسلمين.

٦ ـ أهدر النبيّ صلى الله عليه وآله دمه ـ لمّا فتح مكة ـ ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.

٧ ـ نزلت في هذا اللعين آيات من الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللهُ**﴾[1].

---

(١) الأنعام: ٩٣.

أجمعت المصادر التاريخية وكتب التفاسير على أنّ هذه الآية نزلت في شأن (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) لمّا كانت له من سابقة الكفر ثمّ إسلامه ثمّ ارتداده وافتراءاته على الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

انظر: تفسير الرازي ٤: ٩٦. تفسير القرطبي ٧: ٤٠. تفسير البيضاوي ١: ٣٩١. تفسير الخازن ٢: ٣٧. تفسير الزمخشري ١: ٤٦١. تفسير الشوكاني ٢: ٣٣. تفسير النسفي على هامش تفسير الخازن ٢: ٣٧.

انظر إلى هذا المرتد الكافر الذي نزل فيه قرآن وقد هدر النبي دمه، غير أنّ عثمان ـ أخاه في الرضاعة ـ يستأمنه ويستوهبه من النبي، والنبي لم يجبه حتّى كرّر ذلك مرّات عديدة، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله ينتظر من يقوم إليه فيقتله، لكن جَبن الذين من حواليه حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنّما صمتُّ كي تكون الحجّة لمن ينفذ أمري في هدر دمه قبل ائتمانه»، فقال رجل من الأنصار: لو أومأت إليّ يا رسول الله، فقال: «إنّ النبيّ لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين»**.

وعليك بالتفصيل من مصادر القوم: أنساب البلاذري ٥: ٤٩. سنن أبي داود ٢: ٢٢٠. الاستيعاب: لابن عبد البر ١: ٣٨١. أسد الغابة ٣: ١٧٣. تفسير الشوكاني ٢: ١٣٤. الإصابة ٢: ٣١٧.

ولم يكتفِ ابن عفّان بهذا المقدار من جرائم هذا الفاسق المرتد، بل يُدنيه ويقرّبه فيولّيه ثغراً من ثغور المسلمين وهو مصر أفريقيا العظيمة، ويقدّم له في ما قدّمه من الهدايا والمنح الكثيرة وجميع الصدقات والزكوات وما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا من مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب دون أن يشاركه أحد، بل هي طعمة سائغة قدّمها عثمان لأخيه المرتد، وهي تربو على خمسمائة ألف دينار، ويُحرم من هذه الأموال العظيمة كافة الفقراء والمساكين ومن له حق فيها!

وإذا جاءه معترض ليعترض قال له: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه عمّن شئت رغم أنف من أبى واعترض[١].

كان هذا التصرّف السمج والتلاعب بأموال المسلمين من الأسباب المهمة في نقمة أهل مصر على ابن أبي سرح وعثمان الذي ولاّه، فلم يجد أهل مصر مخرجاً من هذا المأزق إلاّ الشكوى لعلّها تصلح من شأن تلك الأوضاع الفاسدة، فجاؤوا إلى عثمان يشكونه ممّا فرّط به ابن أبي سرح، فأرسل عثمان كتاباً إلى واليه ظاهره فيه التوبيخ، ولكن سرعان ما ألحقه بكتاب خلاف ذلك ينشد فيه التعذيب والتنكيل بأولئك النفر الذين قدموا إلى المدينة يحملون شكوى أخوانهم المصريين إلى عثمان.

وتكرّرت هذه الحالة، وفي المرة الأخيرة أخذ ابن أبي سرح الشكاة فأوسعهم ضرباً وتنكيلاً، ونال بعضهم حتفه على يد هذا الفاسق، ممّا توجّه عدد غفير من الشكاة يربو عددهم على السبعمائة شخص إلى عثمان والصحابة في المدينة وأرغموا عثمان على عزل واليه وإلاّ يقتل.

هذا يسير من كثير في محاباة عثمان لبني أميّة واستعمال الفسقة منهم.

ثانياً: اقتطاع أموال بيت المسلمين لأقربائه

السبب الثاني في الإجهاز على عثمان وقتله على يد المسلمين هو تلاعبه بالأموال والصدقات وما يرد عليه من الفيء وتقسيمه بين بطانته وأبناء عمومته والمقرّبين له من بني أميّة وآل معيط، نذكر منهم عدة نماذج:

---

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٢٦. تاريخ ابن كثير ٧: ١٥٢. شرح نهج البلاغة ١: ٦٧. وأسد الغابة لابن الأثير ٣: ١٧٣.

النموذج الأول: الحكم بن أبي العاص

الحكم هو عمّ عثمان، كان من ألد أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله في مكة قبل الهجرة، وكان أحد الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله، وممّن يعيبه ويستهزئ منه ويغمزه، حتّى دعى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله مرة حينما كان يغمزه، وقال صلى الله عليه وآله: «**اللّهم اجعل به وزعاً**»، فرجف مكانه وارتعش وظلت هذه الرعشة معه إلى آخر يوم من حياته.

قدم المدينة بعد فتح مكة واستمر في غمزه للنبيّ صلى الله عليه وآله، وقد هدّده النبيّ على سلوكه ذلك فلم يمتنع حتّى قال صلى الله عليه وآله: «**مَن عذيري من هذا الوزغ اللعين**». ونفاه وولده جميعاً إلى الطائف.

كان يتظاهر بالإسلام ويبطن الكفر والفسق والنفاق، ويحاول أن يلعب دوراً مع المشركين والمنافقين للوقيعة بالإسلام، ولطالما كاد للإسلام وللنبي صلى الله عليه وآله، وما كان ذلك ليخفى على النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى لعنه وطرده ونفاه إلى الطائف مع ولده.

انظر: أُسد الغابة لابن الأثير الأثير ٢: ٣٤، وفي الأنساب للبلاذري ٥: ٢٧ ورد أنّ الحكم كان يؤذي النبي في مكة وهو أحد جيرانه.

أمّا اللعن: ورد لعن الحكم وولده على لسان النبي صلى الله عليه وآله في مصادر عديدة، منها: المستدرك للحاكم النيسابوري ٤: ٤٨١، وجاء فيه: أنّ رسول الله لعن الحكم وولده. وفي كنز العمال للمتقي الهندي ٦:٩٠ ورد فيه: عن عبدالله بن الزبير،شهد أنّ الرسول لعن الحكم وما ولد.

وممن أكّد لعن النبيّ للحكم وولده جملة من أصحاب التفاسير والسير.

انظر: تفسير القرطبي ١٦: ١٩٧. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٥. نهاية ابن الأثير ٣: ٢٣. أُسد الغابة ٢: ٣٤. تفسير الكشّاف للزمخشري ٣: ٩٩. تفسير الرازي ٧: ٤٩١.

وممّن روى اللعن: ابن حجر في تطهير الجنان على هامش الصواعق ص ١٤٤، عن عمرو بن مرّة، قال: استأذن الحكم على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرف صوته، فقال:

«ائذنـوا لـه، لعنةُ الله ومن يخرج من صلبه إلاّ المؤمنين منهم وقليل ما هم، ذو مكر وخديعة، يعطون الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق».

أخرجه البلاذري في الأنساب ٥: ١٥٦، ونقله في السيرة الحلبية عن الواقدي ١: ٣٣٧.

وفـي الحَكَـم قالت عائشة لمروان: سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدّك أبي العاص بن أُمية: **«إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن»**.

تفسير الآلوسي ١٥: ١٠٧. تفسير الشوكاني ٢: ٢٣١. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. الدر المنثور للسيوطي ٤: ١٩١.

وفـي تفسر القرطبي ١٠: ٢٨٦: أنّ عائشة قالت لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، وأنت بعض من لعنه الله، ثمّ اردفت قائلة: والشجرة الملعونة في القرآن.

النموذج الثاني: عطايا عثمان لمروان

اتّضح قبل قليل أنّ مروان كان أحد الملعونين على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله، فهو ابن الحكم بن أبي العاص، وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لكن العجب من عثمان أن يطلب من النبيّ صلى الله عليه وآله أن يشفع له! فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله واستمر على طلبه ذاك من أبي بكر وعمر فرفضا طلبه.

وإذا بعثمان في خلافته يتعدّى كلّ هذه الحدود غير آبه بالقرآن الكريم، ولا بالسنة، ولا بسيرة الشيخين، إذ يستجيب للعصبيّة القبلية فيأتي بعمّه الحكم بن أبي العاص وبنيه الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وطردهم من المدينة، بل وقدّم لهم الأموال وسلّطهم على رقاب المسلمين، وقدّم ابنته زوجة لألد خصوم الإسلام، الطريد ابن الطريد مروان بن الحكم.

من هبات عثمان لابن عمه مروان

١ ـ أقطع فدكاً لمروان بن الحكم، وكانت فدك صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله منحها لابنته فاطمة عليها السلام.

انظر: كتاب المعارف لابن قتيبة، ص ٨٤ تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٨.

٢ ـ أخرج ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢: ٢٦١: وافتتح عثمان أفريقيا وأخذ خمسها ووهبه لمروان. وانظر: شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٧.

٣ ـ وهب صدقات أفريقيا وما جبي له من الفيء والزكوات إلى مروان بن الحكم.

٤ ـ إعطاؤه استحقاق قضاعة كلها لمروان.

موقف مروان في يوم الجمل

عن أبي مخنف، لمّا تضعضع أهل الجمل قال مروان: لا أطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم، فانتحى له بسهم فأصاب ساقه، فقطع أكحله، فجعل الدم يبضّ، فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: أما من مكان أقدر فيه على النزول، فقد قتلني الدم، فقال له مولاه: أُنجُ وإلاّ لحقك القوم، فقال: بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتّى انتهى إلى دارٍ من دور البصرة فنزلها ومات بها.

ولا تعجب في مصرع طلحة أنّه أُخذ بدعاء أمير المؤمنين عليه السلام، قال عليه السلام: في خطبته يوم الجمل: واعجباً لطلحة، ألبّ الناس على ابن عفان حتّى إذا قُتل أعطاني صفقته بيمينه طائعاً ثمّ نكث بيعته، اللّهم خُذه ولا تُمهله...[1].

النموذج الثالث: هبات عثمان لسعد بن أبي وقاص

كان سعد بن أبي وقاص والي عمر بن الخطّاب على الكوفة إذ هو الذي مصّرها، وهو أحد أعضاء الشورى الستة، وصهر عبد الرحمن بن عوف. أثرى سعد من الأموال والإبل ما لا يعدّ، يقول فيه صاحب (الطبقات) ترك سعد يوم

(١) سفينة البحار ٥: ٣٢٥.

مات مائتي ألف وخمسين ألفاً من النقود. وأشاد المسعودي بداره بالعقيق.

روى سعد بن أبي وقاص وأبناؤه عن أبيهم حديث المنزلة، بل روى في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة، وهذا يعني أنّ سعداً كان يعرف مكانة الإمام علي عليه السلام عند الله وعند رسوله، وما له من سابقة في الإسلام ومناقب ما لا يمكن إحصاؤها، ومع ذلك كان منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام سواء في سقيفة بني ساعدة أو يوم الشورى، أو عند بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان. وهو الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة أمام الناس: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟

فأجابه عليه السلام: أنّ تحت كلّ شعرة شيطاناً.

وسعد هذا الذي روى عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله لعلي عليه السلام: ثلاث فضائل: حديث المنزلة، والراية، والمباهلة ثم قال سعد: فلئن يكون لي منهن أحبَّ إليّ من حمر النعم.

ذكر مسلم: أنّ معاوية أمر سعد بن أبي وقاص أن يسبّ علياً ـ أبا تراب ـ فذكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى**»، وقوله صلى الله عليه وآله: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله**»، وقوله تعالى: ﴿**... نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾.

كلّ هذه الفضائل وغيرها يرويها سعد بن أبي وقاص، ولكنه اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبايعه.

النموذج الرابع: هبات عثمان للزبير

كان الزبير زوج أسماء بنت أبي بكر، وله حظوة عند عائشة؛ لأنّها أخت زوجته والحانية على أولاده كعبد الله، حيث استطاعت عائشة أن تغذّيه البغض لعلي عليه السلام فجعلته مثلها من ألد الخصوم.

والزبير بن صفية بنت عبد المطلب وكان مع عليّ في يوم الشورى، ثمّ انقلب عليه وركن إلى عثمان لهباته وعطاياه ثمّ غدر به، فكان هو وطلحة من المؤلّبين على عثمان حتّى قتل، ثمّ كانا في مقدّمة الذين بايعوا علياً بالخلافة لكنّهما نكثا بيعته وجهّزا الجيوش لحربه، فكانت واقعة الجمل.

إنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام دعا الزبير يوم البصرة وذكّره بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال له: «**تحاربه وأنت له ظالم...**»، فيتذكر الزبير ويترك الحرب، فيعود ابنه ـ ربيب عائشة في سلوكه وعنصره ـ عبد الله يعيّره بأنّه إنّما خاف علياً.

إنّه الزبير ابن عمة عليّ، وعلي ابن خال الزبير، ترى كيف عاقبة كلّ منهما؟!

هذا الزبير استحوذ على أموال وفيرة وعطايا جمة ابتزّها من بيت مال المسلمين، وهبها له عثمان، لكن ليس من ماله الخاص بل هي أموال الفقراء والمساكين من المسلمين، حتّى بلغت نقوده عشرات الملايين، ودوره العشرات، وضياعه هنا وهناك في شرق البلاد وغربها.

قال البخاري: كان عنده ـ الزبير ـ من المال خمسون ألف ألف ومائتا ألف، أي خمسون مليوناً ومائتا ألف.

وجاء في كتاب الجهاد: خلّف إحدى عشرة داراً بالمدينة، وداربن بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر[١].

وفي (شرح البخاري) و(فتح الباري)، و(إرشاد الساري)، و(عمدة القارىء): أنّ الصواب إنّ ما يملكه الزبير من المال كان تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف[٢].

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٢١.

(٢) شذرات الذهب ١: ٤٣.

وأضاف ابن سعد في طبقاته: كان يملك الزبير في مصر بالإسكندرية وفي الكوفة في كلّ منهما خططاً، وله دور في البصرة، وله ضياع تفيض عليه الغلاة في اعراض المدينة[1].

وأخرج المسعودي: أنّ الزبير خلّف ألف فرس، وألف عبد، وألف أمة، وخططاً[2].

وهل اكتفى الزبير بهذا المال الوفير؟ كلا، بل كان يتمنّى الولاية والتسلط على رقاب الناس.

فهل يروق للزبير أن يسمع كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لمّا ولّي الخلافة، حيث قال: «**إنّ من ابتز مالاً من بيت مال المسلمين أو منحه إياه عثمان أكثر من حقّه عليه أن يعيده ويحاسب عليه**».

لهذا نرى الزبير يتّفق مع طلحة فينكثان البيعة، ويخرجان على حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ويؤلّبان الناس على وصي رسول الله وخليفته بالحقّ.

فكانت حرب الجمل، وقد أصبح فيها الزبير مدجّجاً بالسلاح، فناداه أمير المؤمنين: «**يا زبير، أخرج إليّ**»، فخرج شاكّاً في سلاحه، فقال له علي عليه السلام: «**ويحك يا زبير، ما الذي أخرجك؟**».

قال: دم عثمان.

قال عليه السلام: «**قتل الله أولانا بدم عثمان، أمّا تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضحكت أنت معه فقلت أنت: يا رسول الله، ما يدع عليّ زهوه. فقال لك: ليس به زهو، أتحبّه يا**

---

(١) طبقات ابن سعد ٣: ٧٧.

(٢) مروج الذهب ١: ٤٣٤.

زبير؟ فقلت: إنّي والله لأحبّه. فقال لك: إنّك والله ستقاتله وأنت لـه ظالم؟».

فقال الزبير: استغفر الله، لو ذكرتها ما خرجت.

فقال عليه السلام: «**يا زبير، ارجع**».

فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان، هذا والله العار الذي لا يُغسل.

فقال عليه السلام: «**ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار**».

فرجع الزبير قائلاً:

اخترتُ عاراً على نار مؤجّجة ... ما إن يقوم لها خلقٌ من الطين

إلى آخر الأبيات.

فقال ابنه عبد الله: اين تدعنا؟

فقال يا بني: أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته.

فقال: لا والله، ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنّها طوال حداد تحملها فتية أنجاد.

قال: لا والله، ولكنّي ذكرت ما أنسانيه الدهر، أبالجبن تعيّرني لا أبا لك، ثمّ أمال سنانه وشدّ في الميمنة، فقال علي عليه السلام: «**افرجوا لـه**»، ثمّ رجع فشدّ في الميسرة، ثمّ رجع فشدّ في القلب، ثمّ عاد إلى ابنه فقال: أيفعل هذا جبان؟

ثمّ مضى منصرفاً حتّى أتى وادي السباع والأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم، فلحق الزبير نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير إلى الصلاة، فقال: أتؤمّني أو أؤمّك؟

فأمّه الزبير، فقتله عمرو في الصلاة، وكان لـه من العمر خمس وسبعون سنة.

أقول: وعاقبة الزبير كانت على إثر دعاء أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال فيه: «**وإن الزبير نكث بيعتي وقطع رحمي وظاهر على عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت**»[١].

---

(١) سفينة البحار ٥: ٣٢٥ ط، دار الأسوة قم.

النموذج الخامس: هبات عثمان لطلحة

هو طلحة بن عبيد الله التيمي، ابن عم عائشة بنت أبي بكر وأقرب الناس إليها.

كانت رغبة عائشة في طلحة أن يتم أمر الخلافة إليه بعد عمر، وقد عاضدته على الانتقام من عثمان، فجاء تأليبهما للإطاحة بحكمه والثورة عليه حتّى قتل.

وقد حاول طلحة أن يستولي على بيت مال المسلمين في المدينة وعثمان في الحصار حتّى توسّل عثمان بعلي، فقال: إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي. فجاء عليّ وفتح بيت المال وقسّمه على مستحقّيه.

وفي طلحة يقول عثمان حينما كان يحرّض على قتله وهو محاصر في بيته: ويلي على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحرّض على قتلي.

عن البلاذري: أنّ عثمان أوصل طلحة مائتي ألف دينار.

وأخرج ابن الجوزي: أنّ طلحة خلّف ثلاثمائة جمل ذهباً، وكان لطلحة ما لا يحصى من الدور والضياع في مختلف البلاد.

وقال ابن عبد ربّه: إنّهم وجدوا في تركة طلحة ثلاثمائة بهار من ذهب وفضة.

وقد ورد عن سفيان بن عيينة وإبراهيم بن محمّد بن طلحة وسعدى أم يحيى ابن طلحة عمّا تركه طلحة من النقود من الذهب والفضة ما يفوق الملايين.

انظر تفصيل هذا وغيره في: أنساب البلاذري ٥: ٧. مروج الذهب ١: ٤٣٤. العقد الفريد ٢: ٢٧٩. طبقات ابن سعد ٣: ١٥٨، ط ليدن. الرياض النضرة ٢: ٢٥٨.

روي أنّه لمّا كتب أبو بكر وصيّته في عمر وأرسلها بيد رجلين ليقرآها على الناس، قالا للناس: هذا ما كتبه أبو بكر، فإن قبلتموه نقرأه وإلاّ نردّه.

فقال طلحة: اقرآه وإن كان فيه عمر.

فقال لـه عمر: من أين عرفت ذكري فيه؟

فقال طلحة: ولّيته بالأمس وولاّك اليوم[١]!

النموذج السادس: هبات عثمان للحارث بن الحكم

الحارث بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان، وهو وأبوه وأخوته كانوا مطرودين من قبل النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف، وهو من تلك الشجرة الملعونة.

عاد من الطائف إلى المدينة مع أبيه وأصبح صهراً لعثمان على ابنته عائشة، ونال من عطاياه ما كان لجميع المسلمين الحق فيه.

وَهَبَ لـه عثمان من بيت مال المسلمين ثلاثمائة ألف درهم. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٥٢.

ووهَبَ لـه إبل الصدقات، وهي حقوق المسلمين من الفقراء والمساكين كما في الأنساب للبلاذري ٥: ٢٨.

ووهَبَ لـه ما تصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله من سوق جهروز على كافة المسلمين كما في (المعارف) لابن قتيبة ص ٨٤، وشرح ابن إبي الحديد ١: ٦٧، ومحاضرات الراغب ٢: ٢١٢.

النموذج السابع: هبات عثمان لعبد الله بن خالد الأموي

عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، وهو صهر عثمان على ابنته.

كتب لـه عثمان بستمائة ألف درهم يأخذها من مال المسلمين، وكان على بيت المال عبد الله بن عامر خازنه في البصرة[٢].

---

(١) شرح المقاصد ٢: ٢١٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٥.

وقيل: إنّ عبد الله بن خالد قدم على عثمان ومعه ناس غزاة، فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف درهم، ولكل رجل ممّن معه بمائة ألف درهم بصك إلى خازن بيت المال في المدينة وهو عبد الله بن الأرقم، فأبى هذا إعطاءهم ذلك من بيت المال واستكثر المبلغ لهم وامتنع أن يدفع لهم المال، فوبّخه عثمان بقوله: فما منع أن تدفع ذلك لهم، وما أنتَ إلا خازن لنا؟

فأجابه ابن الأرقم: إنّما كنتَ أحسب نفسي خازناً للمسلمين لا خازنك أنت، وما خازنك سوى غلامك، والله لا أليَ لك بيت المال أبداً، وأتى بالمفاتيح وعلّقها على المنبر.

وقيل: أوكل بيت المال إلى معيقيب بن فاطمة وبعث إلى ابن الأرقم بثلاثمائة ألف درهم فأبى أخذها[١].

النموذج الثامن: عبد الرحمن بن عوف الزهري واستحواذه على المال

كان عبد الرحمن الزهري صهر عثمان، وهو أحد الستة من الشورى، والذي هدّد علياً بالقتل إنْ لم يبايع لعثمان، وهو الذي أشار إليه عمر بن الخطّاب قبل موته، قال: إذا اجتمع ثلاثة وخالف ثلاثة فالخليفة مَن كان فيه رأي عبد الرحمن. وهو الذي صفق على يدي عثمان وخاطبه: السلام عليك يا أمير المؤمنين. إنّه كان مبغضاً للإمام عليّ عليه السلام، وهكذا صهره سعد بن أبي وقاص.

اقتنى عبد الرحمن الزهري أمولاً طائلة فأثرى ثراءً واسعاً، فكان له من الإبل والغنائم والخيل والأراضي والذهب والفضة ما لا يطيق أحد عدّها أو إحصاءها.

قال اليعقوبي: إنّه طلّق إحدى نسائه الأربع، وبعد موته ادّعته بالإرث فورّثها

---

(١) الأنساب للبلاذري ٥: ٥٨.

عثمان من ربع الثمن ما يساوي مائة ألف دينار، وهذا يعني أنّه كان يملك من النقد فقط ما يناهز ثلاثة ملايين دينار.

وقال المسعودي: إنّ عبد الرحمن ابتنى داراً ووسعها، وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً[١].

عرفت في ما سبق كيف حابى عبد الرحمن الخليفة عثمان وما ذاك إلاّ للسببين:

الأول: البغض لعلي عليه السلام وبني هاشم.

الثاني: الطمع بعرض الدنيا وما يقدّمه عثمان له ولصهره سعد بن أبي وقاص من العطاء الجزيل والهبات، حتّى قيل: إنّ الذهب الذي تجمّع عند عبد الرحمن بعد مماته كان يكسّر بالفؤوس.

بل إنّه كان يحابيه اليوم طمعاً أن يحابيه عثمان بالخلافة، لكن سبحان الله، لم تدم هذه المحاباة حتّى كانت بينهما البغضاء والخشونة والاعتراض والنقد، حتّى تعكّر الصفو بين عبد الرحمن وعثمان، فكان كلّما عاد إلى عثمان بلائمة غضب عليه وإذا به يتّهمه بالنفاق، وإذا به يطرده، وإذا به يمنع التحدث إليه، ويهجره.

ثمّ تصير الأمور أن يأتي عبد الرحمن إلى الإمام عليّ فيطلب منه أن يجرّد سيفه، وهو أول تابع له على عثمان. ولكن هيهات هيهات، فقد وصل السيل الزُبى.

وقد أصبح عبد الرحمن أكثر ندماً لمّا نُفي أبو ذر إلى الربذة وقد مات هناك وحيداً غريباً، فتذاكر مع عليّ في فعل عثمان، فقال له عليّ عليه السلام: هذا عملك، فيجيبه عبد الرحمن: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنّه خالف ما أعطاني...

---

(١) انظر: مروج الذهب ١: ٤٣٤. تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٦. الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ٢: ٢٩١. صفوة الصفوة لابن الجوري ١: ١٣٨. طبقات ابن سعد ٣: ٩٦.

قال الواقدي: ما كان من أصحاب محمدﷺ أشدّ على عثمان من عبد الرحمن بن عوف حتّى مات، ومن سعد بن أبي وقاص حتّى مات عثمان. وروي أنّه ضجّ الناس يوماً حين صلّوا الفجر في خلافة عثمان، فنادوا بعبد الرحمن بن عوف فحوّل وجهه إليهم واستدبر القبلة ثمّ خلع قميصه من جيبه، فقال: يا معشر أصحاب محمّد، يا معشر المسلمين، أُشهد الله وأُشهدكم أنّي قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا.

فأجابه مجيب من الصف الأوّل: ﴿**الآن وقد عصيتَ قبلُ وكنت من المفسدين**﴾[1].

فنظروا مَن الرجل فإذا هو عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

تركة عثمان بن عفان

لنختتم هذه الأرقام من سيرة بني أميّة بزعيم القوم عثمان بن عفان، تقول المصادر: يوم قتل عثمان خلّف ضياعاً كثيرة ودوراً وحُليّاً وأبنية ونقوداً ـ من الذهب والفضة ـ والإبل والمواشي والإماء والمماليك ما لا يعدّ !!

وقد نُقل أنّ ما نهب من أمواله التي كانت عند خازنه ثلاثون ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، وألف بعير، وما يساوي من الصدقات في براديس وخيبر ووادي القرى بقيمة مائتي ألف دينار، وكان له ألف مملوك.

وقد عرفت الهبات والعطايا التي منحها لقومه، فقد بلغ ما أعطاه لخمسة عشر نفراً فقط: أربعة ملايين ونصف المليون دينار ومائة وسبعة عشر مليون درهماً، فهي بعض النقود التي اقتطعها من بيت مال المسلمين ثمّ وهبها للحكم وأولاده،

---

(١) يونس: ٩١.

وابن أبي سرح، وأبي سفيان، والوليد، ويعلى، وزيد بن ثابت، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص.

هذا وغيره من السلب والنهب دعا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلى الله عليه وآله لمّا بويع بالخلافة أن يبتدئ سيرته وعمله السياسي بقوله: «**ألا إنّ كلّ قطيعة اقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء...**».

كان هذا إنذاراً خطيراً لأمثال طلحة بن عبيد الله، ويعلى بن أميّة، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان، وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص، وسعيد بن العاص، والحارث بن الحكم بن أبي العاص، وأمثالهم من بني أميّة وبني أبي معيط. ثمّ بدأ عليه السلام يسترجع أموال المسلمين إلى بيت المال، غير أنّ هذه العدالة لا يرتضيها أرباب الأطماع، فجميع بني أميّة وآل معيط وجدوا أنّ الأمر يعنيهم، وهذا الخطر محدق بهم، وأنّ يد العدالة لابد من أن تلاحقهم، لذا وجدوا خير سبيل لهم هو إثارة الفتن بين الناس وشنّ الحرب على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته بالحقّ، فكانت حرب الجمل، ثمّ تبعتها حرب صفين، وأخيراً حرب النهروان، ولم يمهلوه في تطبيق تلك العدالة المنشودة حتّى فجعوا المسلمين بقتله في ليلة القدر من سنة (٤٠ هـ).

ثالثاً: تعطيل الحدود

لقد ذكرنا بعض الموارد، منها: قصة عبيد الله بن عمر ومقتل (الهرمزان)، فكان ينبغي على عثمان بن عفان أن يأخذ عبيد الله بدم الهرمزان إلاّ أنّه لم يفعل، وقد مرّ الكلام في الصفحات المتقدمة فراجع.

وأمّـا الأمـر الـرابع[١] والخامس[٢] فقد مرّت الإشارة إليهما في الصفحات السابقة فراجع.

(١) إهانة عثمان لكبار الصحابة.

(٢) إهانة عثمان لبعض زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله كعائشة.

الفصل الحادي عشر

قوله عليه السلام: «فما راعني إلا والناس كعرف الضبُعِ إليّ ينثالون عليّ من كُلّ جانب»

قوله عليه السلام:

«فما راعني إلا والناس كعرف الضبُعِ إليَ ينثالون عليَ من كُلَ جانب»

في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في كتاب (الجَمل): أنّ الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله لينظروا من يولّونه أمرهم حتّى غصّ المسجد بأهله، فاتفق رأي عمّار وأبي الهيثم ابن التيهان ورفاعة بن رافع وسالك بن عجلان وأبي أيوب على إقعاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، وكان أشدّهم تهالكاً عليه عمّار، فقال لهم: أيّها الأنصار، قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إنْ لم تنظروا لأنفسكم، وأنّ علياً عليه السلام أولى الناس بهذا الأمر؛ لفضله وسابقته.

فقالوا حينئذٍ بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين: أيّها الناس، إنّا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله، وإنّ علياً عليه السلام من قد علمتم، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه ولا أولى به.

فقال الناس بأجمعهم: قد رضينا، وهو عندنا على ما ذكرتم وأفضل.

وقاموا كلهم فأتوا علياً عليه السلام فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها، فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على ورودها حتّى كاد بعضهم يقتل بعضاً، فلمّا

رأى ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس، وقال عليه السلام: **«إن كرهني رجل واحد لم أدخل في هذا الأمر»**.

فنهض الناس معه حتّى دخل المسجد، فكان أول من بايعه طلحة.

فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوّفت ألاّ يتمّ أمره؛ لأنّ أول يد بايعته شلاّء.

ثُمّ بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة إلاّ محمّد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقّاص، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن سلاّم.

فأمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال: بايع.

قال: لا أبايع حتّى يبايع جميع الناس.

فقال له عليّ عليه السلام: فاعطني حميلاً ألاّ تبرح.

قال: لا أعطيك.

فقال الأشتر له عليه السلام: إنّ هذا قد أمن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه.

فقال عليه السلام: لست أريد ذلك منه على كره، خلّوا سبيله، لقد كان صغيراً وهو سيء الخلق، وهو في كبره أسوء خلقا.

ثُمّ أتى بسعد بن أبي وقّاص فقال له: بايع.

فقال سعد: خلّني، فإذا لم يبقَ غيري بايعتك، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً.

فقال عليه السلام: صدق، خلّوا سبيله.

ثُمّ بعث على محمّد بن مسلمة، فلمّا أتاه قال له: بايع.

قال: إنّ النبيّ أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ أن أخرج بسيفي فاضرب عرض أُحد، فإذا تقطع أتيت منزلي فكنت فيه لا أبرحه حتّى تأتيني يد خاطفة أو منية قاضية.

فقال عليه السلام له: فانطلق إذاً فكن كما أمرت به.

ثُمّ بعث إلى أُسامة بن زيد فلمّا جاء قال له: بايع.

فقال له: إنّي مولاك ولا خلاف منّي عليك، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس. فأمره بالانصراف.

ولم يبعث إلى أحد غيرهم.

وقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام؟

فقال عليه السلام: لا حاجة لنا في مَن لا حاجة له فينا.

أقول: والذين تخلّفوا عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام هم:

١ـ سعد بن أبي وقّاص.

٢ـ عبد الله بن عمر.

٣ـ أُسامة بن زيد.

٤ـ محمّد بن مسلمة.

٥ـ زيد بن ثابت.

٦ـ حسان بن ثابت (الشاعر).

٧ـ مروان بن الحكم بن أبي العاص.

٨ـ عبد الله بن الزبير بن العوام.

٩ـ وُلدُ عثمان بن عفان.

١٠ـ مسلمة بن مخلد.

١١ـ سعيد بن العاص.

١٢ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

١٣ـ جماعة كانوا في دار عثمان يوم الحصار.

١٤ـ سفهاء بني أميّة وما أكثرهم.

١٥ـ أبو سعيد الخدري.

عـن زيد بن أسلم قال: جاء طلحة والزبير إلى عليّ وهو متعوّذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا: ابسط يدك نبايعك، فإن الناس لا يرضون إلاّ بك.

فقـال لهمـا: لا حاجـة لـي فـي ذلـك، لأن أكون لكما وزيراً خير من أن أكون لكما أميراً، فليبسط من شاء منكما يده أبايعه.

فقـالا: إنّ الـناس لا يؤثـرون غيرك، ولا يعدلون عنك إلى سواك، فابسط يدك نبايعك أول الناس، فامتنع عليهم، إلاّ بحضور الجميع في المسجد.

فقـالا: بـل نـبايعك هاهـنا ثُـمّ نـبايعك في المسجد، فبايعاه أوّل الناس، ثُمّ بايعه الـناس على المنبر أوّلهم طلحة بن عبد الله وكانت يده شلاّء، فصعد المنبر فصفق على يده. ثُمّ نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما[١].

في كلام لأمير المؤمنينعليه السلام يعني به الزبير: ذلك **«يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يـبايع بقلـبه، فقـد أقـرّ بالبـيعة وادعى الوليجة، فليأتِ عليها بأمر يعرف وإلاّ فليدخل في ما خرج عنه»**[٢].

والمقـصود من العبارة هو الزبير بن العوام، وهو ابن صفيّة، وصفية عمّة رسول اللهصلى الله عليه وآله وعمّة أمير المؤمنينعليه السلام، وكان الزبير صهراً لأبي بكر، وأسماء بنت أبي بكر كانت زوجته.

لمّـا قـتل عـثمان وبايـع الـناس لأمـير المؤمنينعليه السلام كان طلحة والزبير أوّل مَن

(١) انظـر: أنـساب الأشـراف ص٢٠٥. تـاريخ الطبري ٤: ٤٢٨. العقد الفريد ٤: ٣١٠. تذكرة الخواص: ٥٧. الكامـل في التاريخ ٣:١٩٠. تاريخ مختصر الدول: ١٠٥. المغني ٢٠: ق٢، ص٦٦. الفتوح لابن أعثم ١٢: ٤٣٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٨

بايع، وكان الإمام علي عليه السلام يقول للزبير: أنّي لخائف أن تغدر بي وتنكث بيعتي. قال: لا تخافن، فإنّ ذلك لا يكون منّي أبداً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فلي الله عليك بذلك راعٍ وكفيل. قال: نعم، الله لك علي راع وكفيل.

فلمّا كان بعد أيام ندم من ذلك لما حدثت نفسه بالخلافة، وكان يقول: بايعت علياً بيدي لا بقلبي، وتارة يقول: أُكرهت على البيعة، وتارة يقول: واريت تورية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا إقرار منه بالبيعة، وادعاء إنّه لم يبايع بقلبه لم يقم عليه دليلاً، فأمّا أن يقيم دليلاً على ما ادّعى أو يعود إلى طاعتي؛ لأنّ من بايع لغيره لا يجوز أن يأخذ لنفسه البيعة. والزبير بايع علياً ثُمّ أعرض وعرّض نفسه في معرض الخلافة وكتب إلى معاوية: (أمّا بعد، فإنّ الناس قد قتلوا عثمان وبايعوني، فإذا أتاك كتابي فبايع لي أنت وأشراف أهل الشام).

فلمّا قرأ معاوية كتب في جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، أما بعد، فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا، فدونك الكوفة والبصرة وبها كنوز الرجال وعين الخلافة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، وقد بايعت لطلحة بن عبد الله من بعدك، وطلحة هو ابن عم لأبي بكر، فاظهر الطلب بدم عثمان وادع الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير.

فلمّا وصل الكتاب إلى الزبير أعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا على خلاف عليّ عليه السلام بعدما بايعا له.

وأوّل خلافهما أن جاءا إلى عليّ عليه السلام وطلبا منه أن يولّيهما المصرين البصرة والكوفة.

فقال عليه السلام: ارضيا بقسم الله تعالى لكما واعلما إنّي لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته، فدخلهما اليأس، فاستأذناه للخروج إلى مكة للعمرة.

فقال عليه السلام: ما العمرة تريدان، وإنّما تريدان الغدرة، ونكث البيعة. فحلفا له بالله أنّهما ما يريدان غير العمرة.

فقال لهما: أعيدا البيعة لي ثانية، فاعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق. فأذن لهما، فلمّا خرجا من عنده قال عليه السلام لمن كان حاضراً: والله لا ترونهما إلاّ في فتنة يقتتلان فيها.

قالوا: يا أمير المؤمنين، أأمر بردّهما.

قال عليه السلام: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولمّا خرجا من المدينة لم يلقيا أحداً إلاّ وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة، وإنّما بايعناه مكرهين.

فبلغ علياً عليه السلام قولهما، فقال: أبعدهما الله وأغرب دارهما، أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم. والله لا يلقيانني بعد اليوم إلاّ في كتيبة خشناء يقتلان فيهما أنفسهما، فبعداً لهما وسحقاً.

فكان كما قال؛ لأنّ علياً هاجر إلى الكوفة وبايع أهل الكوفة له، وما مضت إلاّ أيام قلائل حتّى سارت عائشة من مكة إلى البصرة ومعها الزبير وطلحة وهم يطلبون بدم عثمان. وخرج علي عليه السلام إليهم مع أصحابه فكانت وقعة الجمل.

حرية الانتخاب

لم يمارس المسلمون عملية الانتخاب الحرّ في تعيين الخليفة الحاكم إلاّ في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان النص على خلافته لا يشك فيه إلاّ المتخرّصون، ومع كلّ ذلك فلم يستطع المسلمون أن يدلوا بأصواتهم اتجاه الخليفة الأول والثاني والثالث، بل إنّها جاءت على رغم الأنوف.

فأمير المؤمنين عليه السلام أعاد الحريات المصادرة والمغتصبة إلى المسلمين بعد أن سلبها القوم بُعيد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي مقدمة تلك الحريات:

١ـ حرية الرأي والتعبير.

٢ـ حرية الامتناع عن البيعة.

٣ـ حرية نقد الحكومة.

٤ـ حرية نقد الحاكم.

٥ـ حرية السؤال والمحاورة.

٦ـ حرية التعلم والرواية.

٧ـ حرية التنقل والهجرة من بلد إلى آخر.

فلم يستعمل عليه السلام القوة ولا السيف ولا الضرب ولا القيود ولا حرق البيوت في من امتنع عن بيعته، فهذا عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد، ومحمّد بن مسلمة، قد تخلّفوا عن بيعته، واستأذنه عمّار بن ياسر أن يأتي بهم ليجبرهم على البيعة كما جرت سنّة الخلفاء الثلاثة من قبل، فقال عليه السلام لعمّار: دعْ عنك هؤلاء الرهط الثلاثة ؛ أمّا ابن عمر فضعيف في دينه، وأمّا سعد ابن أبي وقّاص فحسود، وأمّا محمّد بن مسلمة فذنبي إليه أنّي قتلت قاتل أخيه مرحباً يوم خيبر[1].

ولم يمنع عطاء أحد ممّن خالفه في رأي أو في سياسة، بل كان يجري التقسيم بين المسلمين على السويّة ولا يفرّق في العطاء بين مَن هو محبّ له أو مبغض.

---

(١) المعيار والموازنه للأسكافي: ١٠٨.

أقول: عبارة أمير المؤمنين واضحة البيان، فليس هناك ذنب، وهذا في علم البلاغة يسمى (مدح بما يشبه الذم) فكان ينبغي على محمّد بن مسلمة أن يقابل صنيع الإمام بالإحسان، وأقله كان عليه أن يبايع أمير المؤمنين كسائر المسلمين ومع ذلك لم يفعل.

كما انّه عليه السلام لم يجبر أحداً من المسلمين على الحرب معه، بل ندبهم إلى نصرته، فخفّ إليه من استجاب له دعوته، وترك من تخلف عنه، وقد عاتبهم على سوء فعلهم ذلك ليس إلاّ.

في من نكث بيعته عليه السلام

أجمعت كتب التاريخ على أنّ طلحة والزبير هما أوّل من بايع الإمام علياً أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، وكانا يطمحان بالإمارة، إلاّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّهما شيئاً من ذلك، فنكثا بيعتهما وخرجا عليه وقادا عائشة في حرب الجمل التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين.

وفي ذلك قال عليه السلام: **«اللّهم إنّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبّا الناس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما»....**

روى المدائني عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي عليه السلام، فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله إذ نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلّى على رسول الله ثُمّ قال: **«أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذْ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذليل،فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس. وأيم الله لو لا مخافة فرقة المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه، فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً، ثُمّ استخرجتموني ـ أيها الناس ـ من بيتي فبايعتموني على شنآن منّي لأمركم،**

وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أول مَن بايع - تعلمون ذلك- وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم. اللّهم فخذهما بما عملا أخذة رابية، ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقل لهما عثرة، ولا تمهلهما فواقاً، فإنّهما يطلبان حقاً تركاه، ودماً سفكاه. اللّهم إنّي اقتضيك وعدك فانّك قلت وقولك الحق: ولمن بغى عليه لينصرنه الله. اللّهم فأنجز لي موعدك ولا تكلني إلى نفسي، إنّك على كلّ شيء قدير»[١].

وفي طلحة والزبير لما نقضا البيعة

قال أبو جعفر الأسكافي: ثُمّ بعث عليّ عليه السلام بعمّار بن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد فأتاهما فدعاهما، حتّى جلسا إلى عليّ عليه السلام فقال لهما: نشدتكما الله، هل جئتماني طائعين لبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟!

قالا: نعم.

فقال عليه السلام: غير مجبرين ولا مقسورين، فاسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟!

قالا: نعم.

قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟!

قالا: أعطيناك بيعتنا على ألاّ تقضي الأمور ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كُلّ أمر، ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، وأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

---

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد المعتزلي) ١: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

فقال عليّ عليه السلام: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما. ألا تخبرانني أدفعتكما عن حقّ واجب لكما فظلمتكما إيّاه؟

قالا: معاذ الله.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟

قالا: معاذ الله.

قال: أفوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟

قالا: معاذ الله.

قال: فما الذي كرهتما من أمري حتّى رأيتما خلافي؟

قالا: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم، إنّك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسوّيت بيننا وبين ما لا يماثلنا في ما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسراً ممّن لا يرى الإسلام إلاّ كرها.

فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنّكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فخفت أن أردّكم فتختلف الأمة، فلمّا أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاّني عليه واتبعته ولم احتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما.

وأمّا القسم والأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادىء بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وأمّا قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بأسيافهم ورماحهم فلا فضّلهم رسول

الله صلى الله عليه وآله في القسمة ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما ـ والله ـ عندي ولا لغيركما إلاّ هذا. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر»[1].

قوله عليه السلام: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة...»

قال أبو جعفر الأسكافي المعتزلي: فلمّا بلغه عليه السلام مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: «قد سارت عائشة والزبير وطلحة، وكلّ يدّعي الأمر دون صاحبه، يطلبه طلحة؛ لأنّه ابن عمّ عائشة، ولا يرى الزبير إلاّ أنّه أحق بالخلافة؛ لأنّه خَتنُ عائشة!

فو الله، لئن ظفروا بما يريدون ـ ولا يرون ذلك أبداً ـ ليضربنّ طلحة عنق الزبير، والزبير عنق طلحة. تنازعا شديداً على الملك.

والله إن راكبة الجمل لا تصعد عقبة ولا تنزل منزلاً إلاّ إلى معصية الله وسخطه حتّى تورد نفسها ومَن معها متالف الهلَكة، يُقْتَلُ ثُلثُهم، ويُهزم ثلثهم، ويتوب ثلثهم. والله، لتنبحها كلاب الحوأب، فهل يعتبر معتبر أو يتفكّر متفكر؟!

والله، إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنّهما مخطِئان وما يَجهلانِ، ولرُبَّ عالم قتلهَ جهلُه وعلمه معه لا ينفعه.

فتدبّروا ـ رحمكم الله ـ هذه الأنباء، ففيها التبيان والشفاء، وتفهّموا ما يَرِدُ عليكم من الهُدى، ولا يذهبنّ عنكم صفحاً لتعلموا أنّ أموره مبنيّة على يقين متقدّم، وعلم ثاقب، وحجّة بالغة، لا يهن عند الشدائد ولا يفتر عند النوازل،

---

(١) رواه ابن عقده، ونقله الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي في أواخر أماليه، وأبو جعفر الأسكافي في المعيار والموازنة: ١١٢.

أمـره في التقدم والبصيرة أمر واحد، لا يضجع في القول، ولا يفتر عند الإقدام، ولا يفـرّق بـين حالـه أيام النبي ﷺ وبين هذه الحال في الجهد والاجتهاد، والقـوّة والعـزم والبصيرة في جميع أموره، فلاحظوا أحواله لتعلموا أنّ أعماله مبنـيّة علـى أسـاس اليقـين، وأموره ماضية على البصيرة في الدين، وأنّ هذه الأفعال لا يبيّنها إلاّ علم نافذ، وأن أموره لا تتسق ولا تتفق إلاّ لمن اعتمد على الثقة والمعرفة، وأيّد بالنصر من الله والملائكة».

ثُـمّ يعقّـب الأسـكافي فـيقول: هـذه روايـتكم ظاهرة مكشوفة في ماء الحوأب بأسـانيدكم عـن الـشَّعبي، عـن ابـن عـبّاس، قال: طرقت عائشة وطلحة والزبير ماء الحـوأب ومـن معهـم لـيلاً ـ وهـو مـاء لبنـي عامـر بـن صعصعة ـ فنبحتهم كلاب الحوأب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال: قائل لعن الله أهل الحوأب ما أكثَر كلاَبهم.

قالت عائشة: أي ماء هذا؟

فقال محمّد بن طلحة وعبد الله بن الزبير: هذا ماء الحوأب.

فقالـت عائشة: والله لا صحبتكم، ردّوني ردّوني، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كأنّـي بكـلاب مـاء يدعـى الحـوأب قد نبحت على امرأة من نسائي وهي في فئة باغية»**، ثُمّ قال: **«لعلّك أنت يا حميراء»**، قالت: ثُمّ دعا علياً فناجاه بما شاء. ردّوني.

فقال لها الزبير: مهلاً يرَحمك الله، يراك الناس والمسلمون فيصلح الله ذات بينهم.

وقال طلحة: ليس هذا بحين رجوع.

ثُمّ جاء عبد الله بن الزبير فقال: ليس هذا ماءَ الحوأب، وحلَفَ لها على ذلك.

قالت: وهل من شاهد يشهد على أنّ هذا ليس ماءَ الحَوأب؟

فأقامـوا خمـسين رجـلاً مـن الأعـراب يشهدون أنّه ليسَ ماءَ الحَوأب، وجعلوا لهم جُعْلاً، وكانت أوّل شهادة زور أقيمت في الإسلام[1].

---

(١) المعيار والموازنة: ٥٣ ـ ٥٦، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، ط ١، ١٩٨١.

بيان بعض الحقائق تخص الناكثين

يطالعنا في هذه الخطبة المباركة ما رسمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إبلاغه الناس حقائق كانت قد خفيت على الكثير منهم، من تلك الحقائق:

أولاً: أنّ طلحة والزبير كُلّ منهما يَطلُب الأمر والرياسة لنفسه، فهما مجتمعان في الظاهر مختلفان في الباطن.

ثانياً: أنّهما إن ظفرا بالسلطة ـ ولا يظفران بها ـ فسوف يضرب أحدُهما عُنُقَ الآخر، وسوف يتسابقان إلى الغدر.

ثالثاً: صرّح أنّ خروج عائشة خروج معصية، وفي ذلك معصية لله والرسول.

رابعاً: أنّ مسير عائشة مع طلحة والزبير سوف يوردهم الهلكة.

خامساً: أنّ القوم يفلت منهم ثلثهم، ويقتل مثلهم، ويتوب آخرون وهو الثلث الناجي.

ولمّا علم الناس أنّ الحرب واقعة وأمير المؤمنين خارج لقتال الناكثين لا محالة قال عقبة بن عمر يستعطف الإمام بأبيات فيها من الرقة والعاطفة ما لا يخفى:

بكت الأرضُ والسماءُ على الشّا ... خص منّا يريدُ أهلَ العراق

يا وزير النبيِّ قد عظُمَ الخطْـ ... ـبُ وطَعْمُ الفراق مُرّ المذاق

وإذا القومُ خاصَموكَ فقومٌ ... ناكسو الطرف خاضعو الأعناق

لا يقولون إذْ تقولُ وإنْ قُلْـ ... ـتَ فقوْلُ المُبرّز السّباق

فعُيون الحجاز تذرفُ بالدَّمـ ... ـمع وتلكَ القلوبُ عند التّراقي

فعليكَ السّلامُ ما ذَرَّت الشمـ ... ـشُ ولاحَ السَّرابُ بالرَّقراق[1]

وفي هذا الجو المضطرب ينصح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الناكثين ويحذّرهم

---

(١) أمالي الطوسي: ٧١٦.

هـول المطّلع، ويـبعث برسـائله إلـى طلحـة والزبيـر وعائـشة. وقد أرّخَ حكيم بن مناف هذه الصور، إذ كان يواكبها بنفسه فقال:

أبـا حـسن أيقظـتَ مَـن كان نائماً ... ومـا كلُّ مَنْ يُدعى إلى الحقِّ يسمعُ

وما كلُّ مَنْ يُعطى الرضا يقبل الرضا ... ومـا كـلُّ مَـنْ أعطيتَه الحقَّ يقنعُ

وأنت أمرؤ أُعطيتَ من كُلّ وجهة ... محاسـنَها واللهُ يُعطـي ويمـنعُ

ومـا مـنك بالأمـر المـؤلّم غلظـةٌ ... ومـا فـيك للمـرء المخالف مطمعُ

وإنّ رجـالاً بايعـوكَ وخالفـوا ... هُداك وأجروا في الضلال فضيّعوا

لأهـلٌ لتجْـريد الـصوارم فـيهمُ ... وشـمر العوالـي والقـنا تتزعـزعُ

فإنّـي لأرجـو أنْ تـدورَ علـيهم ... رحى الموتِ حتّى يسكنوا ويصرّعوا

وطلحـةُ فـيها والزبيـر قـرينه ... ولـيس لمـا لا يدفـع الله مدفـعُ

فـإنْ يمـضيا فالحرب أضيقُ حلقةً ... وإن يرجعا عن تلك فالسلم أوسع

ومـا بايعـوه كارهـين لبـيعة ... ومـا بسطت منهم إلى الكره إصبعُ

ولا بطـيا عـنها فـراقاً ولا بـدا ... لهـم أحـدٌ بعـد الـذين تجمّعـوا

على نقـضها ممّـن لـه شدّ عقدها ... فقـصراهما مـنه أصـابعُ أربـعُ

خـروج بـأُمِّ المؤمنـين وغـدرهم ... وعيب على من كان في القلب أشجعُ

وذكـرهمُ قـتلَ ابـن عفّـان خدعةً ... وهـم قـتلوه والمخـادعُ يُخـدعُ

فعـودُ علـيٍّ نـبعة هاشـمية ... وعودُهما في ما هما فيه خروعُ[1]

---

(١) انظر: الجمل: ١٧٧ مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٧٩.

حرب الجمل

قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج): برز علي عليه السلام يومَ الجمل ونادى بالزبير: يا أبا عبد الله، مراراً، فخرج الزبير، فتقاربا حتّى اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي عليه السلام: إنّما دعوتك لأذكّرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبّه؟ قلتَ: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي! فقال: أما إنّك ستحاربه وأنت ظالم له. فاسترجع الزبير وقال: أذكرتَني ما أنسانيه الدهر. ورجع إلى صفوفه.

فقال له عبد الله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به.

فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر، فلا أحاربه أبداً، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبد الله: ما أراك إلاّ جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنّها لسيوف حداد تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: ويلك، أتهيجني على حربه؟ أما أنّي قد حلفت ألاّ أحاربه.

قال: كفّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنّك جبنت، وما كنتَ جَباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حرّ كفارة عن يميني، ثُمّ أنصل سنان رمحه ـ أي انتزعها ـ وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لا سنان له. فقال علي عليه السلام: أفرجوا له، فإنّه مُحْرج، ثُمّ عاد إلى أصحابه، ثُمّ حمل ثانية، ثُمّ ثالثة، ثُمّ قال لابنه: أجُبناً ويلك ترى؟

فقال: لقد أعذَرْتَ.

وفي شأن الزبير وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ذكّره به أمير المؤمنين قال ابن العوام أبياتاً وهو راجع ومصمّم على ترك القتال:

نـادى علـيّ بأمـر لـستُ أنكـرُهُ وكـان عَمرُ أبيك الخير مُذ حين
فقلتُ حسبك من عذل أبا حَسَن بعضُ الذي قلتَ مُنذ اليوم يكفيني
تـرْكُ الأمـور التي تخشى مَغبّتها والله أمـثلُ فـي الدنيا وفي الدين
فاختـرتُ عـاراً على نار مؤجّجة أنّـى يقـومُ لها خَلْقٌ من الطين (١)

ولمـا اعتزل الزبير الحرب وادبر عن الجيش سالكاً وادي السباع، إذْ مرّ بعسكر الأحـنف بـن قيس وهو يومئذ معتزل الفريقين، فأُخبر الأحنف بمرور الزبير، فقال رافعاً صـوته: ما أصنع بالزبير؟! لفّ غارين ـ جيشين ـ من المسلمين حتّى أخذت السيوف منهما مأخذها انسل وتركهم، أما إنّه لخليق بالقتل، قتله الله، فلحقه عمرو ابـن جـرموز وكان فاتكاً حتّى سايره بعض الطريق إلى أن حضرتهم الصلاة، فقام خلفـه ثُـمّ شـدّ علـيه فقـتله وأخـذ سيفه وخاتمه ورجع بهما إلى الأحنف فأخبره، فقـال: والله ما أدري أسأتَ أم أحسَنت؟ اذهَب إلى عليعليه السلام فاخبره، فجاء عمرو ابن جرموز إلى أمير المؤمنينعليه السلام وناوله سيف الزبير، فقال فيه الإمامعليه السلام: سيف طالما جَلى به الكربَ عن وجه رسول اللهصلى الله عليه وآله.

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقـال: أمـا إنّـي سـمعت رسـول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «**بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار**»، وكان كما قالصلى الله عليه وآله، إذ خرج ابن جرموز مع المارقين في النهروان فقتل معهم.

أمّا الزبير فقد عرفت عاقبته؛ فهو في الأمس يؤلّب الناس على عثمان بن عفان مع صاحبه طلحة وعائشة واليوم يقف بصف الناكثين ضد الإمام أمير المؤمنينعليه السلام.

وقال ابن جرموز لمّا بُشّر بالنار:

---

(١) شرح النهج (ابن أبي الحديد) ١: ٢٣٣.

أتــيتُ علــياً بــرأس الــزبيــ ـــر أبغــي بــه عــندَهُ الــزّلفَهْ
فَبَــشَّر بالــنار يــوم الحــساب فبئــست بــشارةٌ ذي الــتُحفَهْ
فَقلــتُ لَــهُ إنّ قــتلَ الــزبيــ ـــر لَـولا رضـاكَ مـنَ الكُلْفَـهْ
فَـإنْ تـرض ذاكَ فَمـنكَ الرّضـا وإلا فَــدُونَك لــي حَلْفَــهْ
وربُ المحلّــين والمحــرمين وربّ الجماعـــة والأُلفَـــه
لَــسيّانَ عــندي قَــتْلُ الزبيــر وَضَــرْطةُ عنــز بــذي الجُحفَــه

قوله عليه السلام: «وقسط آخرون»

القاسطون هم: معاوية، وعمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة، وأبو العادية الفزاري، وأبو جوني السكسكي، وذو الكلاع، ومَن والاهم، وأهل الشام.

اجتمعت كلمة هؤلاء على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، فساروا حتّى نزلوا صفّين؛ موضع على الفرات من الجانب الغربي بطرف الشام، وكان مسير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إليهم من الكوفة إلى صفّين لخمس خلون من شهر شوال سنة ستّ وثلاثين من الهجرة، وكان معه من الجيش سبعون ألفاً، وعدة جيش أهل الشام خمسة وثمانين ألفاً، وقيل: غير ذلك.

وكانت الحرب في يوم الأربعاء أول صفر سنة سبع وثلاثين، وقد قتل بصفّين من أهل الشام سبعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً.

وممّن قتل واستشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام في يوم صفّين: عمّار بن ياسر، وكان صحابياً وقد جاوز التسعين من عمره، وقبره بصفّين. كان شجاعاً سخياً جواداً وأديباً شاعراً مفلقا. اشترك في قتله أبو العادية الفزاري إذ طعنه برمحه، وقام عنده أبو جوني السكسكي ليحتز رأسه. ولما سقط عمّار على الأرض استسقى فأتي بلبن في قدح، فلمّا رآه كبّر ثُمّ شربه وقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«**آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن، وتقتلك الفئة الباغية**»، فهذا آخر أيّامي.

وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول اللهﷺ لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية. وذو الكلاع هذا كان من رؤساء عسكر أهل الشام، وكان ستون ألفاً من الفرسان تحت إمرته، فقال لعمرو بن العاص: ويحك، نحن الفئة الباغية، وكان في شك من ذلك، فيقول عمرو: إنّه سيرجع إلينا.

واتفق أنّه أصيب ذو الكلاع يوم أُصيب عمّار، فقال عمرو بن العاص: لو بقي ذو الكلاع لمال بعامّة قومه ولأفسد علينا جندنا.

واحتجَ رجلان في صفّين في سلب عمّار وفي قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص يتحاكمان إليه، فقال: ويحكما، اخرجا عنّي، فإنّ رسول اللهﷺ قال: «**أولعت قريش بعمّار، وعمّار يدعوهم إلى الجنّة، وهم يدعونه إلى النار**».

ولما كثر القتل بين الصفّين، قال أمير المؤمنينعليه السلام لكميل بن زياد: سِرْ إلى معاوية وقل له: دعوناك إلى الطاعة والجماعة فأبيت وعندت، وقد كثر القتل بين المسلمين أبرز إليّ حتّى تخلص الناس مما هم فيه. فلمّا أدّى كميل رسالة عليّعليه السلام قال معاوية لقومه: ما تقولون؟ فنهوه عن ذلك إلا عمرو بن العاص فإنّه قال: قد أنصفك، وإنّه بشر مثلك، فعيّره معاوية وقال: ما هذه العداوة، أتظن أنّي إن قتلت تنال الخلافة والسلطنة؟

فقال عمرو: مازحتك.

فقال معاوية:

ولقد رجعت وقلت مزحة مازح والمزح يحمله مقال الهازي

فأنشد عمرو بن العاص في جواب معاوية:

معاوي إنْ نكلت عن البراز لك الويلات فانظر في المخازي

معاوي ما اجترمت إليك ذنباً ... وما انا بالذي حدثت هازي

وما ذنبي بأن نادى عليّ ... وكبش القوم يُدعى للبراز

فلو بارزته بارزت ليثاً ... حديد الناب يخطف كُلّ باز

أضبعٌ في العجاجة يابن هند ... وعند الباه كالتيس الحجازي

فانصرف كميل وأخبر علياً عليه السلام بما جرى، فتبسّم عليّ عليه السلام، وضحك الأشتر.

وفي (مناقب الخوارزمي): كان معاوية على تل مع وجوه قريش ينظر إلى عليّ عليه السلام يقتل كُلّ مَن بارزه، فقال معاوية: لقد دعاني عليّ إلى البراز حتّى استحييت من قريش.

فقال أخوه عتبة بن أبي سفيان: دع عنك هذا كأن لم تسمعه، فقد علمت أنّه قتل حريثاً وفضح عمراً وقتل كُلّ من برز إليه، وإنّما يقوم مقامك بسر بن أرطاة.

فقال بسر: ما كان أحد أحق بمبارزته من ابن حرب، فأمّا إذا أبيتموه فأنا له.

وكان لبسر ابن عم فقال:

فأنت يا بسر إن كنت مثله ... وإلاّ فإنّ الليث للضبع آكل

كأنّك يا بسر بن أرطاة جاهل ... بشدّاته في الحرب أو متجاهل

متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

ومن بعده في آخر الخيل عاطف ... وما قبله في اول الخيل حامل

فقال بسر: خرج مني شيء فإنّي استحي أن أرجع عما قلت، فغدا بسر إلى المعركة فرأى علياً عليه السلام في أول الخيل منقطعاً عن خيله مع الأشتر وهو يريد التل ويقول:

أنا عليّ فاسألوني تخبروا ... ثم ابرزوا لي في الوغى وأبدروا

سيفي حسام وسناني أزهر ... منا النبي الطاهر المطهر

فاستقبله بسر قريباً من التل فطعنه عليّ عليه السلام وهو لا يعرفه إنّه بسر، فانحنى سيفه بيده فصرعه عليّ عليه السلام على وجهه فانكشفت عورته، فانصرف عنه عليّ عليه السلام، فناداه الأشتر: يا أمير المؤمنين، إنّه بسر بن أرطاة، فقال عليه السلام: دعه. فحمل ابن عم بسر على عليّ عليه السلام فحمل الأشتر عليه وهو يقول:

أكلَّ يومٍ رجلٌ شيخ شاغره   وعورة وسط العجاج ظاهره

وطعنه الأشتر فكسر صلبه، وقام بسر من ضربة عليّ عليه السلام وولّى فرسه، وناداه أمير المؤمنين عليه السلام: يا بسر، كان معاوية بهذا أحق منك.

وفي ذلك يقول النضر بن حارث:

أفي كلّ يوم فارس تندبونه   له عورة وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه علي سنانه   ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه   وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا   سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

أقول: إنّ وقائع صفّين كثيرة وسردها يطول، وليس نحن بصددها، وقد ذكرنا مقتطفات منها في كتابنا (الأدب السياسي في صدر الإسلام)، فراجع[1].

---

(١) الأدب السياسي: ٢١١ ـ ٢٤٤.

الفصل الثاني عشر

قوله عليه السلام: «ومرقت أخرى...»

قوله عليه السلام: «ومرقت أخرى...»

المارقون هم الذين مرقوا من دين الله واستحلّوا القتال من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسمّوا بالخوارج لأنّهم كانوا في جند العراق مع أمير المؤمنين ولمّا كانت وقعة صفّين وكاد معاوية ينهزم أشار عمرو بن العاص برفع المصاحف، وهي الحيلة التي انخدع بها قوم من جند العراق واصرّوا على قبول التحكيم، وأمير المؤمنين عليه السلام يحذّرهم من هذه الخدعة فلم يقبلوا نصيحته، وكادوا يقتلونه أو يسلمونه إلى معاوية إن لم يقبل التحكيم، فقبله مكرها والسيوف مشهورة عليه، ثُمّ اختاروا أبا موسى الأشعري للتحكيم وأمير المؤمنين عليه السلام اختار لهم ابن العبّاس فلم يرضوا به.

ولمّا رجع جند العراق من صفّين شعر القوم بالخذلان والخسران، فخرج من بينهم اثنا عشر ألفاً وهم الذين أناخوا في موضع اسمه النهروان من أرض العراق على بُعد أربعة فراسخ من بغداد، وكان على رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية.

لمّا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حُنين ـ وقيل: غنائم هوازن ـ أقبل رجل طويل من آدم بين عينيه أثر السجود فسلّم ولم يخصّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ثُمّ قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم.

فقال صلى الله عليه وآله: وكيف رأيت؟

قال: لم أرك عدلت.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ويلك، إذا لم يكن العدل عندي فعند مَن يكون؟

فقال المسلمون: ألا نقتله؟

فقال صلى الله عليه وآله: دعوه فإنّه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحبّ الخلق إليه من بعدي. فقتله أمير المؤمنين عليه السلام في من قتل يوم النهروان من الخوارج[1].

وعن شريك بن شهاب قال: كنت أتمنّى أن ألقى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثني عن الخوارج، فلقيت أبا برزة في يوم عرفة في نفر من أصحابه، فقلت: يا أبا برزة، حدّثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله في الخوارج.

قال: أحدّثك بما سمعت أذناي ورأت عيناي: أُتيَ رسول الله صلى الله عليه وآله بدنانير فكان يقسّمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود، فتعرّض لرسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئاً، فأتاه من قبل يمينه فلم يعطه شيئاً، ثُمّ أتاه من خلفه فلم يعطه شيئاً.

فقال: والله يا محمّد ما عدلت في القسمة منذ اليوم.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً ثُمّ قال: والله، لا تجدون بعدي أحداً أعدل عليكم منّي، قالها ثلاثاً.

ثُمّ قال: يخرج من قبل المشرق رجال كأنّ هذا منهم، هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون إليه. ووضع يده على صدره. سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتّى

---

(١) انظر تفصيل ذلك في صحيح البخاري ٤: ١٧٩.

يخرج آخرهم، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم! قالها ثلاثاً، شر الخلق والخليقة، قالها ثلاثاً. وقال حماد: لا يرجعون فيه.

رواه أحمد والأزرق بن قيس، ووثّقه ابن حبّان، وبقية رجاله رجال الصحيح[1].

اتسمت عقائد الخوارج بالتطرّف الشديد حتّى إنّهم كفّروا كُلّ من يخالفهم من المسلمين، بل أباحوا الدماء والأعراض.

قال الطبري: خرجت عصابة منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: مَن أنت؟

قال: أنا عبد الله بن خبّاب، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثُمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض وكان سقط عنه لمّا أفزعوه.

فقالوا له: أفزعناك؟

قال: نعم.

قالوا له: لا روع عليك، فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وآله لعل الله ينفعنا به.

قال: حدّثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟

---

(١) فتح الباري ١٢: ٢٥٣.

قال: إنّه كان محقّاً في أوّلها وفي آخرها.

قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟

قال: إنّه أعلم بالله منكم وأشدّ توقّياً على دينه وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنّك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها. والله لنقتلك قتلةً ما قتلناها أحداً.

فأخذوه فكتّفوه ثُمّ أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتّى نزلوا تحت نخل مواقر... فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: إنّي إنّما أنا امرأة ألا تتقون الله ؟! فبقروا بطنها !

فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر في ما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه، فخرج حتّى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه. وأتى الخبر أمير المؤمنين عليه السلام والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام.

ثُمّ جاء مقبلاً إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر، وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا الينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثُمّ أنا تارككم وكاف عنكم حتّى ألقى أهل الشام، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه فقالوا: كلّنا قتلتهم، وكلّنا نستحلّ دماءهم ودماءكم[1].

ولمّا اصطف الجيشان للقتال قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: لا تبدؤوهم

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٠.

بقتال. قال البغدادي في تاريخه[١]:فبدأ الخوارج فرموا. فقيل: يا أمير المؤمنين، قد رموا. قال: فأذن لهم بالقتال.

ثُمّ قال علي عليه السلام: نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية، فلمّا طُحن القوم ورام استخراج ذي الثدية، فقال لمن حاذاه من الركب: اقطع أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: اطرح على كُلّ قتيل منهم قصبة، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه حتّى بقيت في يدي واحدة، فنظرت إليه وإذا وجهه أربد وإذا هو يقول: والله ما كذبت ولا كُذّبت، فاذا خرير ماء عند موضع دالية، فقال: فتش هذا، ففتشته فإذا قتيل قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعاً، فجذب الرجل الأخرى وجررناه، حتّى صار على التراب، فإذا هو المخدج، فكبّر عليّ بأعلى صوته ثُمّ سجد، فكبّر الناس كلّهم[٢].

ولم يفلت من هذه الحرب من الخوارج إلاّ تسعة، ولم يقتل من أصحاب عليّ إلاّ دون العشرة.

وقد سار أولئك التسعة إلى جهات متفرّقة؛ سار منهم رجلان إلى سجستان، ورجلان إلى عمان، ورجلان إلى اليمن، ورجلان إلى ناحية الجزيرة، ورجل إلى تل مورون في اليمن، فالخوارج في هذه البلاد من أتباع هؤلاء[٣].

وللخوارج عدة أسماء:

سُمّوا أوّلاً المحكمة؛ لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم: (لا حكم إلاّ لله).

---

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٣٦٨.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٧٦.

(٣) الفتوح لابن أعثم ٤: ١٣٢. والملل والنحل ١: ١١٧.

ثـمّ سُـمّوا بالحـرورية نـسبة إلى حروراء، وهي قرية قرب الكوفة خرجوا إليها أوّل الأمر.

وسُـمّوا الـشراة، ومفـردها شـارٍ، كـأنّهم ـ حـسب زعمهـم ـ شروا أنفسهم، أي باعوها لله تعالى.

وسُمّوا بأسماء زعمائهم والتي أصبحت فيما بعد فرقاً وأحزاباً، كالإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض، والأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق[١].

روي فـي (غايـة المـرام) عن (أمالي) الشيخ بإسناده عن المفضّل بن عمر، عن أبـي عـبد الله الـصادقعليه السلام، عـن أبـيه عـن جـدّهعليهما السلام، قـال: «بلغ أمّ سلمة زوجة النبـيّصلى الله عليه وآله أنّ مولـىً لهـا ينـتقص علياًعليه السلام ويتناوله، فأرسلت إليه، فلمّا صار إليها قالت لـه: يا بني، أنّك تنقص علياً وتتناوله؟

قال: نعم يا أمّاه.

قالـت لــه: اقعد ثكلتك أمّك حتّى أحدّثك بحديث سمعته من رسول اللهصلى الله عليه وآله ثمّ اختر لنفسك.

إنّـا كـنّا عـند رسـول اللهصلى الله عليه وآله لـيلة تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسـول اللهصلى الله عليه وآله، فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟

قـال: لا. فكـبوت كـبوة شـديدة مخافـة أن يكون ردّني من سخطه أو نزل فيّ شيء من السماء.

ثمّ لم ألبث حتّى أتيت الباب الثاني، فقلت: أدخل يا رسول الله؟

فقـال: لا، فكبوت كبوة أشدّ من الأولى. ثمّ لم ألبث حتّى أتيت الباب الثالث، فقلت: أدخل يا رسول الله؟

---

(١) انظر: كتابنا (الأدب السياسي في صدر الإسلام): ٢٤٥ ـ ٢٧٦.

فقال: ادخلي يا أُمّ سلمة، فدخلت وعليﷺ جالس بين يديه وهو يقول: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟

قال: آمرك بالصبر، ثمّ أعاد عليه القول ثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا عليّ، يا أخي، إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب قدماً قدماً حتّى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم.

ثمّ التفتﷺ إليّ فقال لي: تالله، ما هذه الكآبة يا أُمّ سلمة؟

قلت: الذي كان من ردّك يا رسول الله، فقال لي: والله ما رددتك من موجدة، وإنّك لعلى خير من الله ورسوله، ولكن أتيتني وجبرائيل يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي فأمرني أن أوصي بذلك علياً.

يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة.

يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لواء الحمد غداً في القيامة.

يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بَعْدِي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي.

يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله، مَن الناكثون؟

قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة.

قلت: مَن القاسطون؟

قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام.

قلت: مَن المارقون؟

قال: أصحاب النهروان.

فقال مولى أُمّ سلمة: فرّجتِ عنّي فرّج الله عنكِ، والله لا سبّيت علياً أبداً[(١)].

تنبيه وتعليق:

لقد استثقل بعض من الكُتّاب المعاصرين الخطبة الشقشقية، فيما ذهب البعض الآخر إلى التشكيك بالخطبة اتباعاً لابن تيميّة ومن شاكله في عقائده، لا لشيء إلاّ لكونها تعرِّض بالذين غصبوا الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام، مع معرفة أولئك بأحقيّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة، وسابقته في الإسلام، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وآله.

ولا همّ لأصحاب هذه الأقلام إلاّ طمس الحقائق وإخفائها على الأجيال انطلاقاً من التقديس والتنزيه والتعظيم الذي رسموه للخلفاء، بل لجميع الصحابة، والذي يفوق حتّى تقديس الأنبياء.

ولا يخفى أنّ من بين الصحابة أبا سفيان، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وخالد ابن الوليد، والزبير بن العوام، وبسر بن أرطاة، والوليد بن عتبة، والمغيرة، وذا الخويصرة، والحكم، ومروان بن الحكم ـ طريدي رسول الله ـ ومنهم مَن قال: إنّ النبيّ ليهجر...

وشخصيات أخرى يقدّسها البعض، لكنّها أساءت إلى الإسلام، بل هتكت حرمته، وكادت تطيح بصرح هذا الدين الحنيف لولا إرادة الله سبحانه.

لذا استنكر هذا الفريق من الكُتّاب على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأرادوا منه ألاّ يكشف أوراق من مضى، وألاّ يتفوّه بما جرى عليه من مصائب ومحن، وألاّ يتعرّض للقوم حتّى لو خالفوا القرآن والسنّة. بل عليه أن يسكت عن شطحاتهم، فكما سكت في أيام خلافتهم فعليه أن يسكت بعد وفاتهم..!

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٢٥. منهاج البراعة ٣: ١٠٦.

لا أدري أي منطق هذا يتبجّح به ذاك البعض من ذوي الأقلام المخدوعة، كأنّهم لم يقرؤا آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآيات الجهاد، وما يحثّه القرآن المجيد في الدفاع عن الحقوق، وردع الظالمين، والوقوف بوجه الطواغيت وأهل البدع؟!

لمّا كان القرآن الكريم يحثّ الإنسان المسلم على أن يدافع عن حقّه المسلوب حتّى يستحصل عليه بأي شكل من الأشكال، فما بالك بأمير المؤمنين عليه السلام وهو الراعي لهذه الأمة؟! إنّما كان يطالب بحقّه المغصوب ـ الخلافة ـ انطلاقاً من التكليف الشرعي الموجّه إليه، ولمّا اعرضت الأمّة عنه أعرض عنها وتركها وشأنها.

فإذا كان الأمر كذلك فعلامّ هذا الاعتراض على كلامه عليه السلام؟! فهل كان خلافاً لمجريات الأحداث أو إنّه يخالف القرآن والسنّة؟!

ثمّ أية قدسيّة للصحابة التي ينادي بها أولئك النفر وهم يعلمون جيّداً أنّ من بينهم مَن نزل فيهم القرآن يلعنهم، ووصف جملة منهم بالنفاق، والآيات في ذلك عديدة، بل نزلت فيهم سورة (المنافقون)!

ثمّ قال عليه السلام في خطبته: **«كأنّهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، بلى والله، لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حَلِيتْ الدنيا في أعينهم وراقهُم زبرجُها»**.

شدّد عليه السلام في عبارته هذه النكير على الجماعة في مخالفتهم له وإعراضهم عنه، وقد استشهد عليه السلام بالآية الكريمة.

---

(١) القصص: ٨٣

ولا يخفى على اللّبيب أنّ استحقاق الآخرة كان معلّقا على عدم إرادة العلو والفساد. وهؤلاء الجماعة ـ سواء الناكثين والقاسطين والمارقين، أو مَنْ سبقهم من الخلفاء الثلاثة ـ لمّا علوا في الأَرْضِ وأفسدوا فيها وخالفوا الإمام العادل وتركوا متابعته فلا مناص من تشبيههم بمَن لم يسمع تلك الآية الكريمة.

ثمّ دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السماع لو اعتذر به بقوله: «بلى والله لقد سمعوها ووعوها»، إنّه كلام مؤكّد بالقسم واللام وكلمة التحقيق(قد)، ثمّ أكدّ كلّ ذلك بالإشارة إلى سرّ عدم حصول ثمرة السماع بعد حصول نفسه فقال عليه السلام: **«ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»**، فكان ذلك هو المانع عن ترتّب ثمرة السماع عليه والباعث على إعراضهم عن الدار الآخرة، والسبب لاشترائهم الضلالة بالهدى، ولسعيهم في الأَرْضِ بالعلو والفساد.

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ينطبق على هذه الثُلة الغاصبة من الناس وعلى أمثالهم ومن عساه يتخيل أنّ الحق في سلوك مسالكهم.

خاتمة الخطبة

قوله عليه السلام: **«أما والذّي فلق الحبّة، وبرأ النَّسَمَة، لولا حُضور الحاضر، وقيام الحُجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتُم دُنياكَمَ هذه أزهدَ عندي من عَفطة عَنز»**.

ممّا تقدم من الخطبة كان بياناً لحال القوم وحاله عليه السلام معهم، فذكر شكايته إلى المسلمين والتظلّم في أمر الخلافة، وذم الشورى وما انتهى إليه من الحال التي أوجبت نزوله عن مرتبته إلى أن قرن بالجماعة المذكورين، وقد اتضحت لك الفصول المتقدّمة من الخطبة أنّ القوم ركنوا إلى غصب الخلافة وهم على

يقين ببطلان عملهم، وأنّ ما ارتكبوه هو جرم عظيم، ولكن (حليت الدنيا بأعينهم)، أمّا هو عليه السلام فلم يقبل الخلافة إلا لأمور سنذكرها لاحقاً إن شاء الله.

وقد جاء قوله ذاك مؤكداً بالقسم فقال: «**أما والذي فلق الحبة**».

وقال: «**وبرأ النَّسَمَة**».

إضافتان: فالق الحبة، وبارئ النَسَمة. وكلا الإضافتين جاءتا في قَسَمٍ عظيم، ولا يخفاك أنّ الوصف الأوّل قد ورد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**﴾[1]، والوصف الثاني قوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾[2].

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يرى نفسه مكلّفاً من قبل الشارع المقدس لأن يطالب القوم في استرجاع حقّه من الخلافة، وما تلك المطالبة إلا لإقامة العدل وإجراء الحدود والأحكام وإعطاء كلّ صاحب حقّ حقّه.

وليس هناك طمع شخصي في السلطة، وفي خُطبه وكتبه عليه السلام الشيء الكثير الذي يفصح عن ذلك الواجب الملقى على عاتقه الشريف، من ذلك ورد في كتابه إلى أهل مصر:

«**أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمرَ من بعده، فوالله ما كان يلقى في رُوعي، ولا يخطر ببالي أنّ العَربَ تُزعِجُ هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنَحّوهُ عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يُبايعونه، فأمسكت بيدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله، فخشيتُ إن لم أنصر الإسلام وأهله أن**

---

(١) الأنعام: ٩٥.

(٢) الشمس: ٧.

أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم...»[(١)].

ثمّ يقول في نفس الكتاب: «إنّي والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت، وإنّي من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي، ويقين من ربّي، وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ، ولكنني آسَى أن يلي أمَر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها، فيتّخذوا مال الله دُوَلاً، وعبادَهُ خَوَلاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حِزباً، فإنّ منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجُلدَ حدّاً في الإسلام، وإنّ منهم من لم يُسلم حتّى رُضِختْ له على الإسلام الرضائخ...»[(٢)].

وعليه فإنّ أمير المؤمنينعليه السلام ذكر من تلك الأعذار التي قادته إلى قبول الخلافة ثلاثة:

العذر الأوّل: حضور الحاضرين لمبايعته من الأنصار والمهاجرين.

العذر الثاني: قيام الحجّة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام.

العذر الثالث: ما أخذ الله على العلماء ـ أي الأئمّةعليهم السلام ـ من العهد على إنكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع الظلامات عند التمكن.

والعذران الأوّلان هما شرطان في الثالث، إذ لا ينعقد ولا يجب إنكار المنكر بدونهما.

وفي النص المتقدّم تجد في قوله: «**كظّة ظالم**» كناية عن قوة الظلم.

وفي قولهعليه السلام: «**سغب مظلوم**» كناية عن قوة المظلومية وما لحق بالمظلوم من ضرر شديد وظلم لا يطاق.

---

(١) نهج البلاغة، كتاب الإمام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر، رقم٦٢.

(٢) نهج البلاغة، كتاب الإمام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر، رقم٦٢.

أمّا قوله عليه السلام: **«لألقيت حبلها»**، أي زمام الخلافة، وفيها استعارة، فقد شبّه الخلافة بالناقة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي مَن يأخذها وما يصيبها.

وقوله عليه السلام: **«لسقيت آخرها بكأس أولها»**، مراده عليه السلام لتركت الخلافة آخِراً كما تركتها أولاً، وخلّيت الناس يشربون من كأس الحيرة والجهالة بعد عثمان ويعمهون في سكرتهم كما شربوا في زمن الثلاثة.

في قوله المتقدّم استعار لفظ (السقي) للترك المذكور، ورشّح تلك الاستعارة بذكر الكأس.

أمّا قوله عليه السلام: **«لألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز»**، تصريح منه عليه السلام أنّ هذه الدنيا لا شيء عنده ولا تساوي إلاّ ما تنثره العنز من أنفها، فمهما بلغ نعيم الدنيا وزبرجها عند القوم فهي كهذا النثار أو كنعل انقطع شسعه بحيث لا ينتفع به، كما هو في كلام له لابن عبّاس.

بلى، إنّه عليه السلام أقدم على قبول الخلافة آخِراً لإجراء أمورهم على القانون العدل المأخوذ على العلماء.

فالأعذار التي قدّمها عليه السلام هي: لو لم يحضر الحاضر من المبايعين، ولو لم يقم الناصر، وما أخذ الله على العلماء بما أخذ عليهم من إنكار المنكر إذا تمكّن، وبعدما أوضح أمير المؤمنين الأعذار قال: لتركت آخراً كما تركت أوّلاً.

وربما يتبادر سؤال إلى الأذهان: ألم يكن على الإمام عليه السلام أن ينكر المنكر على من تقدّمه من الخلفاء الثلاثة؟

نعم، إنّه قام بوظيفته الشرعية وأنكر على القوم، ولكن لم يتحقق عنده ـ سلام الله عليه ـ الشرطان الأوّلان، فلم يبايعه أحد من المهاجرين والأنصار، ولم يجد الناصر فيقوم معه.

إلى هنا ينتهي الحديث عن الخطبة وما تظمّنته من أسرار وأخبار.

قالوا: (وقام إليه رَجُل من أهل السواد عند بُلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته قال له ابن عبّاس رضي الله عنه:

يا أمير المؤمنين، لو اطّرَدَتْ مقالتُكَ من حيث أفضيت.

فقال: «هيهات يا بن عبّاس، تلك شقشقة هَدَرتْ ثمّ قرّتْ».

قال ابن عبّاس: فوالله ما أسفت على كلامٍ قط كأسفي على هذا الكلام، ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بَلَغَ منه حيثُ أراد).

أقول: أهل السواد[1] المقصود بهم العراقيّون. أمّا الكتاب فكانت فيه جملة من الأسئلة، قال أبو الحسن الكيدري: وجدت في الكتب القديمة أنّ الكتاب الذي دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدّة مسائل:

إحداها: ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب؟

فأجاب عليه السلام بأنّه يونس بن متى عليه السلام، خرج من بطن الحوت.

المسألة الثانية: ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام؟

فقال عليه السلام: هو نهر طالوت؛ لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[2].

المسألة الثالثة: ما العبادة التي لو فعلها واحد استحق العقوبة، وإن لم يفعلها استحق العقوبة أيضاً؟

فأجابه بأنّها صلاة السكارى.

المسألة الرابعة: ما الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا أصل؟

فقال عليه السلام: هو طائر عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾[3].

---

(١) مصطلح قديم يطلق على ساكني بلاد الرافدين.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) المائدة: ١١٠.

المسألة الخامسة: رجل عليه من الدين ألف درهم وله في كيسه ألف درهم، فضمنه ضامن بألف درهم، فحال عليه الحول، فالزكاة على أيّ المالين تجب؟

فقال عليه السلام: إن ضمن الضامن بإجازة مَن عليه الدين فلا يكون عليه، وإن ضمنه من غير إذنه فالزكاة مفروضة في ماله.

المسألة السادسة: حجّ جماعة ونزلوا في دار من دور مكّة وأغلق واحد منهم باب الدار، وفيها حَمَامٌ فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار فالجزاء على أيّهم يجب؟

فقال عليه السلام: على الذي أغلق الباب ولم يخرجهنّ ولم يضع لهنّ ماءً.

المسألة السابعة: شهد شهداء أربعة على محصَن بالزنا فأمرهم الإمام برجمه، فرجمه واحد منهم دون الثلاثة الباقين، ووافقهم قوم أجانب في الرجم فرجم مَن رجمه عن شهادته، والمرجوم لم يمت، ثمّ مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته، فعلى مَن يجب ديّته؟

فقال عليه السلام: يجب على مَن رجمه من الشهود ومَن وافقه.

المسألة الثامنة: شهد شاهدان من اليهود على يهودي أنّه أسلم، فهل تقبل شهادتهما أم لا؟

فقال عليه السلام: لا تقبل شهادتهما؛ لأنّهما يجوّزان تغيير كلام الله وشهادة الزور.

المسألة التاسعة: شهد شاهدان من النصارى على نصراني أو مجوسي أويهودي أنّه أسلم؟

فقال عليه السلام: تقبل شهادتهما؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى﴾[1]، ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد شهادة الزور.

---

(١) المائدة: ٨٢.

المسألة العاشرة: قطع إنسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الإمام وشهدوا على قطع يده، وأنّه زنا وهو محصن، فأراد الإمام أن يرجمه فمات قبل الرجم بقطع يده، على القاطع دية القطع أو دية النفس؟

فقال الإمام عليه السلام: مَن قطع يده دية يد ـ القطع ـ حسب، ولو شهدوا أنّه سرق نصاباً لم يجب دية يده على قاطعها، والله أعلم.

هذا شرح مجمل لخطبة أمير المؤمنين عليه السلام والمسمّاة بـ(الشقشقيّة)، حرصنا على أن نذكر أهم المطالب المتعلقة بكلامه ذاك عليه السلام، والحمد لله على حسن توفيقه وهو حسبي ونعم الوكيل.

أقول: لا يسعنا في هذا الشرح المقتضب كشف جميع الأحداث والمحن التي جرت على الإمام علي عليه السلام في زمن الخليفة الأول والثاني، إلاّ اَن نذكر شكاية الإمام عليه السلام من الغاصبين، وقد كتب عليه السلام هذه الشكوى إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين لمّا سألوه بعد منصرفه من النهروان، وإليك نصّها:

شكوى الإمام عليه السلام من الغاصبين

قال السيّد ابن طاووس ـ رحمه الله ـ في كتاب (كشف المحجّة لثمرة المهجة)[1]: قال محمّد بن يعقوب في كتاب (الرسائل): عن عليّ بن إبراهيم، بإسناده، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان وأمر أنْ يُقرأ على الناس، وذلك أنّ الناس سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان، فغضب عليه السلام وقال: «**قد تفرّغتم للسؤال عمّا لا يعنيكم، وهذه مصر قد انفتحت، وقتل معاوية ابن خديج محمّد بن أبي بكر، فيالها من مصيبة ما أعظمها مصيبتي بمحمّد! فوالله ما كان إلاّ كبعض بنيّ، سبحان الله! بينا نحن نرجو أن نغلب القومَ على ما**

---

(١) كشف المحجّة لثمرة المهجة: ١٧٣ ـ ١٨٩، طبعة النجف الأشرف.

في أيديهم إذْ غلبونا على ما في أيْدينا، وأنا كاتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم إن شاء الله تعالى».

فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: «أدخل عليّ عشرة من ثقاتي»، فقال: سمّهم لي يا أمير المؤمنين، فقال: «أدخل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزر بن حبيش الأسدي، وجويريّة بن مسهر العبدي، وخندق بن زهير الأسدي، وحارثة بن مضرب الهمداني، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ومصابيح النخعي، وعلقمة بن قيس، وكميل بن زياد وعمير بن زرارة».

فدخلوا إليه، فقال لهم: «خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبي رافع وأنتم شهود كلّ يوم جمعة، فإن شَغَبَ شاغب[1] عليكم فانصفوه بكتاب الله بينكم وبينه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى شيعته من المؤمنين، فإنّ الله يقولُ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[2]، وهو اسم شرّفه الله تعالى في الكتاب، وأنتم شيعة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كما أنّ من شيعته إبراهيم اسم غير مختصّ، وأمر غير مبتدع، وسلام عليكم، والله هو السلام المؤمن أولياءه من العذاب المهين، الحاكم عليهم بعدله، بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وأنتم معاشر العرب على شرّ حال، يغذوا أحدكم كلبه، ويقتل ولده، ويغير على غيره، فيرجع وقد أُغير عليه، تأكلون العلهز[3] والهَبيد والميتة والدم، منيخون[4] على أحجار خشن وأوثان

---

(١) الشَّغْبُ بالتّسْكين: تَهْييجُ الشَّرِّ، ذكره في مجمع البحرين ٢: ٩١. والصحاح ١: ١٥٧.

(٢) الصافات: ٨٣

(٣) قال الجوهري: العِلْهِزُ ـ بالكَسْر ـ طعامٌ كانُوا يَتّخذُونَهُ منَ الدَّم وَوَبَرِ البعيرِ في سِنِي المَجاعَة، الهَبيدُ: حَبُّ الحنظلِ، الصحاح ٣: ٨٨٧، وانظر: لسان العَرب ٣: ٤٣١.

(٤) قالَ في القاموس ١: ٢٧٢: تنوخ الجملُ الناقة: أبركها للسفاد، كأناخها فاستناخت، وتنوّخت.

مضلّة، تأكلون الطعام الجَشب[١]، وتشربون الماءَ الآجن[٢]، تسفكون دماءكم، ويسبي بعضكم بعضاً، وقد خصّ الله قريشاً بثلاث آيات وعمّ العرب بآية، فأمّا الآيات اللّواتي في قريش فهو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]. والثانية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤].

والثالثة: قول قريش لنبيّ الله ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام والهجرة: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٥]. وأمّا الآية التي عمّ بها العرب فهو قوله: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٦].

فيالها نعمة ما أعْظَمَها إنْ لم تخرجوا منها إلى غيرها، ويالها مصيبة ما أعظمها إنْ لَمْ تؤمنوا بها وترغبوا عنها، فمضى نبيّ الله ﷺ وقد بلّغ ما أرسل به، فيالها

---

(١) الجَشبُ ـ بكَسْر الشّين ـ الغَليظ، نص عليه في لسان العرب ١: ٢٦٦. والصحاح ١: ٩٩.

(٢) الآجنُ: المُتغَيّرُ، قاله في الصحاح ٥: ٢٠٦٧. وفي القاموس ٤: ١٩٥. الآجن الماء المتغيّر الطعم واللون.

(٣) الأنفال: ٢٦.

(٤) النور: ٥٥.

(٥) القصص: ٥٧.

(٦) آل عمران: ١٠٣.

مصيبة خصّت الأقربين وعمّت المؤمنين، لم تُصابوا بمثلها ولن تُعاينوا بعدها مثلها، فمضى لسبيله صلى الله عليه وآله وترك كتاب الله وأهل بيته إمامين لا يختلفان، وأخوين لا يتخاذلان، ومجتمعين لا يفترقان، ولقد قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله ولأنا أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وما ألقي في روعي[1]، ولا عرض في رأيي أن وجه الناس إلى غيره، فلمّا أبطأوا عنّي بالولاية لهممهم، وتثّبط الأنصار ـ وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام ـ قالوا: أمّا إذا لم تسلّموها لعليّ فصاحبنا أحقّ بها من غيري، فوالله ما أدري إلى من أشكو؟

فإمّا أن يكون الأنصار ظلمت حقّها، وإمّا أن يكونوا ظلموني حقّي، بل حقّي المأخوذ وأنا المظلوم.

فقال قائل قريش: إنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله قال: الأئمّة من قريش، فدفعوا الأنصار عن دعوتها ومنعوني حقّي منها، فأتاني رهط يعرضون عليّ النصر، منهم ابنا سعيد، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والزبير ابن العوّام، والبراء بن العازب.

فقلت لهم: إنّ عندي من نبيّ الله صلى الله عليه وآله عهداً وله إلي وصيّة لست أُخالف عمّا أمرني به، فوالله لو خزّموني[2] بأنفي لأقررت لله تعالى سمعاً وطاعة، فلمّا رأيت

---

(١) الرُّوعُ ـ بالضم ـ الْقَلْبُ والْعَقْلُ كما في الصحاح ٣: ١٢٢٣. ولسان العرب ٨: ١٣٧. ولعلّه كناية عن أنّه لم يكن مظنّة يفعلوا ذلك لمّا اجتمع له من النصوص والفواصل والسوابق؛ لأنّه عليه السلام كان يعلم وقوع تلك الأمور ويخبر بها قبل وقوعها.

(٢) يُقال: خَزَمْتُ الْبَعيرَ بالخزامَة، وَهيَ حَلْقَةٌ مِنْ شَعْرٍ تُجْعَلُ في وَتَرة أنْفه يُشَدُّ فيهَا الزّمامُ، ويُقالُ لِكُلِّ مَثْقُوب: مَخْزُومٌ. ذكره الجوهري في الصحاح ٥: ١٩١١، ومثله في لسان العرب ١٢: ١٧٤ ـ ١٧٥ باختلاف يسير في اللفظ.

الناس قد انثالوا[١] على أبي بكر للبيعة أمسكت يدي وظننت[٢] أنّي أولى وأحقّ بمقام رسول الله ﷺ منه ومن غيره، وقد كان نبيّ الله أمّر أُسامة بن زيد على جيش وجعلهما في جيشه، وما زال النبيّ ﷺ إلى أن فاضت نفسه يقول: أنفذوا جيش أُسامة[٣]، فمضى جيشه إلى الشام حتّى انتهوا إلى اذرعات[٤]، فلقي جمعاً من الروم فهزموهم وغنمهم الله أموالهم. فلمّا رأيت راجعة من الناس قد رجعت عن الإسلام تدعو إلى محو دين محمّد وملّة إبراهيم عليه السلام خشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أرى فيه ثلماً وهدماً تكُ المصيبة عليّ فيه أعظم من فوت ولاية أُموركم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل ثُمّ تزول وتنقشع كما يزول وينقشع السحاب، فنهضت مع القوم في تلك الأحداث حتّى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وإن زعم الكافرون.

ولقد كان سعد لمّا رأى الناس يبايعون أبا بكر نادى: أيّها الناس، إنّي والله ما أردتها حتّى رأيتكم تصرفونها عن عليّ، ولا أُبايعكم حتّى يبايع عليّ، ولَعَلّي لا أفعل وإن بايع، ثُمّ ركب دابّته وأتى حوران[٥] وأقام في خانٍ حتّى هلك ولم يبايع.

---

(١) انثال عليه النّاسُ من كُلّ وجه: انصبوا، قاله في لسان العرب ١١: ٩٥. والصحاح ٤: ١٦٤٩، وغيرهما.

(٢) قوله عليه السلام: وظننت: أي علمت، كما ورد كثيراً في الآيات بهذا المعنى، كما لو أسند إلى الأنبياء ـ مثلاً ـ كقوله تعالى في سورة الأنبياء ٨٧: ﴿وَذَا النُّون اذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ...﴾، أو في سورة ص ٢٤: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أنَّمَا فَتَنَّاهُ...﴾، أو سورة الحاقّة ٢٢: ﴿اني ظَنَنْتُ أنّي مُلاَقٍ حِسَابِيَه..﴾، وغيرها، والمعنى: إنّي ظننت أنّ الناس يرونني أولى وأحقّ ويعاونونني على منازعتهم.

(٣) قوله عليه السلام: «أنفذوا جيش أُسامة»، كرّر في المصدر.

(٤) قال في القاموس ٣: ٢٣. واذرعات ـ بكسر الراء وتفتح ـ بلدة بالشام.

وانظر: مراصد الاطلاع ١: ٤٧، ومعجم البلدان ١: ١٣٠ ـ ١٣١، وغيرهما، قال في المراصد: اذرعات ـ بالفتح، ثُمّ السكون، وكسر الراء، وعين مهملة وألف وتاء ـ بلد في طرف الشام، وتجاور أرض البلقاء.

(٥) قال في القاموس ٢: ١٥: حَوّارُون ـ بفتح الحاء مشدّدة الواو ـ بلد، والحوراء: موضع قرب المدينة، وهو مرفأ سفن مصر، وماء لبني نبهان. وانظر معجم البلدان ٢: ٦١٣. ومراصد الاطلاع ١: ٥٣٤.

وقام فروة بن عمر الأنصاري ـ وكان يقود مع رسول الله صلى الله عليه وآله فرسين ويصرم ألف وسق من تمر[١] فيتصدّق به على المساكين ـ فنادى: يا معشر قريش، أخبروني هل فيكم رجل تحلّ له الخلافة وفيه ما في عليّ عليه السلام؟

فقال قيس بن مخزمة الزهري: ليس فينا من فيه ما في عليّ عليه السلام.

فقال له: صدقت، فهل في عليّ عليه السلام ما ليس في أحدٍ منكم؟

قال: نعم.

قال: فما يصدّكم عنه؟

قال: إجماع الناس على أبي بكر.

قال: أما والله لئن أحييتم سنّتكم لقد أخطأتم سنّة نبيّكم، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم.

فولي أبو بكر فقارب[٢] واقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته في ما أطاع الله فيه جاهداً، حتّى إذا احتضر، قلت في نفسي: ليس يعدل بهذا الأمر عنّي، ولولا خاصّة[٣] بينه وبين عمر وأمر كانا رضياه بينهما، لظننت أنّه لا يعدله عنّي، وقد سمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله لبريدة الأسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن وقال: إذا افترقتما فكلّ واحد منكما على حياله، وإذا اجتمعتما فعليٌّ عليكم

---

(١) في المصدر: ويصرع الفساد ويشتري تمر... والصرم ـ لغة ـ هو: القطع، كما في القاموس ٤: ١٣٩.

(٢) في بعض النسخ تقارب، قوله عليه السلام: تقارب: أي لم يبالغ في معاندة الحقّ بعد غصب الخلافة حيلة وخديعة؛ لأنّه كان يستقيل تارة ويعتذر إليه عليه السلام أخرى، ويرجع إليه في الأمور ليتمشّى أمره، ويظهر للناس أنّه إنّما ولي الأمر لصلاح المسلمين.

قال في (النهاية): فيه سدِّدُوا وقاربُوا.. أي اقتصِدُوا في الأمور كُلّها، واتْرُكُوا الغلوَّ فيها والتقصير، يُقال: قارَبَ فلان في أُمُوره: إذا اقتصد. النهاية ٤: ٣٣. ولسان العرب ١: ٦٦٩. والقاموس ٣: ٢٩٦.

(٣) قوله عليه السلام: لولا خاصّة.. أي محبة أو خلطة خاصّة.

جميعاً، فاقتتلنا[١] وأصبنا سبياً فيهم خولة بنت جعفر جار الصفا ـ وإنّما سُمّي جار الصفا من حسنه ـ فأخذت الحنفيّة خولة واغتنمها خالد منّي، وبعث بريدة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله محرشاً[٢] عليّ، فأخبره بما كان من أخذي خولة، فقال: يا بريدة، حظّه في الخمس أكثر ممّا أخذ، إنّه وليّكم بعدي، سمعها أبو بكر وعمر، وهذا بريدة حيّ لم يمت، فهل بعد هذا مقال لقائل؟![٣]

فبايع عمر دون المشورة، فكان مرضيّ السيرة[٤] من الناس عندهم، حتّى إذا احتضر قلت في نفسي: ليس يعدل بهذا الأمر عنّي، للذي قد رأى منيّ في المواطن، وسمع من الرسول صلى الله عليه وآله، فجعلني سادس ستة وأمر صهيباً أن يصلّي بالناس، ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري فقال له: كن في خمسين رجلاً من قومك فأقتل مَنْ أبى أن يرضى من هؤلاء الستة.

فالعجب من اختلاف القوم إذ زعموا أنّ أبا بكر استخلفه النبيّ صلى الله عليه وآله، فلو كان هذا حقّاً لم يخفِ على الأنصار فبايعه الناس على الشورى. ثُمّ جعلها أبو بكر لعمر

(١) في بعض النسخ فغزونا.

(٢) التحريش: الإغراء بين القوم، صرّح بذلك في مجمع البحرين ٤: ١٣٣. والصحاح ٣: ١٠٠١، وغيرهما. وهذا الخبر يدلّ على أنّ خولة إنّما سبيت في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، فلا تبقى للمخالفين فيها شبهة، وقد ذكر هذا مفصّلا العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٢٢: ١٨١و١٩٢ـ١٩٣. وفي عدة موارد أُخر من كتابه بحار الأنوار ٤٢: ٨٤ ـ ٨٧ و٩٩. ولاحظ: ٤١: ٣٠٣ و ٣٢٦، وروى الخبر مفصّلاً: البيهقي في سننه ٢: ٣٦٩: والطبري في تاريخه ٢: ٣٨٩.

(٣) انظر تفصيل الغزوة وقصة بريدة في مصادر الجمهور: مسند أحمد ٥: ٣٥٦. المستدرك للحاكم النيسابوري ٢: ١٢٩ و٣: ١١٠. صحيح البخاري ٥: ١١٠. مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٢٧ و٩: ١٠٨. الصراط المستقيم للبياضي ٢: ٥٩. ومن المصادر الإمامية: أمالي الطوسي ١: ٢٤٩. الإرشاد للمفيد ١: ١٤٨. الشافي للشريف المرتضى ٣: ٢٤٣ الاحتجاج للطبرسي ١: ٩٧.

(٤) في بعض النسخ: الشورة بدلاً من السيرة، وأظنّه خطأً.

برأيه خاصّة، ثُمّ جعلها عمر برأيه شورى بين ستة، فهذا العجب من اختلافهم! والدليل على ما لا أحبّ أن أذكر قول هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ، فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله؟!

إنّ هذا الأمر عجيب! ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي، كانوا يسمعون وأنا أُحاجّ أبا بكر وأنا أقول: يا معشر قريش، أنا أحق بهذا الأمر منكم، ما كان منكم من يقرأ القرآن، ويعرف السنّة، ويدين دين الحقّ، وإنّما حجّتي إنّي وليّ هذا الأمر من دون قريش، إنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله قال: الولاء لمن أعتق، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعتق الرقاب من النار، وأعتقها من الرقّ، فكان للنبيّ صلى الله عليه وآله ولاء هذه الأمة، وكان لي بعده ما كان له، فما جاز لقريش من فضلها عليها بالنبيّ صلى الله عليه وآله جاز لبني هاشم على قريش، وجاز لي على بني هاشم، بقول النبيّ صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه[1]. إلاّ أن تدّعي قريش فضلها على العرب بغير النبيّ صلى الله عليه وآله، فإن شاؤوا فليقولوا ذلك، فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم، وأعترض في حلوقهم، ولا يكون لهم في الأمر نصيب، فأجمعوا على إجماع رجل واحد منهم حتّى صرفوا الولاية عنّي إلى عثمان رجاء أن ينالوها ويتداولوها فيما بينهم، فبينا هم كذلك إذ نادى منادٍ لا يُدرى من هو فأسمع أهل المدينة ليلة بايعوا عثمان فقال:

يا ناعي الإسلام قم فانعهُ ... قد مات عرف وبدا منكر[2]

ما لقريش لا علا كعبُها ... مَن قدّموا اليوم ومن أخّروا

---

(١) انظر: الغدير ١: ٢٢٢ ـ ٢٤٠، وغيره.

(٢) النعي: خبر الموت، ذكره في الصحاح ٦/٢٥١٢. ومجمع البحرين ١: ٤١٨.

إنّ علـــيّاً هـــو أولـــى بـــه مـــنه فولّـــوه ولا تنكـــروا[(١)]

فكـان لهم في ذلك عبرة، ولولا أنّ العامّة قد علمت بذلك لم أذكره، فدعوني إلـى بـيعة عـثمان فـبايعت مـستكرهاً، وصـبرت محتسباً، وعلّمـت أهل القنوت أن يقولـوا: اللّهـم لـك أخلـصت القلـوب، وإلـيك شخـصت الأبـصار، وأنـت دعـيت بالألـسن، وإلـيك تحـوكم فـي الأعمـال، فافـتح بينـنا وبـين قومـنا بالحق، اللهم إنا نـشكوا إلـيك غـيبة نبيّـنا، وكثـرة عـدوّنا، وقلّـة عـددنا، وهواننا على الناس، وشدّة الزمان، ووقوع الفتن بنا، اللّهم ففرّج ذلك بعدل تظهره، وسلطان حقّ تعرّفه.

فقال عبد الرحمن بن عوف: يا بن أبي طالب، إنّك على هذا الأمر لحريص؟!

فقلـت: لـست عليه حريـصاً، وإنّمـا أطلـب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وحقّه، وإنّ ولاء أُمّته لـي من بعده، وأنتم أحرص عليه منّي إذ تحولون بيني وبينه، وتصرفون وجهـي دونـه بالـسيف، اللّهـم إنّـي أستعديك على قـريش فـإنّهم قطعوا رحمي، وأضـاعوا أيّامـي[(٢)]، ودفعـوا حقّـي، وصـغّروا[(٣)] قـدري وعظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به منهم فاستلبونيه.

ثُـمّ قـال: أصبر مغموماً أو مُت متأسّفاً، وأيمُ الله، لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كمـا قطعـوا سـببي فعلوا، ولكنّهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً، إنّما حقّي على هذه

---

(١) قوله: لا علا كعبها، جملة دعائيّة. قال في النهاية:... في حديث قيلة: والله لا يزال كعبك عالياً... هو دعاء لها بالشرف والعلو. النهاية ٤: ١٧٩، ولسان العرب ١: ٧١٩.

(٢) قـولـه عليه السلام: «وأضاعوا أيامي»: أي ضيعوا ولم يلتفتوا إلى أيامي المشهورة التي نصرتُ فيها الدين ووقيت فـيها المـسلمين. وفـي بعـض النـسخ: بالـذال المعجمة من الإذاعة بمعنى الإفشاء، فالمراد بالأيّام أيّام مظلوميّته عليه السلام، ولعلّه تصحيف. والظاهر: وأكفؤوا إنائي أو أصفوا إنائي. يراجع في ضبط الكلمة: القاموس٣: ٢٤، والصحاح٣: ١٢١١، وغيرهما.

(٣) في بعض النسخ: وحرّوا. قال في القاموس٤: ٣١٦: وحرى ـ كرمى: نقص.

الأُمة كرجل له حقّ على قوم إلى أجل معلوم، فإن أحسنوا وعجّلوا له حقّه قبله حامداً، وإن أخّروه إلى أجله أخذه غير حامد، وليس يعاب المرء بتأخير حقّه، إنّما يعاب من أخذ ما ليس له، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ عهداً فقال: «**يا ابن أبي طالب، لك ولايتي فإن ولّوك في عافية ورجعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه، فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً**». فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك، ولو كان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عمّي حمزة وأخي جعفر لم أُبايع كرهاً، ولكنّني منيت برجلين حديثَي عهد بالإسلام؛ العبّاس وعقيل، فضننت بأهل بيتي عن الهلاك، فأغضيت عيني على القذى، وتجرّعت ريقي على الشجا، وصبرت على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ[1] الشفار[2].

وأمّا أمر عثمان فكأنّه علم[3] من القرون الأُولى: ﴿**عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى**﴾[4]، خذله أهل بدر، وقتله أهل مصر، والله ما أمرت ولا

---

(١) في نسخة: جز، وجاء في حاشيتها: جَزَّ الشعر والحشيش جزاً وجزَّةً فهو مجزوز، وجزيز: قطعه. انظر: القاموس٢: ٢٤٠، ط١ دار إحياء التراث العربي، بيروت١٩٩١.

(٢) الشفرة من الحديد ما عرّض وحدّد والجمع شفار، والشفرة: السكين العريضة. لسان العرب ٧: ١٥٠ ـ شفر.

(٣) قوله عليه السلام: «فكأنّه علم» إشارة إلى ما ذكره تعالى في قصّة فرعون إنّه قال لموسى عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ طه:٥١، والمشهور في تفسيره أنّه سئل عن حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة، فقال موسى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى﴾ طه: ٥٢، أي إنّه غيب لا يعلمه إلاّ الله، وإنّما أنا عبد ملك لا أعلم منه إلاّ ما أخبرني به، فمراده عليه السلام هنا أنّ أمر عثمان في الآخرة وما ترتّب على أعماله الشنيعة في علمه تعالى وهو أعلم بذلك، وإنّما عبّر كذلك للمصلحة. أو المعنى أنّ أمره كان شبيهاً بأمورٍ وقعت على القرون الأُولى كقارون.

(٤) طه: ٥٢.

نهيت، ولو أنّني أمرت كنت قاتلاً، ولو أنّي نهيت كنت ناصراً، وكان الأمر لا ينفع فيه العيان ولا يشفي فيه[١] الخبر، غير أنّ مَن نصره لا يستطيع أنْ يقول خذله مَن أنا خير منه، ولا يستطيع مَن خذله أن يقول نصره مَن هو خير منّي. وأنا جامع أمره: استأثر فأساء الإثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله يحكم بينكم وبينه. والله ما يلزمني في دم عثمان ثُلمة[٢]، ما كنت إلاّ رجلاً من المسلمين المهاجرين في بيتي، فلمّا قتلتموه أتيتموني تبايعوني، فأبيت عليكم وأبيتم عليّ، فقبضت يدي فبسطتموها، وبسطتها فمددتموها، ثُمّ تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهِيم[٣] على حياضها يوم ورودها، حتّى ظننت أنّكم قاتلي، وأنّ بعضكم قاتل لبعض، حتّى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أنْ حمل إليها الصغير، وهدج[٤] إليها الكبير، وتحامل إليها العليل، وحسرت لها الكعاب.

فقالوا: بايعنا على ما بويع عليه أبو بكر وعمر، فإنّا لا نجد غيرك ولا نرضى إلاّ بك، فبايعنا لا نفترق ولا نختلف، فبايعتكم على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايعني طائعاً قبلت منه، ومَن أبى تركته، فكان أوّل من بايعني طلحة والزبير، فقالا: نبايعك على أنّا شركاؤك في الأمر. فقلت: لا، ولكنّكما شركائي في القوّة، وعوناي في العجز. فبايعاني على هذا الأمر ولو أبيا

---

(١) قوله عليه السلام: «لا ينفع فيه العيان» لعلّ المعنى أنّ أمره كان أمراً مشتبهاً على من عاين الأمر وعلى من سمع الخبر، فلا يدري كيف وقع، أو اشتبه على أكثر الناس إنّه هل كان قتله حقّاً أو باطلاً.

(٢) الثُّلمَةُ ـ بالضم ـ الخَلَلُ في الحايط وغيره، صرّح بذلك في مجمع البحرين٦: ٢٥. والصحاح ٥: ١٨٨١.

(٣) أي العطاش.

(٤) قال في القاموس١: ٢١٢: الْهَدَجانُ ـ محرّكة: مشية الشيخ، وقد هَدَجَ يهدج وَهو هدّاج.

لم أكرههما كما لم أكره غيرهما، وكان طلحة يرجو اليمن والزبير يرجو العراق، فلمّا علما أنّي غير مولّيهما استأذناني للعمرة يريدان الغدر، فأتيا عائشة واستخفاها مع كلّ شيء في نفسها عليّ، والنساء نواقص الإيمان، نواقص العقول، نواقص الحظوظ. فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيّام حيضهنّ، وأمّا نقصان عقولهنّ فلا شهادة لهنّ إلاّ في الدين وشهادة امرأتين برجل، وأمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الإنصاف من مواريث الرجال.

وقادهما عبيد الله بن عامر إلى البصرة، وضمن لهما الأموال والرجال، فبينما هما يقودانها إذ هي تقودهما، فاتّخذاها فئة يقاتلان دونها[١]. فأيّ خطيئة أعظم ممّا أتيا، إخراجهما زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله من بيتها، فكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها، وصانا حلائلهما في بيوتهما ولا أنصفا الله ولا رسوله من أنفسهما.

ثلاث خصال[٢] مرجعها على الناس، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾[٣]، وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه﴾[٤]، وقال: ﴿لاَ يَحِيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِه﴾[٥]، فقد بغيا عليّ، ونكثا بيعتي، ومكرا بي،

---

(١) قوله عليه السلام: «فئة يقاتلان دونها» لعلّ المراد بها هنا المرجع، من فاءَ إذا رَجَعَ، قال به في مجمع البحرين ١: ٣٣٣، والصحاح ١: ٦٣، وغيرهما. ولا يبعد أن يكون قُبَّةً ـ بالقاف والباء الموحّدة المشدّدة أو بالقاف والنون المشدّدة ـ وهي بالضم: أي القُنَّة: الجبلُ الصَّغير، وقُلَّةُ الجبل، والمنفرد المستطيلُ في السماء أو الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض، كما جاء في القاموس ٤: ٢٦١، ولسان العرب ١٣: ٣٤٨.

(٢) قوله عليه السلام: «ثلاث خصال» استئناف كلام.

(٣) يونس: ٢٣.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) فاطر: ٤٣.

فمنيت بأطوع الناس في الناس[١] عائشة بنت أبي بكر، وبأشجع[٢] الناس الزبير، وبأخصم الناس طلحة، وأعانهم عليّ يعلى بن منبه بأصوع الدنانير، والله لئن استقام أمري لأجعلنّ ماله فيئاً للمسلمين. ثُمّ أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خزّان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي، فمن أطاعهم أكفروه، ومن عصاهم قتلوه، فناجزهم[٣] حكيم بن جبلّة فقتلوه في سبعين رجلاً من عُبّاد أهل البصرة ومخبتيهم يسمّون: المثفنين، كَأنّ راحُ أكفّهم ثَفنات الإبل[٤].

وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري، فقال: اتّقيا الله، إنّ أوّلكم قادنا إلى الجنّة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلّفونا أن نصدّق المدّعي ونقضي على الغائب، امّا يميني فشغلها عليّ بن أبي طالب ببيعتي إيّاه، وهذه شمالي فرغة فخذاها إن شئتما، فخُنق حتّى مات.

---

(١) قوله عليه السلام: «بأطوع الناس» أي أنّها لقلّة عقلها كانت تطيع الناس في كلّ باطلٍ، أو على بناء المفعول أي كان الناس يطيعونها في كلّ ما تريد. والأول أظهر لفظاً، والثاني معنىً.

(٢) في نسخة أنجع، والأنجع: الأنفع، والذي أثر كلامه أكثر، أو تدبيره أوفر، قال في القاموس: نَجَعَ الطَّعامُ ـ كَمَنَعَ ـ نُجُوعاً: هنأ أكلَهُ، والعَلَفُ في الدابة والوعظُ والخطاب فيه: دخل فأثّر كانجَعَ. وانتجع: طلب الكلأ في موضعه، وفلاناً: أتاه طالباً معروفه. كما جاء في القاموس٣: ٨٧ ومثله معنى في لسان العرب: ٣٤٧، وغيره. وفي بعض النسخ: وبأشجع الناس.

(٣) المُنَاجَزَةُ في الحرب: المُبادَرَةُ والمقاتَلَةُ، قال في القاموس٢: ١٩٣: المناجزة: المقاتلة... والمحاجزة قبل المناجزة، أي المسالمة قبل المعالجة في القتال. وقال في النهاية ٥: ٢١. المناجزة في الحرب: المبارزة، لأناجزنّك، أي لأقاتلنّك وأُخاصمنّك. وقال في الصحاح٣: ٨٩٨: والمناجزة في الحرب: المبارزة والمقاتلة. وعليه فيحتمل قوياً أن يكون الصحيح: المبارزة والمقاتلة.

(٤) الراحُ ـ جمع الراحة ـ وهي الكف، كذا صرّح به في القاموس١: ٢٢٤، والصحاح ١:٣٦٨، ونظائرهما، ولعلّ المراد بها هنا بطونها. والثَّفِنَةُ ـ بكسر الفاء: واحدة ثَفِنات البعير ـ وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما. نص بذلك في الصحاح٥: ٢٠٨٨، ونظيره في النهاية ١: ٢١٥ ـ ٢١٦.

وقام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة، هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، هذا كتابي إليك. قال: هل تدري ما فيه؟ قال: اقرأه عليّ، فإذا فيه عيب عثمان ودعاؤه إلى قتله، فسيّره من البصرة.

وأخذوا على عاملي عثمان بن حنيف الأنصاري غدراً فمثّلوا به كلّ المثلة، ونتفوا كلّ شعرة في راسه ووجهه، وقتلوا شيعتي، طائفة صبراً، وطائفة غدراً، وطائفة عضّواً بأسيافهم حتّى لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلاّ رجلاً واحداً لحلّ لي به دماءهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قُتل. دع مع أنّهم قد قتلوا أكثر من العدّة التي قد دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم[1]، فبُعداً للقوم الظالمين، فأمّا طلحة فرماه مروان بسهم فقتله، وأمّا الزبير فذكّرته قول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنّك تقاتل عليّاً عليه السلام وأنت ظالم له»**[2]، وأمّا عائشة فإنّها كان نهاها رسول الله صلى الله عليه وآله: عن مسيرها فعضّت[3] يديها نادمة على ما كان منها. وقد كان طلحة لمّا نزل ذا قار[4] قام خطيباً فقال: يا أيّها الناس، إنّا أخطأنا في عثمان خطيئة ما تخرجنا منها إلاّ الطلب بدمه، وعليّ قاتله، وعليه دمه. وقد نزل دارن[5] مع شكّاك اليمن ونصارى ربيعة ومنافقي مضر، فلمّا بلغني قوله وقول كان عن الزبير فيه، بعثت إليهما أُناشدهما بحقّ محمّد صلى الله عليه وآله ما أتيتماني وأهل مصر محاصرو

---

(١) قال في الصحاح ٤:١٧٠٠: وأدالنا الله من عدوّنا من الدولة، والأدالة: الغلبة، يقال: اللّهم أدلني على فلان وانصرني عليه.

(٢) وهي رواية مشهورة من الطريقين. انظر بعض مصادرها في الغدير ٣: ١٩١ وغيره.

(٣) قال في القاموس ٢: ٣٣٧: عضضته وعليه ـ كسمع ومنع ـ عضّاً وعضيضاً: أمسكته بأسناني أو بلساني. وقال: بعد صفحة: غضّ طرفه: خفضه، واحتمل المكروه.

(٤) ذو قار: ماء لبكر. قاله في مراصد الاطّلاع ٣: ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦. وانظر: معجم البلدان ٤: ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

(٥) لم نجد لهذه البلدة في معجم البلدان ومراصد الاطلاع ذكراً، وليس في الأسماء المقاربة لها ما يناسب المقام، ولعلّ النون زائدة، فتدبّر، أو لعلها: داراً.

عـثمان، فقلـتما: اذهب بنا إلى هذا الرجل فإنّا لا نستطيع قتله إلاّ بك، فلما تعلم أنّه سيّر أبـا ذرّ رحمـه الله، وفـتق عمّـاراً، وآوى الحكـم بـن أبي العاص ـ وقد طرده رسـول اللهﷺ وأبـو بكـر وعمـر ـ واستعمل الفاسق على كتاب الله[1] الوليد بن عقـبة، وسلّط خالـد بـن عـرفطة العذري[2] على كتاب الله يمزّق ويخرق، فقلت: كـلّ هـذا قـد علمـت ولا أرى قـتله يومـي هـذا، وأوشـك سـقاؤه[3] أن يخـرج المخـض[4] زبدتـه، فأقـرا بمـا قلت. وأمّا قولكما: إنّكما تطلبان بدم عثمان فهذان ابناه عمرو وسعيد فخلّوا عنهما يطلبان بدم أبيهما، متى كانت أسدٌ وتيم أولياء بني أميّة؟! فانقطعا عند ذلك.

فقـام عمـران بن حصين الخزاعي صاحب رسول اللهﷺ ـ وهو الذي جاءت عـنه الأحاديـث ـ وقـال: يا هذان لا تخرجان ببيعتكما من طاعة عليّ، ولا تحملانا علـى نقـض بيعـته، فإنّها لله رضا، أما وسعتكما بيوتكما حتّى أتيتما بأُمّ المؤمنين؟! فالعجـب لاختلافها ايّاكما، ومسيرها معكما، فكُفّا عنّا أنفسكما، وارجعا من حيث جئتما، فلسنا عبيد من غلب، ولا أوّل من سبق. فهمّا به ثُمّ كفّا عنه.

وكانـت عائـشة قـد شكـت في مسيرها وتعاظمت القتال، فدعت كاتبها عبيد الله ابـن كعـب النميري فقالت: اكتب، من عائشة بنت أبي بكر إلى عليّ بن أبي طالب،

---

(١) قولهعليه السلام: الفاسق على كتاب الله: أي الذي سمّاه الله في كتابه فاسقاً، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً..﴾ السجدة: ١٨.

(٢) عُرفُطَة ـ بضم العين وسكون الراء وضم الفاء كما قاله في القاموس٢: ٣٧٣، ولسان العرب ٧: ٣٥٠ ـ اسم علم. والعذرى نسبة إلى جدّته العليا عذرة بنت سعد.

(٣) قولهعليه السلام: «وأوشك سقاؤه» لعلّه مثل.

(٤) المخضُ: تحريك السقاء الذي فيه الّلبنُ ليخرج ما فيه من الزَّبد. ذكره في النهاية٥: ٣٠٦، وانظر: لسان العرب ٧:٢٣٠، وتاج العروس٥: ٨٣، وغيرهما، والمعنى أنّه يفعل بنفسه ما يحصل به المقصود، أو يفعل هؤلاء فيه ما يغني عن فعل غيرهم.

فقال: هذا أمر لا يجري به القلم، قالت: ولِمَ؟! قال: لأنّ عليّ بن أبي طالب في الإسلام أوّل، وله بذلك البداء في الكتاب. فقالت: اكتب، إلى عليّ بن أبي طالب من عائشة بنت أبي بكر، أمّا بعد: فإنّي لست أجهل قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا قِدَمَكَ في الإسلام[(١)]، ولا غناك[(٢)] من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّما خرجت مصلحة بين بنيّ لا أُريد حربك إن كففت عن هذين الرجلين... في كلام لها كثير.

فلم أجبها بحرف، وأخّرت جوابها لقتالها، فلمّا قضى الله لي الحسنى سرت إلى الكوفة واستخلفت عبد الله بن عبّاس على البصرة، فقدمت الكوفة وقد اتّسقت لي الوجوه كلّها إلاّ الشام، فأحببت أن اتخذ الحجة، وأقضي العذر، وأخذت بقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾[(٣)]، فبعثت جرير بن عبد الله إلى معاوية معذراً إليه، متّخذاً للحجّة عليه، فردّ كتابي، وجحد حقّي، ودفع بيتي، وبعث إليّ أن أبعث إليّ قتلة عثمان، فبعثت إليه: ما أنت وقتلة عثمان؟! أولاده أولى به، فادخل أنت وهم في طاعتي ثُمّ

---

(١) قولها: (ولا قدمك) أي تَقدّمك في الإسلام وَسَبْقَكَ. ذكره الجزري، قاله في النهاية ٤: ٢٥ و ٢٦، وقارن بتاج العروس ٩: ١٩.

(٢) الغَنا ـ بالفتح ـ النفع: ويُقال ما يُغني عَنك هذا، أي ما يُجدي عنك وما ينفُعك. صرّح به في مجمع البحرين ١: ٣٢٠، وانظر: الصحاح ٦: ٢٤٤٩، والمصباح المنير ٢: ١٢٦. وفي بعض النسخ بالعين المهملة وهو التعب، والأوّل أظهر.

(٣) الأنفال: ٥٨، قوله تعالى: ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ أي معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾ أي نقض عهد بأمارات تلوح لك، ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي فاطرح إليهم، كما جاء في مجمع البحرين ٣: ١٨٩، والقاموس ١: ٣٥٩، وغيرهما. عهدهم ﴿عَلَى سَوَآءٍ﴾ أي على عدل، نصّ عليه في مجمع البحرين ١: ٢٣٤، وقريب منه في القاموس ٤: ٣٤٥. وطريق قصد في العداوة، ولا تناجزهم الحرب فإنّه يكون خيانة منك، أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد، وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول، أي ثابتاً على طريق سوي، أو من المنبوذ إليهم، أو منهما على غيره. ذكره البيضاوي في تفسيره ١: ٣٨٨ بدون أي التفسيرية بعد الآيات.

خاصموا إليّ القوم لأحملكم وإيّاهم على كتاب الله، وإلاّ فهذه خدعة الصبيّ عن رضاع المليّ[١].

فلمّا يئس من هذا الأمر بعث إليّ أن اجعل الشام لي حياتك، فإن حدث بك حادثة عن الموت لم يكن لأحد عليّ طاعة، وإنّما أراد بذلك أن يخلع طاعتي من عنقه فأبيت عليه.

فبعث إليّ: إنّ أهل الحجاز كانوا الحكم على أهل الشام، فلمّا قتلوا عثمان صار أهل الشام الحكام على أهل الحجاز، فبعثت إليه: إن كنت صادقاً فسمّ لي رجلاً من قريش الشام تحلّ له الخلافة، ويقبل في الشورى، فإن لم نجده سمّيت لك من قريش الحجاز مَن تحلّ له الخلافة، ويقبل في الشورى، ونظرت إلى أهل الشام فإذا هم بقيّة الأحزاب فراش نار وذباب[٢] طمَع تجمع من كلّ أوبٍ[٣] ممّن ينبغي له أن يؤدّب ويحمل على السنّة، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان، فدعوتهم إلى طاعة الجماعة فأبوا إلاّ فراقي وشقاقي، ثُمّ نهضوا في وجه المسلمين، ينضحونهم بالنبل[٤]، ويشجرونهم بالرماح، فعند ذلك

---

(١) قوله عليه السلام: «عن رضاع الملي» في الروايات الأخَر: خدع الصبيّ عن اللبن، ولعلّه هنا عن الرضاع الملي أي عن رضاع يتملأ الصبيّ منه بمعنى يستمتع الصبيّ منه، ولعلّ مراده عليه السلام كونه رضاعاً في مدّة طويلة يستمتع الصبيّ فيها من اللبن، وذلك لأنّ المَليّ بمعنى الحين الطويل، والمدّة الطويلة التي لا حدّ لها، كما نصّ عليه غير واحد، كما في مجمع البحرين ١: ٣٦٧ وغيره. ولعلّه ـ على ما في النسخ ـ المراد به رضاع اللبن الملي، أو الطفل الملي.

(٢) الفَراش ـ بالفتح ـ الطَّيرُ الَّذي يُلقِي نَفسَهُ في ضوء السراج كما جاء في النهاية ٣: ٤٣٠، ولسان العرب ٦: ٣٣٠، وغيرهما.

(٣) قوله عليه السلام: «مِن كُلِّ أوب» أي من جهة، ذكره في القاموس ١: ٣٧، وانظر: لسان العرب ١: ٢٢٠، وغيره وفي بعض النسخ: أَدَبٍ ـ بالدال المُهملة ـ وَهُوَ الظَّرفُ، قاله في القاموس ١: ٣٦، ومثله في لسان العرب ١: ٢٠٦.

(٤) نَضَحَ فلاناً بالنبل: رماهُ. صرّح به في لسان العرب ٢: ٦٢٠، والقاموس ١: ٢٥٣، وغيرهما. وقال: شَجَرَهُ بالرمح: طعنهُ.

نهضت إليهم، فلمّا عضّتهم السلاح، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها، فأنبأتكم أنّهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، وإنّما رفعوها مكيدة وخديعة، فامضوا لقتالهم، فقلتم: اقبل منهم وأكفف عنهم، فإنّهم إن أجابوا إلى ما في القرآن جامعونا على ما نحن عليه من الحق، فقبلت منهم وكففت عنهم، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حكمين ليحييا ما أحياه القرآن ويميتا ما أماته القرآن، فاختلف رأيهما واختلف حكمهما، فنبذا ما في الكتاب وخالفا ما في القرآن، وكانا أهله[١].

ثُمّ إنّ طائفة اعتزلت فتركناهم ما تركونا حتّى إذا عاثوا في الأرض[٢] يفسدون ويقتلون، وكان في من قتلوه أهل ميرة من بني أسد، وقتلوا خباب[٣] بن الأرت وابنه وأُمّ ولده، والحارث بن مرّة العبدي، فبعثت إليهم داعياً، فقلت: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، فقالوا: كلّنا قتلتهم، ثُمّ شدّت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين، فلمّا كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوّكم، فقلتم: كلّت سيوفنا، ونصلت أسنّة[٤] رماحنا، وعاد أكثرها قصيداً[٥]،

---

(١) قوله عليه السلام: «وكانا أهلَهُ» أي كانا أهلاً لمخالفة القرآن، ولم يكن مستبعداً منهما.

(٢) عثا يعثو عثواً: أفسَدَ. كما صرّح به في مجمع البحرين ١: ٢٨٢، والقاموس ٤: ٢٥٩، وغيرهما.

(٣) خَبّابَ ـ بالخاء المعجمة والباءين الموحدتين بينهما ألف ـ ابن الأرت ـ بالألف والراء المهملة والتاء الفوقانيّةَ المشدّدة ـ مات قبل الفتنة، ترحّم عليه عليّ عليه السلام فقال: يرحم الله خباباً لقد أسلَمَ راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، والأرت مَن في كلامه رتّةٌ وهي عجمة لا تغير الكلام. انظر: مجمع البحرين ٢: ٤٨.

(٤) قال في النهاية: يقال نصل السهم: إذا خرج منه النَّصلُ، ونَصَلَ ـ أيضاً ـ إذا ثَبَتَ نَصْلُهُ في الشيء، فهو منَ الأضداد. ينظر: النهاية ٥: ٦٧، ومثله في لسان العرب ١١: ٦٦٢.

(٥) قوله عليه السلام: «وعاد أكثرها قصداً» قال في القاموس: رُمحٌ قَصِدٌ ـ كَكَتِف ـ وقَصِيدٌ وأقصادٌ: مُتَكسِّرٌ. القاموس ١: ٣٢٧، ونظيره في لسان العرب ٣: ٣٥٥، وغيره، انتهى. وفي بعض النسخ: وعاد أكثرنا قعيداً، أي قاعداً عن الحرب عاجزاً، والقَعِيدُ: الجَرادُ لم يستوِ جَناحُهُ، كما صرّح به في الصحاح ٢: ٥٢٦، وقاله في القاموس ١: ٣٢٨، ولعله تصحيف.

فأذن لنا فلنرجع ولنقصد بأحسن عدّتنا، وإذا نحن رجعنا زدنا في مقاتلتنا عدّة من قتل منّا، حتّى إذا أظللتم[١] على النخيلة أمرتكم أن تلزموا معسكركم، وأن تضمّوا إليه نواصيكم[٢]، وأن توطّنوا على الجهاد نفوسكم، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ولا نسائكم، فإنّ أصحاب الحرب مصابروها وأهل التشهير فيها، والذين لا يتوجّدون من سهر ليلهم، ولا ظمأ نهارهم، ولا فقدان أولادهم ولا نسائهم.

وأقامت طائفة منكم معدّة، وطائفة دخلت المصر عاصية، فلا مَن دخل المصر عاد إليّ، ولا مَن أقام منكم ثبت معي ولا صبر، فلقد رأيتني وما في عسكري منكم خمسون رجلاً، فلمّا رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم فما قدر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا، لله أبوكم[٣]، ألا ترون أيّ مصر قد افتتحت؟ وأي أطرافكم قد انتقصت؟ وأيّ مسالحكم[٤] ترقى؟ وأي بلادكم تغزى؟ وأنتم ذوو عدد جمّ

---

(١) قوله عليه السلام: «ظللتم على النخيلة» على بناء التفعيل، وفي بعض النسخ على الإفعال، أي أشرفتم، يُقالُ: أظللك فلان: إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظلّهُ. جاء في الصحاح٥: ١٧٥٦، ولسان العرب١١: ٤١٨، وغيرهما، فَضُمِّنَ معنى الإشراف. ويُقالُ: ظَلتُ أعَملُ كذا ـ بالكسر ـ إذا عَملتَهُ بالنهار. ذكره في مجمع البحرين٥: ٤١٥، والصحاح٥: ١٧٥٦، وغيرهما، فيمكن أن يقرأ على بناء المجرد، لكن فيه تكلّف.

(٢) قوله عليه السلام: «نواصيكم» أي تطيعوا إمامكم في لزوم معسكركم، فإنّ الأخذ بالناصية كنايةٌ عن الإطاعة. وفي بعض النسخ: (قواصيكم) أي تدعوا إلى حضور معسكركم. الفرق القاصية البعيدة عنكم، ولعلّه أظهر.

(٣) قال في مجمع البحرين١: ١٧. في الحديث: لله أبوك، قيل: الأصل فيه أنّه إذا أُضيف شيء إلى عظيم اكتسى عظماً كبيت الله، فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه قيل: لله أبوك، للمدح والتعجب. أي لله أبوك خالصاً حيث أتي بمثلك وقيل: هو تهزّؤ، وقيل: تعجّب منهم وليس بدعاء.

(٤) في بعض النسخ مصالحكم: (وإلى مصالحكم تُرقى) أي تصعدُ، كما صرّح به في مجمع البحرين ١: ١٩٤، والقاموس٤: ٣٣٦، وغيرهما، وترفع من بينكم، أو من المهمُوز من رَقَأ الدَّمعُ إذا سكَنَ، ذكره صاحب الصحاح ١: ٥٣، القاموس١: ١٦، ولا يبعد أن يكون بالزاء مهموزاً من الرزء، بمعنى النقص فخُفِّفَ. وفي بعض النسخ إلى مسالحكم ـ بالسين ـ أي ثُغُورِكُم، قاله في مجمع البحرين ٢: ٢٧٤، والقاموس ١: ٢٢٩، وغيرهما، وهوَ الصواب، أي يرقى العدوّ عليها.

وشوكة شديدة، وأولو بأس قد كان مخوفاً، لله أنتم! أين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟

ألا إنّ القوم جدوا وتاسوا[١] وتناصروا، وإنّكم أبيتم وونيتم وتخاذلتم وتغاششتم، ما أنتم إن بقيتم على ذلك سعداء، فأنبهوا ـ رحمكم الله ـ نائمكم، وتحروا لحرب عدوّكم. فقد أبدت الرغوة[٢] عن الصريح، وأضاء الصبح لذي

---

(١) قوله عليه السلام: «تآسَوا»، أي اقتدى بعضُهُم ببعضٍ في التّعاوُن والجدّ، قال في الصحاح٦: ٢٢٦٨، والقاموس ٤: ٢٩٩ ما نصّه: تآسَوا أي آسى بعضهم بعضاً، وآساه بماله مواساة... أي جعله فيه اسوةً. ولعلّ ما في المتن يرجع إلى ما ذكرناه، فتدبر. وفي بعض النسخ: بَؤُسُوا ـ بضم الهمزة ـ مِنَ البأسِ ـ بمعنى الشدَّة في الحرب كما جاء في القاموس٢: ١٩٩، والصحاح٣: ٩٠٦ ـ ٩٠٧، وغيرهما.

(٢) قوله عليه السلام: «فقد أبدت»، وهي: أبدى: لازم ومتعدّ، يقال: أبديت في منطقك أي جُرت، فيكون المعنى بَدَأ الصريحُ عن الرغوة. ويجوز أن يكون متعدٍّ أو المفعول محذوف أي أبدى الصريح نفسه، وهذا المثل لعبيد الله بن زياد قاله لهاني بن عروة المرادي، وكان مسلم بن عقيل بن أبي طالب قد استخفى عنده أيّام بَعَثَه الحسين بن عليّ عليهما السلام، فلمّا عرف مكانه عبيد الله أرسل إلى هاني فسأله فكتمه، فتوعّده وخوّفه، فقال هاني: هو عندي، فعندها قال عبيد الله: أبدى الصريح عن الرغوة أي وضح الأمر وبان.

قال فضلة شعراً:

ألم تسلِ الفوارس يوم غول	بنضلة وهو موتور مشيحُ
رأوه فازدروه وهوَ حرٌ	وينفع أهله الرجل القبيحُ
ولم يخشوا مصالته عليهم	وتحت الرغوة اللبن الصريح

ومعنى البيت: رأوني فازدروني لدمامتي، فلمّا كشفوا عنّي وجدوا غير ما رأوا ظاهراً. يضرب عند انكشاف الأمر وظهوره.

أقول: ذكره الميداني في مجمع الأمثال١: ١٠٣ بألفاظ مقاربة.

الرغوة: فيها ثلاث لغات: رَغْوَةٌ ورُغْوَةٌ ورِغْوَةٌ، وحَكى الكسرَ فيها اللحياني وغَيرهُ، وهو زُبَد اللبن، وفي المثل: يُسرُّ حَسْواً في ارتغاء، يُضرَبُ لمَن يُظهر أمراً ويُريُد غيرهُ.

انظر: مجمع الأمثال للميداني٢: ٤١٦، والمستقى٢: ٤١٢، وفرائد اللآلى ٢: ٣٦٦، والعبارة كلّها جاءت في الصحاح ٦:٢٣٦٠. ومثلها في لسان العرب ١٤: ٣٣٠ إلاّ أنّه ليست فيه الجملة المعترضة؛ أعني (وحكى الكسر.. إلى آخره).

عينين، فانتبهوا إنّما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء وأهل الجفاء، ومن أسلم كرهاً، وكان لرسول اللهﷺ أنفاً[(١)] وللإسلام كلّه حرباً، أعداء السنّة والقرآن، وأهل البدع والأحداث، ومَن كانت نكايته تتّقى وكان على الإسلام وأهله مخوفاً، وأكلة الرشا، وعبيد الدنيا، ولقد أُنهي إليّ أنّ ابن النابغة لم يبايع معاوية حتّى شرط له أن يؤتيه أتيّة هي أعظم ممّا في يديه من سلطانه، فصغرت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين، وأيّ سهم لهذا المشتري وقد شرب الخمر، وضُرِبَ حدّاً في الإسلام؟! كلّكم يعرفه بالفساد في الدنيا، وإنّ منهم مَن لم يدخل في الإسلام وأهله حتّى رضخ له عليه رضيخة، فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت لكم ذكر مساوئه أكثر وأبور، وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم، كانوا على الإسلام ضدّاً، ولنبيّ اللهﷺ حرباً، وللشيطان حزباً، لم يتقدّم إيمانهم، ولم يحدث نفاقهم، وهؤلاء الذين لو وُلّوا

⮐

هذا مثل ساير يُضرَبُ لِظُهُورِ الحَقِّ. كما جاء في كتب الأمثال كمجمع الأمثال ١: ١٠٣، وفرائد اللآلي ١: ٨٤ وغيرهما.

قال الزمخشري في المستقصى ١: ١٥: أبْدَى الصريحُ عن الرَّغوة، هذا من مقلوب الكلام، وأصلُهُ أبدَتِ الرَغوةُ عَنِ الصريحِ، كقوله: وتحت الرغوة اللبن الصريح.

قال عبيد الله بن زياد لهاني بن عروة حين سأل عن مسلم ابن عقيل ـ وكان متوارياً عنه ـ فجحد ثُمّ اقرَّ، يُضرَبُ في ظهور كامن الأمر.

(١) قوله: أنفاً ـ ككتف أو كصاحب ـ ولعلّه من الأَنَفَة، بمعنى الاستنكاف كما جاء في القاموس ٣: ١١٩، والصحاح ٤: ١٣٣٣، وغيرهما. والتكبُّر.

والأظهر إلبا ـ باللام والباء ـ بقرينة حرباً، يقال: هم عليه إلبٌ ـ بالفتح والكسر ـ أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة، والتأليب: التحريض والإفساد، والألب ـ بالفتح ـ التدبير على العدو من حيثُ لا يَعلَمُ والطَردُ الشديد، ذكره في لسان العرب ١: ٢١٥ ـ ٢١٦، والقاموس ١: ٣٧.

والألب والحرب كثيراً ما يذكران معاً، وعلى التقديرين لا بد من تجوّز في اللام.

عليكم لأظهروا فيكم الفخر والتكبّر والتسلّط بالجبريّة والفساد في الأرض، وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلاً، منكم الفقهاء والعلماء والفهماء وحملة الكتاب والمتهجّدون بالأسحار، ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية السفهاء البطاة عن الإسلام الجفاة فيه؟!

اسمعوا قولي - يهدكم الله - إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لا تغووا، وإن عصيتموني لا ترشدوا، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

وقال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَآ أنت مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2]، فالهادي من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله هادٍ لأمّته على ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن عسى أن يكون الهادي إلاّ الذي دعاكم إلى الحقّ وقادكم إلى الهدى، خذوا للحرب أُهْبتها[3]، وأعدّوا لها عدّتها، فقد شبّت وأوقدت نارها[4]، وتجرّد لكم الفاسقون لكيلا يطفئوا نور الله بأفواههم ويغزوا عباد الله.

ألا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطعم والجفاء أولى بالحقّ من أهل البرّ والإخبات في طاعة ربّهم ومناصحة إمامهم، إنّي والله لو لقيتهم وحدي وهم أهل الأرض ما استوحشت منهم ولا باليت، ولكن أسف يبريني[5]، وجزع يعتريني

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) قال في القاموس ١: ٣٧: اَلأهْبَةُ - بالضم - اَلْعُدَّةُ.

(٤) قال الجوهري في الصحاح ١: ١٥١، ونظيره في لسان العرب ١: ٤٨١، شَبَبْت النّارَ وَالْحَربَ أَشُبُّها شبّاً وشُبُوباً: إذا أوقدْتُهُما.

(٥) قوله عليه السلام: «ولكن أسف يبريني» أي يَهْزُلني، منْ بَرَيْتُ السَّهْمَ، قال في القاموس ٤: ٣٠٣: وبراه السفر يبريه برياً: هزله. وقال في الصحاح ٦: ٢٢٨٠: وبريتُ القلم برياً وبريت البعير أيضاً: إذا حسرته وأذهبت لحمه. أوْ يَنْبَرِيني مِن انْبَرى لَهُ، أيْ اِعْتَرَضَ. كما جاء في الصحاح ٦: ٢٢٨٠،

من أن يلي هذه الأمّة فجّارها وسفهاؤها، فيتّخذون مال الله دُوَلاً[١]، وكتاب الله دَغَلاً[٢]، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً. وأيم الله، لو لا ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتحريضهم، وتركتكم إذا أبيتم حتّى ألقاهم متى حُمَّ[٣] لي لقاؤهم، فوالله إنّي لعلى الحقّ، وإنّني للشهادة لمحبّ، وإنّي نافرتكم فـ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[٤]، ولا تثاقلوا في الأرض فتعمّوا بالذلّ، وتقرّوا بالخَسف[٥]، ويكون نصيبكم الأخسر، إنّ أخا الحرب اليقظان الأرق[٦]، إن نام لم تنم عينه، ومن ضعف أوذي، ومن كره الجهاد في سبيل الله كان المغبون المهين.

⬅

والقاموس ٤: ٣٠٣، وغيرهما. أو يريني مِنْ وَرىَ الْقيحُ جَوْفَهُ: أفْسَدَهُ، وَفلانٌ وَرى فُلاَناً أصابَ رِئَتَهُ. ذكره في القاموس ٣٩٩/٤، وتاج العروس ١٠: ٣٨٨، أو يريبني مِنْ أرْبَيْتُهُ، أيْ زدتُهُ. نصّ عليه في النهاية ٢: ١٩٢، ولسان العرب ٧ ـ ٣٠٥، وغيرهما، يعني يزيدني همّاً، وكانت نسخ المنقول منه تحتمل الجميع.

(١) الدُّوَلُ ـ جَمْعُ دُولَة، بِالضَّمِّ ـ هُوَ ما يُتداوَلُ مِنَ الْمالِ، فَيَكُونُ لِقَومٍ دُونَ قَوْمٍ، قاله في النهاية ٢: ١٤٠، ومقارب له في تاج العروس ٧: ٣٢٦.

(٢) (كتاب الله دَغَلاً) أيْ يَخْدَعُونَ النّاسَ به صرّح به في لسان العرب ١١: ٢٤٥، والنهاية ٢: ١٢٣، وَالدَّغَلُ ـ بالتحريك ـ اَلْفَسادُ وَالشَّرُّ وَاَلْمَكْرُ، قال في مجمع البحرين ٥: ٣٧٢: دَغَلُ السريرة: خبثها ومكرها وخديعتها. وقال في الصحاح ٤: ١٦٩٧: الدَّغَلُ ـ بالتحريك ـ الفساد، مثل الدَّخلُ، وقال في الصفحة: ١٦٩٦ منه: والدَّخْلُ: العيب والريبة، وكذلك الدَّخلُ ـ بالتحريك ـ دَخَلاً بينكم، أي مكراً وخديعة.

(٣) حُمَّ لَهُ كَذا ـ على المجهول ـ قُدِّرَ، كما جاء في القاموس ٤: ١٠٠، والصحاح ٥: ١٩٠٤، وغيرهما.

(٤) التوبة: ٤١.

(٥) وَالْخَسْفُ: الذّلُّ وَالْمَشَقَّةُ وَالنُّقْصانُ، صرّح به في الصحاح في اللغة ٤: ١٤٤٥، ولسان العرب ١٠: ٤، وغيرهما.

(٦) الأرَقُ: اَلسَّهَرُ، وَقَدْ أرِقْتُ ـ بالكسر ـ أيْ سَهِرْتُ، فَأنَاَ اَرِقٌ، ذكره الجوهري، وصرّح به في الصحاح ٤: ١٢٥٠، ولسان العرب ٩: ٦٨.

إنّي لكم اليوم على ما كنت عليه أمس ولستم لي على ما كنتم عليه، من تكونوا ناصريه أخذ بالسهم الأخيب، والله لو نصرتم الله لنصركم وثبّت أقدامكم، إنّه حقّ على الله أن ينصر من نصره ويخذل من خذله، أترون الغلبة لمن صبر بغير نصر[1]، وقد يكون الصبر جبناً ويكون حميّة، وإنّما الصبر بالنصر[2]، والورود بالصدر، والبرق بالمطر.

اللّهم اجمعنا وإيّاهم على الهدى، وزهّدنا وإيّاهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيراً لنا من الأُولى.

---

(١) قوله: «بغير نصر» أي من الله تعالى، فينبغي أن يكون الصبر لله تعالى، فإنّ الصبر قد يكون لأجل الجبن عن الفرار وللحميّة، ويمكن أن يقرأ بالبصر ـ بالباء ـ أي بالعلم أو البصيرة.

(٢) قوله ﷺ: «وإنّما الصبر بالنصر» أي ما قرن الصبر إلاّ بالنصر، وفي بعض النسخ بالعكس، وهو ظاهر. ويؤيّد الأوّل الفقرتان اللّتان بعدهما، فإنّ المراد بهما أنّ الورود على الماء مقرون بالصدور. وَالصَّدْرُ ـ بالفتح ـ اَلرُّجُوعُ.

الفهارس

فهرس الآيات

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة الرعد

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة النور

سورة الفرقان

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة فاطر

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة فصلت

سورة الزخرف

سورة الجاثية

سورة محمد صلى الله عليه وآله

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة الذاريات

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الملك

سورة الجن

سورة الحاقة

سورة الإنسان

سورة النازعات

سورة عبس

سورة الغاشية

سورة الشمس

******

فهرس الأحاديث

*****

فهرس الأعلام

ألف

باء

تاء

ثاء

جيم

حاء

خاء

دال

ذال

راء

زاي

سين

شين

صاد

عين

فاء

قاف

كاف

نون

واو

هاء

ياء

فهرس القبائل والأمم

******

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المكتبات

*****

فهرس الحيوانات

انتهت الفهارس بعون الله

❊❊❊❊❊

فهرس المصادر والمراجع

١ـ إثبات الوصية، علي بن الحسين المسعودي (ت٣٣٣هـ)، ط النجف الأشرف.

٢ـ إثبات الهداة، الشيخ الحر العاملي، ط ١.

٣ـ أثر التشيّع في الأدب العربي، محمّد الگيلاني، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٤٧م.

٤ـ الاحتجاج، الشيخ أبو علي الطبرسي المتوفّى بعد سنة (٥٨٨ هـ)، الأعلمي، بيروت١٩٨٣م، ط٢.

٥ـ الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل (ت٢٨٧هـ).

٦ـ أخبار شعراء الشيعة، أبو عبيد الله محمّد المرزباني (ت٣٨٥هـ)، ١٩٦٥م.

٧ـ الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري المتوفّى حدود سنة (٢٩٠هـ)، ط القاهرة سنة ١٩٦٠م، تحقيق: عبد المنعم عامر والدكتور جمال الدين الشيال.

٨ـ أخبار القضاة، وكيع محمّد بن خلف بن حيان، (ت ٣٠٦هـ)، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، ط مصر.

٩ـ الاختصاص، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان المتوفّى سنة (٤١٣هـ).

١٠ـ اختلاف أصول المذهب، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمّد المصري المتوفّى سنة (٣٦٣هـ)، تحقيق: الأستاذ مصطفى غالب، ط بيروت، (١٣٩٣ هـ).

١١ـ الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، نايف معروف.

١٢ـ الأدب السياسي في صدر الإسلام، للمؤلف، دار الهادي، بيروت.

١٣ـ الأدب الفرد، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ).

١٤ـ الأربعون حديثاً، منتجب الدين عليّ بن عبيد الله من أعلام القرن السادس الهجري، ط ١، مطبعة أمير المؤمنين، قم ١٤٠٨هـ.

١٥ـ الافراد، علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت٣٨٥هـ).

١٦ـ الإرشاد، الشيخ المفيد، طهران الطبعة الحجرية، والطبعة الجديدة، قم.

١٧ـ استناد نهج البلاغة، امتياز علي عرشي، باللغة الأردوية، ترجمه إلى العربية عامر الانصاري، مجلة ثقافة الهند، العدد الرابع، المجلد الثامن ديسمبر١٩٠٧م.

١٨ـ إرشاد القلوب، الديلمي، منشورات الرضي، قم ١٣٩٨هـ

١٩ـ أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، محمّد بن حبيب البغدادي المتوفّى سنة (٢٤٥هـ)، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هرون، ط القاهرة ١٣٧٤هـ .

٢٠ـ الاشتقاق، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري المتوفّى ببغداد سنة (٣٢١هـ)، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمديّة ١٣٧٨هـ

٢١ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر أحمد بن عليّ (ت٨٥٢ هـ)، المطبعة الشرقية، مصر.

٢٢ـ أضواء على السنّة المحمدية، محمود أبو ريّة، دار الكتاب الإسلامي ١٩٨٥م، وطبعة مصر.

٢٣ـ إعانة الطالبين، البكري عثمان بن محمّد الدمياطي (ت١٣٠٢هـ)، مصر ١٣٠٧هـ

٢٤ـ إعجاز القرآن، أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني المتوفّى في شوال عام (٣٧٢هـ)، طبعة دار المعارف بالقاهرة، تحقيق: السيد أحمد الصقر.

٢٥ـ الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني المتوفّى عام (٣٥٦هـ) كما في (روضات الجنات)، أو سنة ثلثمائة ونيفٍ وستين كما في فهرست ابن النديم، الطبعة الأولى.

٢٦ـ الاقتصاد الهادي إلى طريقة الرشاد، الشيخ الطوسي، مطبعة خيام، قم ١٤٠٠هـ .

٢٧ـ إكمال الدين وإتمام النعمة، الشيخ الصدوق محمّد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي المتوفّى سنة(٣٨١هـ).

٢٨ـ الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي المتوفّى بقرطبة سنة (٣٥٦هـ)، ط دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢٩ـ الأمالي الأصبهانية، حسين المحاملي، مخطوط.

٣٠ـ الأمالي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الصيمري المعروف بالزجاجي المتوفّى سنة (٣٢٩هـ)، ط مصر.

٣١ـ الأمالي، علي بن عمر القزويني، (ت ٤٤٢هـ).

٣٢ـ الأمالي، عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجراح البغدادي (ت ٣٥٠هـ).

٣٣ـ الأمالي، محمّد بن حبيب البغدادي المتوفّى(٢٤٥هـ).

٣٤ـ الأمالي، الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ابتدأ باملائه يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة سبع وستين وثلاثمائة، وأملى آخر مجلس منه وهو المجلس السابع والتسعون يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثمائة في مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

٣٥ـ الأمالي، الشيخ الطوسي، (ت ٤٦٠هـ)، ط طهران.

٣٦ـ الأمالي، الشيخ المفيد، ويسمى هذا الكتاب بالمجالس، المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ١٣٦٩ هـ

٣٧ـ الأمالي، هلال بن محمّد الحفّار، (ت ٤١٤ هـ).

٣٨ـ الإمامة والسياسة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي الدينوري المتوفّى على الأشهر في رجب سنة (٢٧٦هـ).

٣٩ـ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيّان علي بن محمّد بن عباس التوحيدي المتوفّى في حدود سنة (٣٨٠هـ)، ط مصر.

٤٠ـ الأمثال، المفضل بن محمّد الضبّي المتوفّى سنة(١٦٨ هـ).

٤١ـ أنساب الأشراف، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري المتوفّى سنة (٢٧٩هـ).

٤٢ـ الإفصاح في الإمامة، الشيخ المفيد، (ت٤١٣ هـ).

٤٣ـ الإنصاف، عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي المعتزلي، (ت٣١٩ هـ).

٤٤ـ الإنصاف في الإمامة، أبو جعفر محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي.

٤٥ـ الأوائل، أبو هلال العسكري فرغ من تأليفه في ١٠ شعبان سنة (٣٩٥هـ) وهي سنة وفاته، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٧م.

٤٦ـ الإيجاز والإعجاز، عبد الملك بن محمّد الثعالبي، (ت٤٢٩ هـ).

٤٧ـ إيضاح الحق والابتداء، محمّد بن القاسم النحوي،(ت٣٢٨ هـ)، ط دمشق.

٤٨ـ بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت١١١١هـ)، ط بيروت ١٩٨٣م.

٤٩ـ البديع، عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المقتول سنة (٢٩٦ هـ)، تحقيق: محمّد عبد المنعم الخفاجي، ط القاهرة.

٥٠ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، محمّد بن علي بن محمّد الطبري الآملي المتوفّى بعد سنة (٥٥٣ هـ).

٥١ ـ البصائر والذخائر، أبو حيّان التوحيدي، تحقيق: الأستاذان أحمد أمين والسيد أحمدصقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ١٣٧٣ هـ.

٥٢ـ بصائر الدرجات، أبو جعفر محمّد بن الحسن الصفار المتوفّى سنة (٢٩٠هـ)، ط تبريز سنة (١٣٨١ هـ).

٥٣ـ البلدان، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه من أعلام الأدباء في أواخر القرن الثالث ألّف كتاب (البلدان) من ألف ورقة بعد موت المعتضد العباسي سنة (٢٧٩هـ)، وطبع الكتاب في عدن سنة١٨٨٥م.

٥٤ـ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفّى (٢٥٥هـ)، المطبعة العلمية في القاهرة ١٣١١هـ وتحقيق: عبد السلام هارون، ط دار الفكر، بيروت.

٥٥ـ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال ١٩٥٧م.

٥٦ـ تاريخ الآدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٦م.

٥٧ـ تاريخ الأمم والملوك، محمّد بن جرير الطبري المتوفّى (٣١٠هـ)، المطبعة الحسينية في مصر.

٥٨ـ تاريخ دمشق، علي بن الحسين المشهور بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، باب ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام.

٥٩ـ تاريخ المغرب الكبير، الشيخ محمّد عليّ دبوز، ط ١، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣م.

٦٠ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المتوفّى سنة (٢٨٤هـ)، ط بيروت.

٦١ـ تجارب الأمم، علي بن أحمد بن مسكوية (ت ٤٢١هـ).

٦٢ـ تحف العقول، أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني المعاصر للشيخ الصدوق، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٦٣ـ تذكرة الخواص، يوسف بن خزعلي سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، ط النجف الأشرف.

٦٤ـ التصحيف والتحريف، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري من مشايخ الصدوق.

٦٥ـ التعازي والمراثي، محمّد بن يزيد المبرد (ت ٢٥٨هـ).

٦٦ـ تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، من أعيان القرن الثالث، ط (النجف الأشرف).

٦٧ـ تفسير العياشي، أبو النضر محمّد بن مسعود بن محمّد بن عياش السلمي السمرقندي من علماء المائة الثالثة، والموجود من تفسير العياشي من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف طبع في جزئين في المطبعة العلمية بقم ١٣٨٠هـ

٦٨ـ تفسير فرات الكوفي، وهو الشيخ فرات بن إبراهيم بن فرات يروي فيه عن الحسين بن سعيد الأهوازي صاحب الإمام الرضا عليه السلام، ط المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

٦٩ـ تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧هـ)، قم ١٤٠٤هـ

٧٠ـ تلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٦م.

٧١ـ تنبيه الخواطر، الشيخ ورّام بن أبي فراس (ت٦٠٥ هـ).

٧٢ـ تنوير الحوالك على شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٧٣ـ التوحيد، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، ط إيران.

٧٤ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.

٧٥ـ تهذيب الكمال، الحافظ المزّي جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٧٤٢ هـ).

٧٦ـ تيسير المطالب في ترتيب أمالي السيّد أبي طالب، مخطوط. أصل الأمالي لأبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني الزيدي (ت٤٢٤هـ)، والتيسير لشمس الدين جعفر بن أحمد السناعي (ت٥٧٣ هـ).

٧٧ـ ثمرات الأسفار، محمّد نجيب مروة العاملي معاصر لآقا بزرك الطهراني.

٧٨ـ جامع البيان، ابن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ

٧٩ـ الجامع الصحيح، الترمذي محمّد بن عيسى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٨٠ـ الجامع الصغير، الترمذي محمّد بن عيسى بن سورة(ت٢٧٩هـ).

٨١ ـ الجرح والتعديل، عبد الرحمن الحنظلي المعروف بابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، ط حيدر آباد.

٨٢ـ الجعفريات، إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادقعليه السلام، وقد يعرف هذا الكتاب بـ (الأشعثيات) نسبة إلى رواية محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي.

٨٣ـ الجمع بين الغريبين، أبو عبيد أحمد بن محمّد بن محمّد بن أبي عبيد العبدي الهروي المتوفّى سنة (٤٠١هـ)، وهذا الكتاب مخطوط بخط قديم بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ولكنه عاطل من حلية التاريخ، برقم ٥٠/ ١٥٨٨/ لغة.

٨٤ـ الجَمل، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفّى سنة (١٥٧هـ).

٨٥ ـ الجمل، الشيخ المفيد المتوفّى سنة (٤١٣هـ)، واسم الكتاب (النصرة في حرب البصرة) ولكن ذكرناه بأشهر وأخصر أسمائه، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٦٨هـ

٨٦ ـ الجَمل، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد الواقدي المولود سنة (١٣٠هـ) والمتوفّى ببغداد سنة (٢٠٧هـ).

٨٧ ـ جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري المتوفّى سنة (٣٩٥هـ)، ط القاهرة سنة ١٣٨٤هـ تحقيق: الأستاذان محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. ومع اختلاف المؤرخين في سنة وفاة أبي هلال العسكري فإنّه مما لا شك فيه أنّه توفي في أواخر القرن الرابع.

٨٨ ـ جمهرة الأنساب، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي المتوفّى بالكوفة سنة (٢٠٤) أو (٢٠٦هـ).

٨٩ ـ جولات إسلامية، محمّد أمين النواوي.

٩٠ـ الحدائق الوردية، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ).

٩١ـ حقائق التأويل، الشريف الرضي (ت٤٠٦ هـ).

٩٢ـ الحكم الخالدة، ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ).

٩٣ـ الحكم والأمثال، الحسين بن عبد الله العسكري(ت ٤٨٢هـ).

٩٤ـ حلية الأولياء، أبو نعيم عبد الله بن أحمد الأصبهاني المتوفّى سنة (٤٠٢ هـ)[1]، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١هـ

٩٥ـ الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط بيروت.

٩٦ـ خاص الخاص، الثعالبي، (ت ٤٢٩هـ).

٩٧ـ الخرائج، سعيد بن هبة الله الراوندي (ت٥٧٣هـ).

٩٨ـ الخصال، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ) الطبعة الحجرية، إيران، والطبعة الجديدة، وطبعة جماعة المدرسين١٤٠٣.

٩٩ـ خطب علي، إبراهيم بن الحكم الفزاري.

١٠٠ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، زيد بن وهب (ت٩٦هـ).

١٠١ـ الخطبة الزهراء، أبو مخنف لوط بن يحيى(ت١٥٧هـ).

١٠٢ـ خطب علي عليه السلام، نصر بن مزاحم (ت ٢٠٢هـ).

١٠٣ـ خطب علي عليه السلام، أبو المنذر الكعبي، (ت ٢٠٥هـ).

١٠٤ـ خطب علي عليه السلام وكتبه إلى عمّاله، أبو عمر الواقدي المدائني (ت٢٠٧هـ).

١٠٥ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، ابن خالد الخراز الكوفي (ت ٣١٠هـ).

١٠٦ـ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، القاضي نعمان المصري، (ت٣٦٣هـ).

١٠٧ـ الخطب، مسعدة بن صدقة.

١٠٨ـ الخوارج، أبو الحسن المدائني.

---

(١) يذكر ابن خلكان أنّ وفاته سنة (٤٣٠)، وأخذنا برواية نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي في كتابه (نظام الأقوال في أحوال الرجال).

١٠٩ـ الدرجات الرفيعة، السيّد عليّ خان (ت ١١٢١هـ)، مكتبة بصيرتي، قم.

١١٠ـ الدرر الكامنة، محمّد بن عبد القادر الشهرزوري من أعلام القرن الثامن، المكتبة السليمانية.

١١١ـ الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي، مخطوط، مكتبة العلاّمة الأميني، النجف الأشرف.

١١٢ـ دستور معالم الحكم، القاضي محمّد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ) ط مصر.

١١٣ـ دعائم الإسلام، أبو حنيفة النعمان القاضي المصري (ت٣٦٣هـ)، الطبعة الأولى القاهرة باشراف الأستاذ آصف بن علي أصغر فيضي.

١١٤ـ الدعوات، قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ)، دار المرتضى، بيروت١٩٨٧م.

١١٥ـ دلائل الإمامة، محمّد بن جرير الطبري من أعلام القرن الرابع الهجري.

١١٦ـ ديوان المعاني، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ).

١١٧ـ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري، ت ٦٩٤هـ

١١٨ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، ط الغري١٩٣٦م.

١١٩ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني حسين بن محمّد (ت٥٠٢هـ).

١٢٠ـ ذيل أمالي القالي، ط دار الكتب المصرية.

١٢١ـ ربيع الأبرار، الزمخشري (ت٥٢٨هـ).

١٢٢ـ الرجال، أبو عمرو محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، ط بمبي(١٣١٧ هـ)، واسم هذا الكتاب (معرفة الناقلين عن الائمة الصادقين)، وإنّما ذكرناه بأشهر أسمائه، هذا وليعلم أنّ الموجود بأيدي الناس من هذا الكتاب هو مختصره لأبي جعفر الطوسي (قدس سره)، ولا يدرى بالأصل أين استقر به الحال؟ والكشي من تلامذة العياشي فهو من رجال القرن الثالث.

١٢٣ـ رسائل أمير المؤمنين عليه السلام، إبراهيم بن هلال الثقفي (ت٢٨٣هـ).

١٢٤ـ رسائل الجاحظ، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون، ط القاهرة.
١٢٥ـ الرّسائل، الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني صاحب (الكافي) المتوفّى سنة (٣٢٩هـ).
١٢٦ـ الرسائل العشر، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ).
١٢٧ـ الروض النضير، إبراهيم بن محمّد الأمير الصنعاني (ت١٢١٣هـ).
١٢٨ـ الروضة للكليني، ط النجف سنة ١٣٨٥هـ
١٢٩ـ الرياض النضرة، أحمد بن عبد الله المحب الطبري (ت ٦٩٤هـ).
١٣٠ـ الزواجر والمواعظ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري المتوفّى سنة (٣٨٢هـ).
١٣١ـ زهد أمير المؤمنين عليه السلام، العياشي (ت ٣٠٠هـ) أو قبل ذلك.
١٣٢ـ الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، مصورة في مكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.
١٣٣ـ الزهد، الحسين بن سعيد الأهوازي (ت٩٥هـ).
١٣٤ـ الزهد، ابن المبارك، ط مصر.
١٣٥ـ زين الفتى في تفسير هل اتى، أحمد بن محمّد العاصمي من أعلام القرن الرابع الهجري.
١٣٦ـ زيادات السقيفة، أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت٣٩٥هـ).
١٣٧ـ سنن ابن ماجة، محمّد بن يزيد (ت٢٧٥هـ)، دار الفكر، بيروت.
١٣٨ـ سنن النسائي، أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، ط دار الفكر، بيروت.
١٣٩ـ سفينة البحار، عباس القمي (ت١٣١٩هـ)، دار الأسوة، قم١٤٢٢هـ.
١٤٠ـ السقيفة، الجوهري المذكور آنفاً.
١٤١ـ الشافي، السيّد المرتضى علم الهدى (ت٤٣٦هـ)، مؤسسة الصادق طهران.

١٤٢ـ شجرة طوبى، محمّد مهدي الحائري، المكتبة الحيدرية النجف، ط ٥، سنة ١٣٨٥هـ.

١٤٣ـ شرح الخطبة الشقشقية، السيّد المرتضى (ت٤٣٦ هـ).

١٤٤ـ شرح نهج البلاغة، القطب الراوندي (ت٥٧٣هـ).

١٤٥ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ط بيروت، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٥م.

١٤٦ـ شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ)، جماعة مدرسين قم، وطبعة دفتر تبليغات١٣٦٢هـ ش.

١٤٧ـ الشورى، أبو عامر الشعبي.

١٤٨ـ الشورى، محمّد بن عمر الواقدي المدائني(ت٢٠٧هـ).

١٤٩ـ صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٥٠ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١)، دار الفكر، بيروت.

١٥١ـ صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ط بيروت.

١٥٢ـ الصديق والصداقة، أبو حيّان التوحيدي المتوفّى(٣٨٠هـ)، مطبعة الجوائب في الآستانة سنة ١٣٠١ هـ.

١٥٣ـ الصراط المستقيم، البياضي، عليّ بن يونس العاملي (ت٨٧٧ هـ)، المكتبة المرتضوية لإحياء التراث.

١٥٤ـ صفات الشيعة، محمّد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ).

١٥٥ـ صفّين، إبراهيم بن الحسين بن ديزيل المحدّث المتوفّى سنة (٢٨١ هـ).

١٥٦ـ صفّين، أبو الحسن المدائني المتوفّى سنة (٢٢٥هـ).

١٥٧ـ صفّين، عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة(٣٣٢هـ).

١٥٨ـ صفّين، نصر بن مزاحم المنقري المتوفّى سنة(٢٠٢هـ)، وهذا الكتاب

حقّقه الأستاذ عبد السلام هارون، ولا يخفى أنّ نسخ هذا الكتاب سواء المطبوعة في إيران أو بيروت أو مصر ناقصة.

١٥٩ـ كتاب الصناعتين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفّى سنة (٣٩٥). تحقيق: الأستاذان محمّد علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

١٦٠ـ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمّد بن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي المتوفّى ببغداد سنة (٢٣٠ هـ)، ط ليدن و ط بيروت.

١٦١ـ طبقات النحويين، أبو بكر محمّد بن الحسن الزبيدي المتوفّى سنة (٣٧٩هـ)، تحقيق: الأستاذ محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط مصر.

١٦٢ـ الطراز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، طهران، مؤسسة نصر.

١٦٣ـ الظرف والظرفاء، محمّد بن أحمد الوشاء النحوي (ت٣٢٥هـ).

١٦٤ـ العقد الفريد، أحمد بن عبد ربّه المالكي المتوفّى سنة (٣٢٨هـ)، المطبعة الأزهرية في القاهرة ١٣٢١هـ.

١٦٥ـ علل الشرائع، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، طبع في النجف الأشرف.

١٦٦ـ عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، طبع في قم.

١٦٧ـ عيون الأخبار، ابن قتيبة (٢٧٦ هـ)، طبع في دار الكتب المصرية.

١٦٨ـ عيون الجواهر، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١).

١٦٩ـ الغارات، إبراهيم بن هلال الثقفي المتوفّى في حدود سنة (٢٨٣هـ)، وقد طبع الكتاب أخيراً مطبعة بهمن، قم.

١٧٠ـ غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلاّم المتوفّى سنة (٢٢٣هـ).

١٧١ـ غريب الحديث، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، توجد منه نسخة في المكتبة

الظاهرية بدمشق في مجلدين برقم (١٥٧١)، ونسخة مصورة عنها في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة في النجف الأشرف.

١٧٢ـ غريب الحديث، أبو عبيدة الهروي (ت ٤٠١هـ).

١٧٣ـ كتاب الغريبين، لأبي عبيدة الهروي (ت ٤٠١هـ).

١٧٤ـ الغيبة، الشيخ محمّد بن إبراهيم النعماني المعروف بابن أبي زينب من علماء القرن الثالث، الطبعة الحجرية، إيران ١٣١٧هـ

١٧٥ـ الفاخر، ابن عاصم (ت ٢٩١هـ).

١٧٦ـ الفاضل، أبو العباس المبرد (ت٢٥٨هـ)، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

١٧٧ـ الفتن، نعيم بن حمّاد (ت٢٢٨هـ).

١٧٨ـ الفتن، ابن صالح السليلي، ألّفه سنة (٣٠٧هـ).

١٧٩ـ الفتنة وواقعة الجمل، أحمد بن راتب عرموش، دار النفائس، بيروت ١٩٧٢م.

١٨٠ـ فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري (٢٧٩هـ).

١٨١ـ الفتوح، أبو محمّد أحمد بن أعثم المتوفّى (٣١٤هـ)، ط حيدر آباد سنة ١٣٨٨هـ.

١٨٢ـ الفتوح، أبو الحسن علي بن الحسين المدائني.

١٨٣ـ فجر الإسلام، أحمد أمين، ط٨، القاهرة.

١٨٤ـ فرائد السمطين، إبراهيم الجويني الشافعي (٧٣٠هـ)، مؤسسة المحمودي، بيروت ١٩٧٨م.

١٨٥ـ الفرج بعد الشدة، أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي المتوفّى عام (٣٨٤ هـ)، ط دار الطباعة المحمّدية بالقاهرة ١٣٧٥هـ.

١٨٦ـ الفرقة الناجية، القطيفي (ت ٩٤٥هـ).

١٨٧ـ الفصول المختارة، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ).

١٨٨ـ الفضائل، الإمام أحمد بن حنبل.

١٨٩ـ الفصول المهمّة، عبد الحسين شرف الدين(ت١٣٧٧هـ)، ط٧، دار الزهراء، بيروت.

١٩٠ـ فقه السنّة، السيّد سابق، دار الكتاب العربي، ط٨ بيروت ١٩٨٧م.

١٩١ـ الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م، وطبعة ١٩٥٥م.

١٩٢ـ الفوائد الرجالية، السيّد بحر العلوم، مطبعة افتاب، طهران١٣٦٣هـ

١٩٣ـ فهرست الطوسي، الشيخ محمّد بن الحسن(ت ٤٦٠هـ)، منشورات الرضي، قم.

١٩٤ـ الفهرست، ابن النديم (ت٤٣٨هـ).

١٩٥ـ القاموس، للفيروز آبادي.

١٩٦ـ قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي (ت ٢٩٠هـ) المعاصر للإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليه، ط الحيدرية في النجف.

١٩٧ـ قوت القلوب، أبو طالب محمّد بن علي بن عطية المكي المتوفّى سنة (٣٨٢هـ)، طبع القاهرة.

١٩٨ـ الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني المتوفّى عام (٣٢٩هـ)، ط دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٩٩ـ الكامل، أبو العباس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري المشهور بالمبّرد المتوفّى ببغداد سنة (٢٨٥هـ)، ط دار العهد الجديد بالقاهرة.

٢٠٠ـ الكامل في الضعفاء، عبد الله بن علي المعروف بابن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، ط دار الفكر، بيروت.

٢٠١ـ كتاب الأموال، أبو عبيدة القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤)، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.

٢٠٢ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي، من أصحاب الإمام السجادعليه السلام والمتوفّى في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط النجف الأشرف.

٢٠٣ـ كتاب ابن دأب، وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب المعاصر لموسى الهادي الخليفة العباسي، ذكر في هذا الكتاب سبعين خصلة من خصال أمير المؤمنين عليه السلام نقلها الشيخ المفيد عليه الرحمة في (الاختصاص) ص ١١٤ بإسناده إلى ابن دأب، وأوردها العلامة المجلسي في (التاسع من البحار) ص ٤٥٠ ط كمپاني.

٢٠٤ـ كشف اللثام، محمّد بن الحسن الأصفهاني المعروف بالفاضل الهندي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم١٤١٦هـ

٢٠٥ـ كنز العمال، المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

٢٠٦ـ الكنى والألقاب، عباس القمي، ط صيدا، وطبعة قم، وطبعة النجف.

٢٠٧ـ لسان الميزان، ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٠هـ.

٢٠٨ـ اللمع، ابن نصر السّراج (ت ٢٠٠هـ).

٢٠٩ـ المؤتلف والمختلف، ابن دريد (ت٣٢١هـ).

٢١٠ـ مائة كلمة من كلمات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو عثمان الجاحظ المتوفّى سنة (٢٥٥هـ).

٢١١ـ ما هو نهج البلاغة، الشهرستاني.

٢١٢ـ المجالس، أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي مولى بني شيبان المعروف بثعلب المتوفّى سنة (٢٩١هـ).

٢١٣ـ المجازات النبوية، الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ).

٢١٤ـ المجتبى، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد(ت٣٢١هـ).

٢١٥ـ المجلي، ابن أبي جمهور الأحسائي.

٢١٦ـ مجمع الأمثال، الميداني (ت٥١٨هـ).

٢١٧ـ مجمع الزوائد، الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠٨هـ

٢١٨ـ مجمع الفائدة، المحقق الأردبيلي (ت٩٩٣هـ)، جامعة مدرسين، قم.

٢١٩ـ المجموع، محيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٢٠ـ المحاسن، أبو جعفر أحمد بن خالد البرقي المتوفّى سنة (٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ)، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٨٤هـ.

٢٢١ـ المحاسن والأضداد، أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، ط القاهرة.

٢٢٢ـ المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمّد البيهقي أحد أعلام القرن الثالث، ط بيروت.

٢٢٣ـ المحلّى، ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت

٢٢٤ـ محمّد المثل الكامل، محمّد جاد المولى بك، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣١م.

٢٢٥ـ مدارك الأحكام، محمّد بن عليّ العاملي(ت١٠٠٩هـ)، الطبعة الحجرية ١٢٦٨هـ

٢٢٦ـ مرآة الجنان، عبد الله بن سعد اليمني (ت٧٦٨هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧٠م.

٢٢٧ـ المراجعات، عبد الحسين شرف الدين، طبعة بيروت، وطبعات آخرى.

٢٢٨ـ المسند، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

٢٢٩ـ مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي المتوفّى سنة (٣٣٣هـ أو ٣٤٥هـ)، ط القاهرة، تحقيق: الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد.

٢٣٠ـ المستدرك، الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢٣١ـ المسترشد في الإمامة، محمّد بن جرير الطبري الإمامي من أعلام القرن الرابع، ط المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

٢٣٢ـ المستقصي، الزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٢٣٣ـ مشاكلة الناس لزمانهم، ابن واضح، ط بيروت، دار الكتاب الجديد ١٩٨٠م.

٢٣٤ـ مصادر نهج البلاغة، عبد الله نعمة.

٢٣٥ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

٢٣٦ـ المصون، أبو أحمد العسكري من أعلام القرن الرابع تحقيق: عبد الله هارون، طبع الكويت.

٢٣٧ـ المعارف، ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، ط دار الكتب المصرية.

٢٣٨ـ معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، ط طهران ١٣٧٩.

٢٣٩ـ المعمّرون والوصايا، أبو حاتم بن محمّد السجستاني المتوفّى (٢٥٥هـ)، تحقيق: الأستاذ عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٤٠ـ المغازي، سعيد بن يحيى الاموي (ت٢٤٩هـ).

٢٤١ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصبهاني المتوفّى سنة (٣٥٦هـ) على الأشهر، ط القاهرة، تحقيق: السيد أحمد الصقر.

٢٤٢ـ المقامات، أبو جعفر الأسكافي (ت٢٤٠هـ).

٢٤٣ـ المقتضب، المبرد، (ت٢٥٨هـ).

٢٤٤ـ المغني، القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ).

٢٤٥ـ المقنعة الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ).

٢٤٦ـ المناظرات في الإمامة، عبد الله بن الحسن، أنوار الهدى، قم ١٤١٥هـ

٢٤٧ـ المناقب، ابن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ)، المطبعة العلمية، قم.

٢٤٨ـ مناقب الخوارزمي، أبو المؤيد، تبريز وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٤هـ.

٢٤٩ـ منتهى المقال، محمّد بن إسماعيل المازندراني (ت١٢١٦هـ)، مؤسسة آل البيت، مطبعة ستارة، قم.

٢٥٠ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، ط النجف الأشرف، تحقيق: الحجة السيد حسن الخرسان.

٢٥١ـ منهاج السنّة، أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة، ط مصر، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٢ـ المواعظ والزواجر، ابن سعيد العسكري (ت٢٩١هـ).

٢٥٣ـ الموشى أو الظرف والظرفاء، أبو الطيب محمّد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي المعروف بالوشاء النحوي(ت٣٢٥هـ).

٢٥٤ـ الموفقيات، الزبير بن بكار المتوفّى (٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور سامي مكي العاني، ط ١٩٧٢م.

٢٥٥ـ الموثق، محمّد بن عمران المرزباني المتوفّى سنة(٣٧٧هـ) وقد قال ابن النديم عن هذا الكتاب أنّه في أكثر من خمسة آلاف ورقة.

٥٦ ـ ميزان الاعتدال، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٧ـ المناقب، ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ).

٢٥٨ـ الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، ط ١٩٦٢و١٩٧٤م.

٢٥٩ـ الوزراء والكتاب، محمّد بن عبدوس بن عبد الجهشياري ـ بالجيم والشين المعجمتين بعد الهاء ـ وإنّما قيل له: الجهشياري لأنّ أباه كان يخدم علي بن جهشيار حاجب الموفق العباسي وكان خصيصاً به فنسب إليه، توفّي مستتراً في بغداد سنة (٣٣١هـ)، ط أولى، مصر.

٢٦٠ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي، ط١، بيروت، وط٥، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٢م.

٢٦١ـ وفيّات الأعيان، أحمد بن محمّد بن خلكان(ت ٦٨١هـ)، ط ٢، منشورات الرضي، قم ١٣٦٤هـ ش.

٢٦٢ـ وقعة صفّين، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، القاهرة، ١٣٨هـ.

٢٦٣ـ الولاة والقضاة، أبو عمرو محمّد بن يوسف الكندي المتوفّى سنة (٣٥٠هـ)، ط القاهرة.

٢٦٤ـ نسمة السحر، يوسف بن يحيى الصنعاني(ت ١١٢١هـ)، دار المؤرخ العربي، بيروت ١٩٩٩م.

٢٦٥ـ نظم درر السمطين، محمّد بن يوسف الزرندي (ت ٧٤٧هـ)، النجف، مخزن الأميني ١٩٥٨م.

٢٦٦ـ نظرات في الكتب الخالدة، حامد حفني داود، ط ١، مطبعة النجاح، القاهرة ١٣٩٩هـ.

٢٦٧ـ نقض العثمانية، أبو جعفر محمّد بن عبد الله المعتزلي المتوفّى سنة (٢٤٠هـ).

٢٦٨ـ النثر الفني، الدكتور زكي مبارك، مصر، طبعة ١٩٣٤و١٩٥٧م.

٢٦٩ـ نثر الدرر، الوزير منصور بن الحسين أبو سعيد الآبي (ت ٤٢٢هـ).

٢٧٠ـ نزهة الأديب، الوزير أبو سعيد الآبي (ت ٤٢٢هـ).

٢٧١ـ النهاية، ابن الأثير.

٢٧٢ـ نهج البلاغة، تحقيق: محمّد عبده، دار المعرفة، بيروت.

٢٧٣ـ ينابيع المودّة، القندوزي (ت ١٢٩٤)، دار الأسوة، قم١٤١٦هـ.

محتويات الكتاب

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر